(كانون الثاني) ١٩٨٩، جمادى الثانية ١٤٠٩

المختار

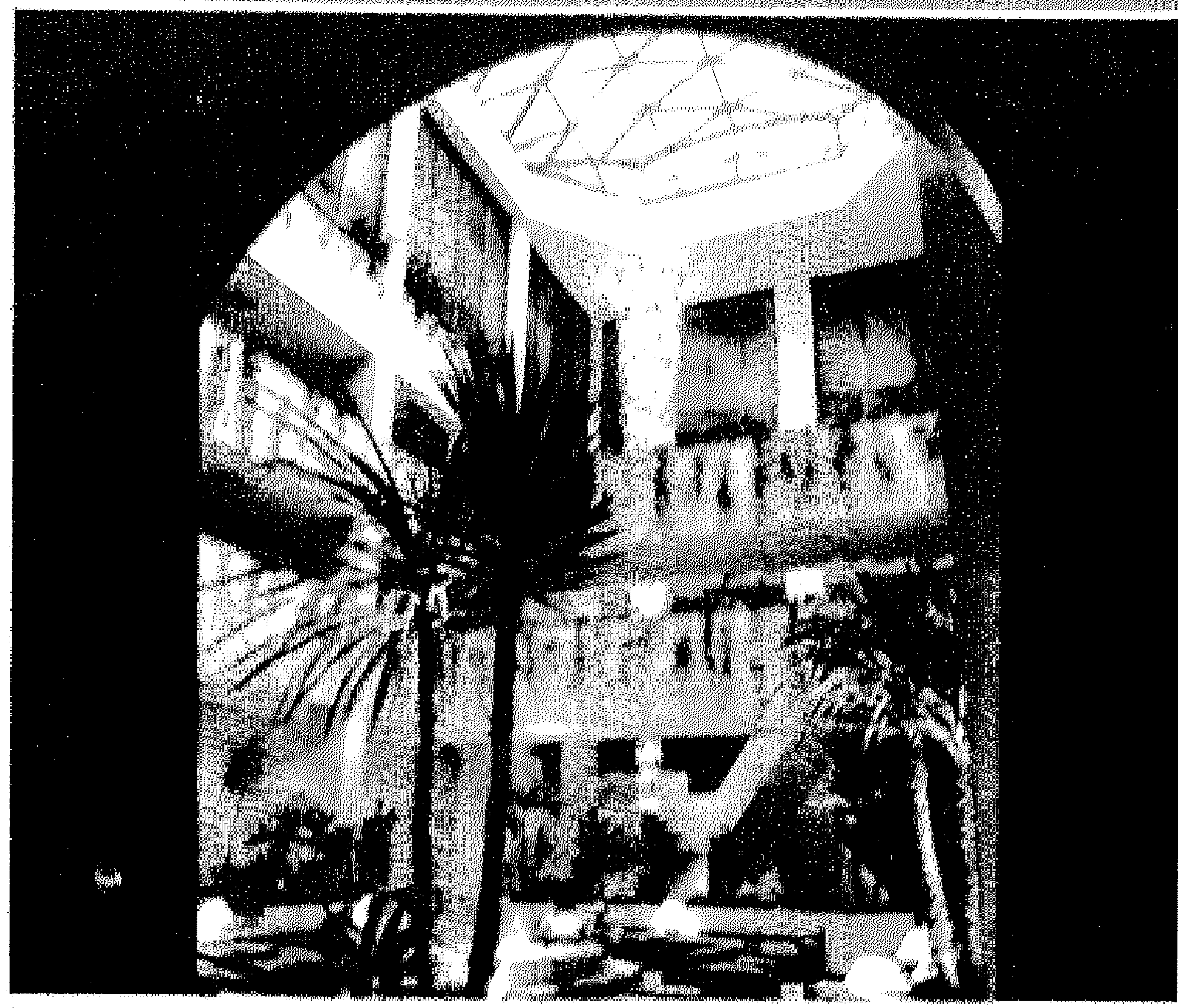
من ريدرز دايجست

AL MUKHTAR min Reader's Digest January '89 N° 122

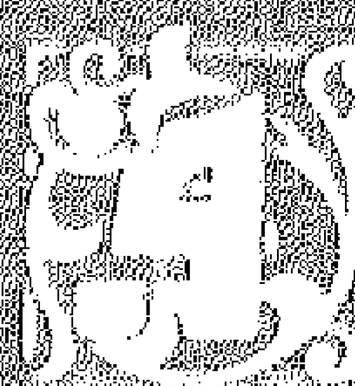
أوسع المجلات انتشارًا في العالم
٣٨ طبعة، ١٥ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهريًا



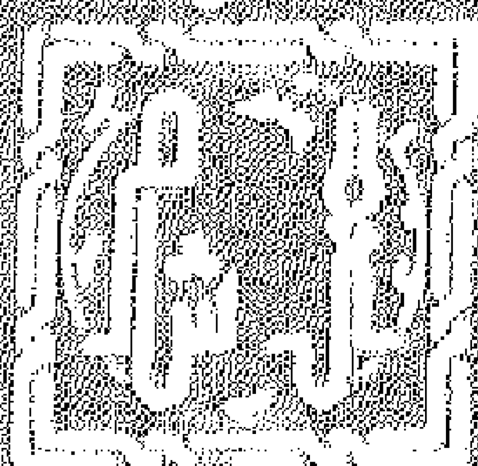
فندق الشام



أحدث مدينة في أقدم عاصمة



فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة ، بل إنه مدينة قائمة بذاتها مصمم على أحدث طراز فني ليوفر لك الراحة والمتعة العصرية سواء كنت ترتاح في غرفتك ، أو كنت منهمكاً في عملك . فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالاضافة إلى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية . ولاننس المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تظهر أهميتها المعمارية وتقاليدها الأصيلة التي لازلنا نفاخر بها ونحافظ عليها



للحجز : فندق الشام ـ ص . ب ٧٥٧٠
تلكس ٤١١٩٦٤
رقم الهاتف ٢٣٣٣٠٠ (١٠٠ خط)
تلكس الزائر ٤١١٢٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام
عراقة في التقاليد



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير - المدير المسؤول: ادمون صعب.
امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت
رئيس مجلس الادارة - المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون: داني دحداح - باز.

التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي - لبنان.
الهاتف ٤٩١٦٣٠ - ٤٩٢٦٧٠ التلكس MUKTAR 44615 LE

الاشتراكات: فريال علاف، بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان.
الهاتف ٣٤٥٧٣١ - ٣٤٩٤٧٧ التلكس MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE
الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.



AL MUKHTAR min Reader's Digest

Editor-in-Chief Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, P.O.Box 55228,
El-Metn, Lebanon
Tel: 492670 — 491630, Telex: MUKTAR 44615 LE.



MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

January 89 N° 172 (New Series) Vol. 11

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير: فرنسيس ج. شيل. المدير العام: جورج ف. غرون.

لبنان ٣٥٠ل - سورية ١٥ل - الأردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف -
السعودية ١٠ر - مصر ١٫٥ج - السودان ١ج - ليبيا ٥٠٠د - ج.ع. اليمنية ٧ر - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٨٠٠ف - قبرص ٧٥ب -
تونس ٧٠٠م - المغرب ٧د - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - انكلترا ١ج - اليونان ١٣٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢٫٥د



نسكافه

قهوة اللحظات السعيدة !



نسكافه قهوة صافية
معطّرة من أجود أنواع البن
في العالم.
كوب من نسكافه في الصباح
وفي أي وقت من النهار يُعيد
إليك الحيوية والنشاط.
أمتع الأوقات تقضيها مع عائلتك
والأصدقاء بصحبة نسكافه
اللذيذة والمنشّطة.

نسكافه

قهوة الشباب العصريّ الناجح



يناير شهر النور

إن التوقعات والآمال في شهر يناير (كانون الثاني) حادة الى درجة مؤلمة. ستعود الشمس، لا شك في ذلك، لأن الفجر ينبلج دقيقة أبكر كل صباح والغسق يتثاقل لحظتين أطول كل مغيب. وتتمدد هرتي على الثلج عند الظهيرة وعيناها الذهبيتان تومضان تحت الضوء الذهبي.

النور. يناير هو شهر النور. لقد أطلقت عليه كل الاسماء الا هذا الاسم – قمر البرد القارس، قمر المياه المتجمدة، شهر الجدي، الشهر ذو الوجهين. ولعل آخر هذه الأسماء هو أفضلها، ليس بسبب معناه الزائف الذي رُبط بأسطورة يانوس(١) الروماني، بل بسبب وجهه المشرق ووجهه العابس اللذين يظهرهما للعالم على نحو جلي. البرد القارس يلي ذوبان الثلوج، والهواء الدافىء يلي العاصفة.

---

(١) يانوس (Janus) هو أحد أرباب الميثولوجيا الرومانية، ومن اسمه اشتق اسم شهر يناير (January) .

Condensed from «The Protected Place,» © 1979 by Gilean Douglas, published by Sono Nis Press, Victoria, B.C. Illustrator: Muriel Wood

وتهبط الغيوم السوداء الدكناء الى مستويات منخفضة تخال معها أنها ستقع على الأرض، وتتساقط منها فجأة راقصات باليه في حلل بلورية بيضاء، ويتناثر الثلج على الأشجار العارية طابعاً على جنوعها نقوشاً. وتتوالى نفحات الثلج أمام النافذة فتخالها سحب دخان. اللآلىء تملأ الجو. البحر والسماء والجبل تلبس رداء رمادياً مبيضّاً يضفي رتابة باردة، الى أن يتوهج نور الشمس، فينير ذهبُهُ الاشجار ويدفئها.

ويخصص المنجمون اللون البني لبرج الجدي، رمز شهر يناير. وآمل ان يكون البني الضارب الى الحمرة هو المقصود. أحياناً، في وقت متقدم من فترة بعد الظهر، تسطع الشمس على الشاطىء بالقرب من بيتي فتبعث الدفء في الجذوع والقضبان التي جرفتها الامواج، وتضفي عليها حمرة متدرجة محببة لدى مصفّفي الشعر المهرة. ويصطبغ الخشب المكوّم تحت السقيفة بالحمرة نفسها فيبدو كأنه التقط النار قبل الاوان: خشب الأرز زهري وخشب التنوب قرميدي وخشب الصنوبر أسمر ضارب الى الصفرة. كلها مشرقة تحت سماء يناير.

قد يكون اللون البني المحمرّ حطبة تشتعل في المدفأة، فقد كان القدماء يعتقدون أن برج الجدي هو في حماية فستا (٢) . كما يمكن أن يكون عقيقاً أحمر، وهو حجر الحظ لشهر يناير وقد يكون ايضاً زهرة هذا الشهر: القرنفل. عندما أفكر في شهر يناير لا يسعني الا أن أفكر في زهرة. وهي ليست بفكرة غريبة اذا ما أخذنا في الاعتبار الحدائق النضرة المرسومة على النوافذ الزجاجية الباردة.

يناير. زهر اكتسى ثلجاً. نار مضرمة في المدفأة. الجميع في مأمن في البيت. إنه انتظار ووعد: وعد بعودة الحياة والجمال الى كل بقعة من العالم، الى كل شجرة مقصوفة، الى كل نبتة، الى كل نهر متجمد، الى الفراشة والخنفساء والدبور والعنكبوت والخفاش والأفعى والسمندر والجدجد والبعوض المزعج، كل هذه التي تنتظر رحيل الشتاء.

سفينتنا تمخر عباب عام جديد تحرسها نجمة تهديها الى الطريق. تشرق الشمس لتبلغ كبد السماء. وفي فناء بيتي هريرة سوداء تحاول تسلق جبل ثلج يرتفع عشرة سنتيمترات.

جيليان دوغلاس

(٢) Vesta



خبر محزن

بان القلق والهم على وجه طفلتي فيما كنت أقبّلها لتنام. فسألتها عن السبب فاجابت: "أود ان اخبرك، لكنني أخشى أن أسبب لك الكآبة."

فقلت: "لا، أعدك بألا أكتئب. أخبريني ما السبب."

قالت: "حسناً، ان بابا نويل (سانتا كلوز) غير موجود."

غ.ج.

لمن تشرق الشمس؟

كنا نناقش العرض الجاري لنادينا السينمائي عندما انضمت الى مجموعتنا سيدة تنظر بتشاؤم الى الحياة احياناً وقد بدت في هذه المناسبة غارقة في الكآبة اكثر من أي وقت مضى. اخبرتنا أن عرض عمل قُدِّم اليها ولكن بمعاش ضئيل جداً، واسترسلت في وصف مرّ لحال العالم عموماً.

فتدخل زوجي، وهو متفائل بطبعه، ولفت نظرها بمرح الى ان الدنيا بالف خير. وقال: "على الاقل، ما زالت الشمس تشرق كل يوم."

فرنت اليه بنظرة حزينة وقالت: "الشمس تشرق، نعم، ولكنها الشمس نفسها، كل يوم."

أ.ش

انا اهتف...
اذاً انا موجود!

اشتريت آلة للرد على الهاتف بعبارات مسجَّلة بصوت رجل. وعندما عادت والدتي من العطلة نسيت ان اخبرها عنها.

وفي السبت التالي رن الهاتف وأجابت الآلة. وبعدما بثت العبارات المسجلة وحان دور المتصل ليحكي على الآلة ما يريد قوله، اعاد المتكلم السماعة الى موضعها. ثم رن ثانية وتكرر الوضع الاول. في المرة الثالثة نطق المتصل: "هنا امك، كما اعتقد. فاذا لم اكن مخطئة الرجاء ان تتصلي بي."

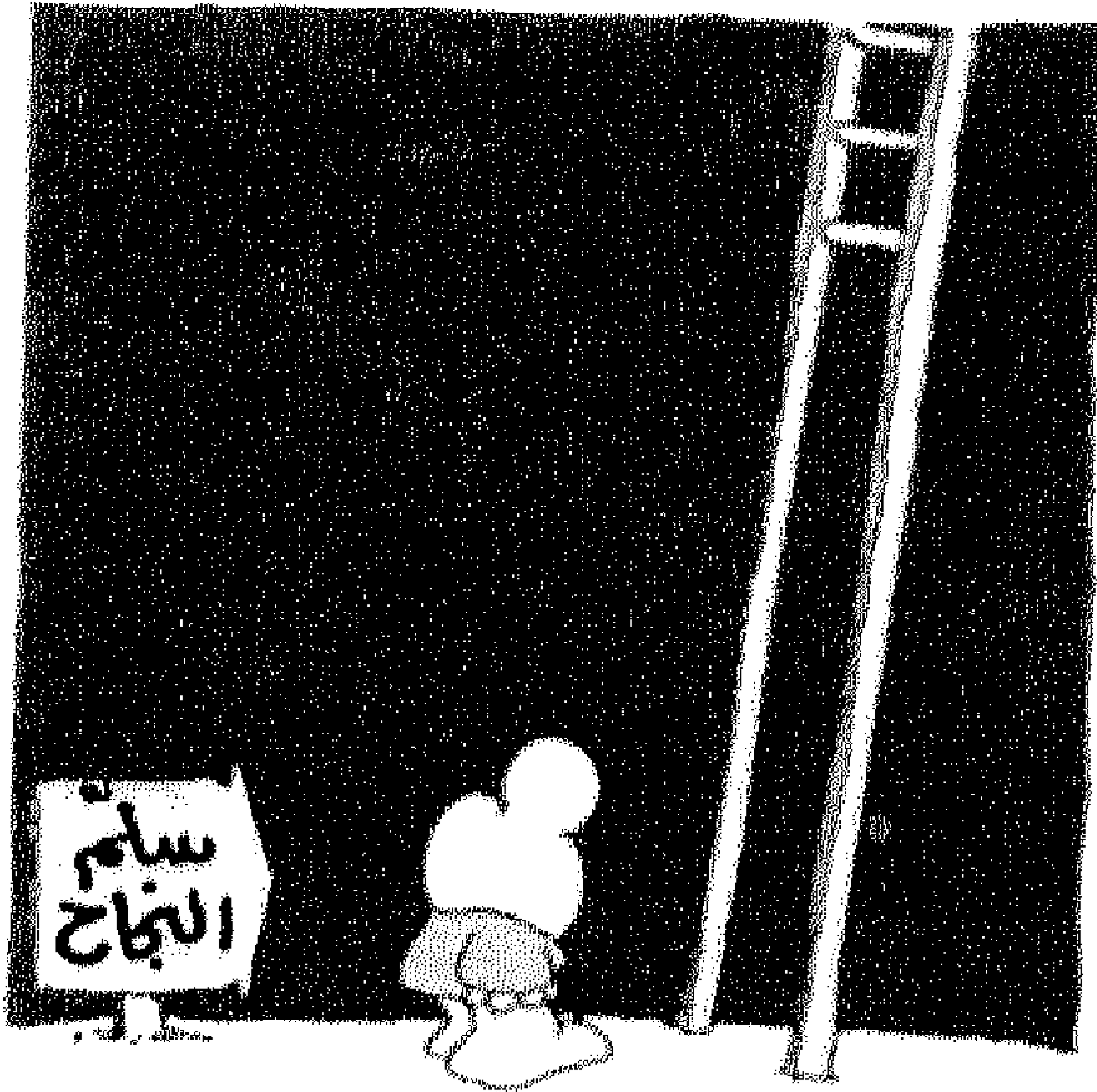
ب.ج.ب.

مطلوب مأكولات ضارة!

بعد عودتي من دكان البقّال، وفيما انا منهمكة في إفراغ مشترياتي دخل ابني المراهق (١٥ عاماً) المطبخ وسألني: "ماذا ابتعتِ من أطايب يحلو أكلها؟"

فاجبت: "سلعاً عدة: عنباً، برتقالا، تفاحاً..."

فقاطعني: "دعيني أسألك بطريقة اخرى: ماذا اشتريت من سلع يضرّ اكلها؟"



Tom Wilson, Universal Press Syndicate

مَن راقب الناس...

اصيب زوجي في إليته فكان يمشي بشق النفس على رغم عضلاته المفتولة. وفي الطريق الى الطبيب توقفنا امام محطة بنزين حيث الخدمة ذاتية. فجررت نفسي، انا الحامل في شهري الثامن، من وراء عجلة القيادة وبدأت بالضخ. وكان في الجوار رجلان ينظران الى زوجي، الذي بقي في السيارة، ثم يلقيان نظرة عجلى عليَّ. وسمعت احدهما يقول للآخر: "لا يأخذنك العجب، يا صاحِ، فهما زوجان متحرران!"

إ.م.

التلفاز قبل الحمام

القى صعوبة بالغة في اقناع ابني، البالغ تسع سنوات، بأخذ حمامه. فهو يتذرّع دائماً ببرنامج تلفزيوني عليه ان يراه عندما ادعوه الى الاغتسال. وفي ليلة يوم سبت طلبت منه ان يقرر افضل وقت يناسبه ليدخل حوض الاستحمام. وبعدما راجع دليل البرامج التلفزيونية جاء اليّ وقال: "مامي، اظن ان يوم الثلثاء في الثامنة والنصف هو افضل وقت... يناسبني."

س.ج.هـ.

سقى الله ايام زمان!

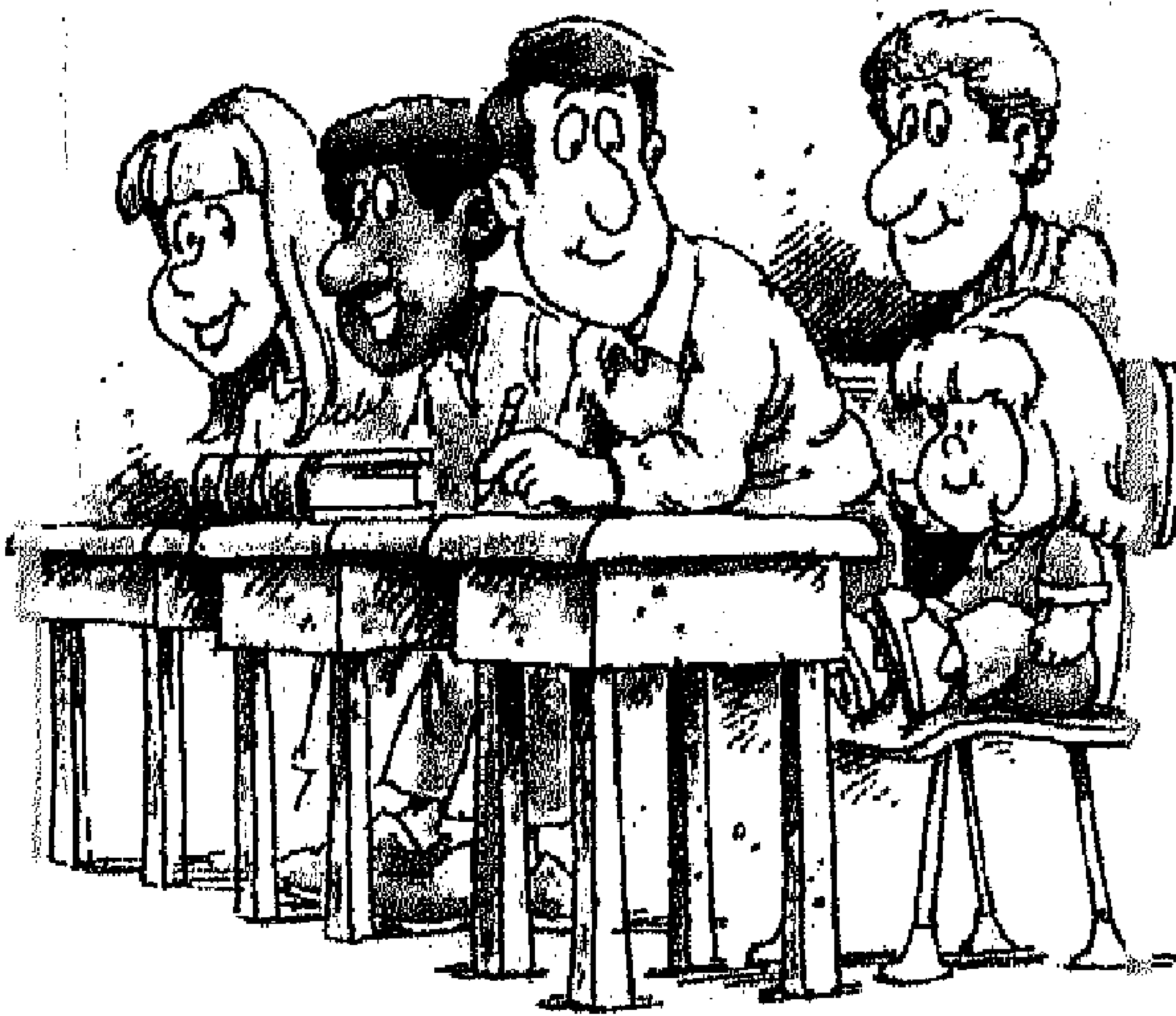
كنا انتهينا من تجديد مطبخنا عندما قدِمت جدتي لزيارتنا. فأريتها بفخر كبير الثلاجة - المجمدة، وغسالة الصحون، وغسالة الثياب والمجففة، والطباخ الكهربائي مع جهاز التوقيت التابع له، وجهاز التخلص من النفايات. تأملت بإعجابٍ كبير كل شيء ثم جلست تراقبني احضّر الغداء. وفجأة سألتني: "لو طلب منك ان تحتفظي بواحدة من هذه الآلات المريحة، فايها تختارين؟" فكرتُ جيدا في الموضوِع، وازنة ايجابيات كل منها، وقررت اخيراً ان البراد هو الوحيد الذي لا يمكنني الاستغناء عنه.

فضحكت جدتي في سرها وقالت: "لو كنت مكانك لاخترتُ المياه الجارية ابداً."

ف.ك.

طالبة حساب

ذات صباح كنت أتحدث الى أحد المدرسين، فأفلتت ابنتي ذات السنتين من يدي ودخلت أحد الصفوف. وكان ذلك صف رياضيات، ولشد ما كان ارتباكي عندما رأيتها جالسة في المقعد الامامي.


ILLUSTRATION: DAVE ALLEN

دخلت لاستعيدها فأوقفني المدرس قائلا: "يا سيدتي، أنا أدرس الرياضيات في هذا المعهد منذ عشرين سنة. وخلال هذه المدة لم يدخل صفي أحد من تلقائه، باستثناء هذه الصغيرة. "أرجوك أن تدعيها."

ك.ش.

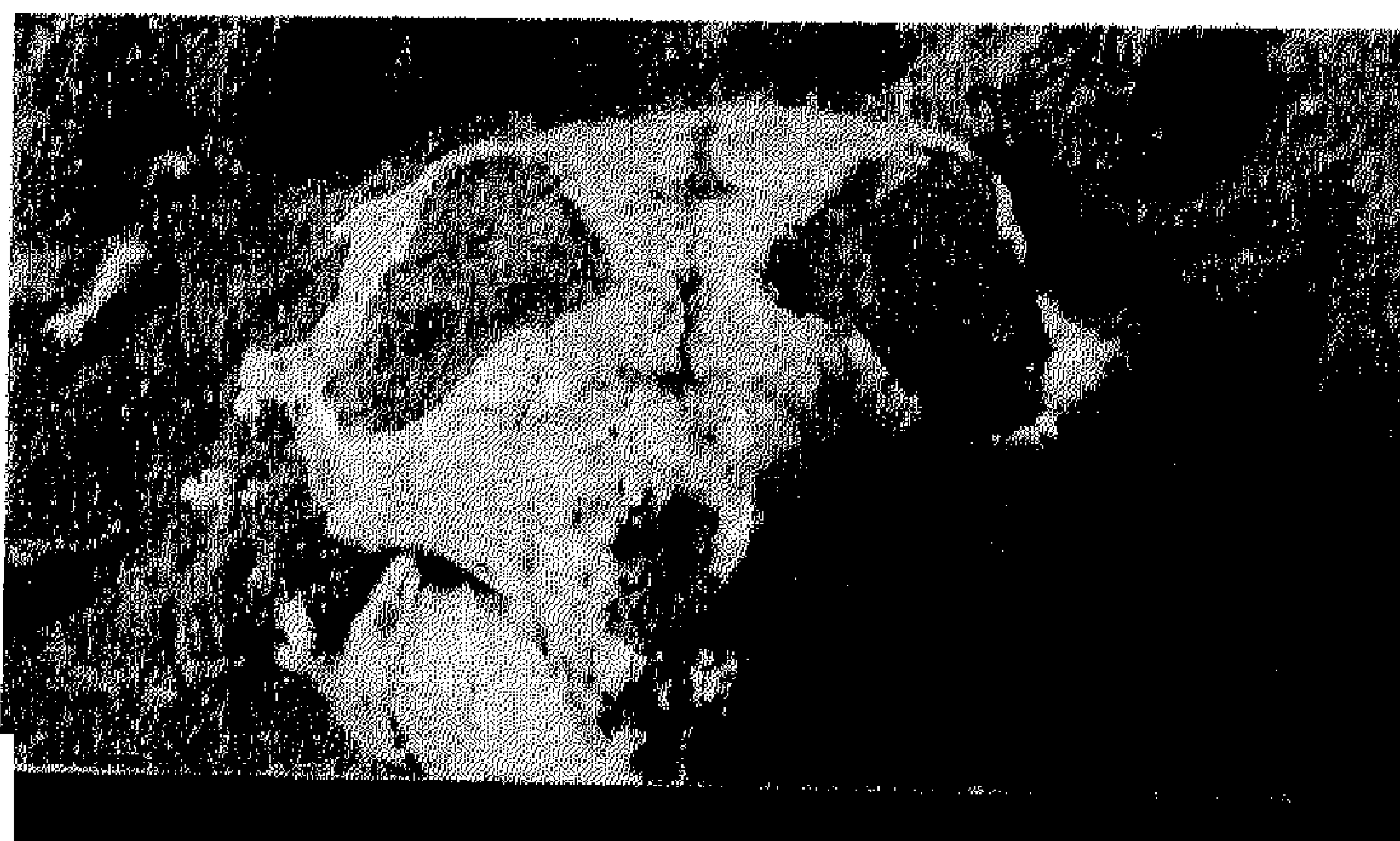
صخور خليج فاندي في كندا مفاتيح لحل لغز الانقراض الجماعي للديناصورات وغيرها قبل ملايين السنين

متحجرات بارسبورو

بارسبورو في نوفاسكوشا (كندا). أواخر العصر الترياسي قبل ٢٠٠ مليون سنة. دلتا نهر تغذيها الامطار الموسمية وتمتد الى بحيرة ضحلة في واد عريض. ديناصورات من نوع الفيتوصور تشبه التماسيح تخوّض في الماء مخلِّفة دوّامات كلما حركت ذيولها ملاحقة الاسماك الصغيرة. ضفاف النهر مورقة بالسرخس (الخنشار) الغريب والاعشاب المائية.

حيوان سفينودونتيد يشبه سحلية طويلة القوائم يثب ويمسك يعسوباً بين فكيه.

وعندما نبعد في الداخل تهب نسمة دافئة رطبة من بين اشجار الجنكة والصنوبر. وتقفز ايتوصورات مدرّعة فوق المسطحات الموحلة مفتشة عن جراد البحر. حيوانات صغيرة تشبه ضفادع ذات قرون، رؤوسها مربعة ومتوجة بنتوءات عظمية طويلة، تقعقع عبر شجيرات



أحد الاكتشافات: جمجمة بروكولوفونيد شبيه بالسحلية.

السرخس. سحليات غريبة تمدد أقفاصها الصدرية الناحلة لتشكل أجنحة وتنساب فوق أعالي الغابة الخضراء.

ثم تحل الكارثة. يلمع الافق الشمالي بنور يعمي الابصار، وتقعقع هزّة عنيفة تمتد في الارض فتدمر الغابات وتدك الجبال. قد يكون ذلك نيزكاً ضخماً تبخّر بعد اصطدامه بجو الارض مشكلا جداراً من الغاز يتحرك بسرعة وتبلغ حرارته ٤٤٢٥ درجة مئوية. منطقة بارسبورو في طريقه.

الحطام الناتج من الانفجار الهائل يغلف الارض كلها حاجباً الشمس. فيعم ظلام دائم وتتجمد المياه. تنفق الحيوانات وتذوي النباتات فيزول نصف الكائنات الحية في نهاية خاطفة وموحشة لطور هانىء عاشته الكرة الارضية.

وخلال ملايين السنين التي تلت ذلك دفنت طبقات الترسبات جميع معالم الفاجعة. تحوّل الوادي حوضاً يغذي خليج فاندي جنوب شرق كندا. تفتتت الجبال، حجراً بعد حجر، ولم يبق منها سوى نتوءات صخرية تظهر في الماء عند الجزر.

انها بداية حياة جديدة وافرة.

ذات يوم دافىء من صيف ١٩٨٦ انطلق عالمان شابان على امتداد الجرف الصخرية الشديدة الانحدار المحاذية لخليج فاندي والتي تبعد حوالى عشرة كيلومترات شرقاً من بارسبورو. بول أولسن أستاذ في الجيولوجيا (١) بجامعة كولومبيا وأحد الباحثين المتضلعين من العصر الترياسي الاخير والعصر الجوراسي الباكر في شمال أمريكا، يرافقه نيل شوبن وهو طالب جامعي في علم الاحاثة (٢) من جامعة هارفرد. حملا المعاول والمطارق وجاءا الى فاندي ليبحثا عن آثار لما يسميه الجيولوجيون "الطور الذي نسيه الزمان."

تعرف أولسن وشوبن الى الموجودات الفريدة في تلك المنطقة. كانت هناك وفرة من الصخور الرملية، حيث توجد المتحجرات عادة، وجوانب مكشوفة من الجبال تبدي طبقات قديمة من الارض. كان منظر الصخور مؤثراً: ساحل طويل مثلم من الحجر الرملي الاحمر والصلصال يرتفع ثلاثين متراً أو أكثر وقد نقش بالبازلت الاخضر الداكن. ويلتف هذا الساحل حول الخليج كأنه جرح عميق فيه. وبدا كأن الارض انشقت كاشفة ترسبات صخرية تجمعت خلال مئات الالوف من السنين طوراً بعد طور.

كان زملاء شوبن في جامعة هارفرد مشككين في حقيقة بارسبورو. وهم زعموا أن الاكتشافات الرئيسية للمتحجرات في أمريكا الشمالية تقتصر على الغرب حيث رفعت الجبال الشاهقة طبقات الارض القديمة العميقة. لكن أولسن وشوبن أصرا على المحاولة. يقول شوبن: "في البدء لم نجد شيئاً، فبدأت أعتقد أن نقّادي قد يكونون على حق. وذات يوم حشرني المد والجزر داخل كهف صغير لم يكن استكشف بعد. فجأة خالجني إحساس غريب. نظرت حولي فإذا بعظام ناتئة في المكان كله."

(١) الجيولوجيا علم طبقات الارض.

(٢) علم الاحاثة أو البلينتولوجيا (paleontology) علم يبحث في أشكال الحياة في العصور الجيولوجية السالفة كما تمثلها المتحجرات الحيوانية والنباتية.

Photos: Courtesy Paul Olsen

وفعلا كان ذلك اكتشافاً ساحراً شمل قرابة مئة ألف قطعة، بعضها في حجم رصاصة القلم، تعود الى مخلوقات تشبه الدينوصور والى سحليات وسمك قرش وتماسيح منقرضة. كانت هنالك جمجمة لتمساح مسيف الاسنان، تنفر من جانبي فكه الاسفل اسنان مزدوجة.

صناديق حجرية. كانت المتحجرات مكدسة بكثافة كبيرة مما جعل بعض العلماء يعتقدون أن هذه البقعة من الارض كانت يوماً منطقة جلاميد ضخمة كانت السفينودونتيدات السريعة وغيرها من الضواري تجر اليها فرائسها مما أدى الى تجمع تشكيلة من العظام. وكشفت الحفريات قطعاً عائدة الى ثلاث عشرة جمجمة لحيوان نصف زاحف ونصف ثديي يدعى تريثيلودونت، لم يكن اكتشف مثله بهذه الوفرة في أمريكا الشمالية ولا في أي مكان آخر.

وكشفت الحفريات المتلاحقة أيضاً ما يُعتقد إنه الأموسور وهو أكبر حيوان وجد الى الآن في بارسبورو. ويبلغ طول هذا الدينوصور مترين تقريباً، وهو ذو رقبة طويلة وأسنان منشارية معدة لمضغ النبات. والى الآن استخرجت الاجزاء الرئيسية لهيكلين عظميين. وبدأ فريق حفر يعمل برعاية متحف نوفاسكوشا في هاليفاكس استخراج الاجزاء الباقية لهذا الحيوان بالمطارق والأزاميل. وقد استخرجت من داخل بطنه حجار صغيرة مستديرة كان ابتلعها لتساعده على



نيل شوبن (الى اليمين) وبول أولسن "يمشّطان" جرف بارسبورو بحثاً عن عظام تعود الى ملايين السنين.

الهضم. ويقول أمين المتحف غرانثام: "تختلف هذه الحجار عن تلك التي نجدها هنا. ونستنتج من ذلك أن الحيوان كان أكلها في مكان آخر ثم تجول في الوادي حيث نفق."

ان الاكثرية المطلقة من متحجرات بارسبورو المكتشفة تصنف "عظاماً مفرومة" وهي قطع صغيرة جداً مطمورة في صخور رملية ضاربة الى الاحمرار. وتحرير قطعة واحدة من صندوقها الحجري البالغ من العمر ٢٠٠ مليون سنة يستوجب مئات الساعات من الحك بأدوات مسننة تحت مجهر يكبر الاشياء عشرين مرة. وبعد ذلك فاما أن تغرّى وتلصق لتشكل فكاً أو جمجمة أو قائمة واما أن تترك معروضة داخل الحجر لاجراء دراسات أشمل. يقول أولسن: "تصور نفسك تضرب كوباً خزفياً بحائط حجري وتهشمه قطعاً صغيرة ثم تغلف الحطام بالجص، وبعد مرور ملايين السنين تعود لتعيد جمعه. هذا ما نحن في صدده الآن."

تأريخ دقيق. ان اكتشاف المتحجرات أمر عادي في أمريكا الشمالية. لكن آثار بارسبورو تعود الى عصر شبه مجهول شهد انقراض فصائل كثيرة وتبعه ظهور فصائل جديدة. لقد كان التحول مفاجئاً جداً، لذلك يسمى "الحد الترياسي - الجوراسي" (٣).

يقول شوبن: "لم يعطِ أي اكتشاف آخر صورة شاملة كهذه للحياة على الارض آنذاك." ويخرج بعناية فائقة فكاً مصفراً لحيوان تريثيلودونت، يبلغ طوله ثلاثة سنتيمترات، من صندوق زجاجي في مختبره بمتحف هارفرد لعلم الحيوان المقارن. وبعدما وضع الفك على طاولة مرر رأس قلم رصاص على هيكله الرقيق. قال: "ان شكل أسنانه وترتيبها شبيهان جداً بأسنان الحيوانات الثديية. ولكن لما كانت هذه الاسنان تتبدل باستمرار كلما سقطت فهو من الحيوانات الزاحفة قطعاً. وبعض الصفات المشتركة لفكه وقائمتيه الاماميتين وحتى قحف دماغه تظهر بعض الروابط بين الزواحف والثدييات." وعلى رغم أن جماجم عائدة الى تريثيلودونتات وجدت في جنوب أفريقيا وفي الارجنتين، فإن متحجرات بارسبورو تعد بتقديم سجل أكثر تفصيلا عن التطور.

وهناك ظاهرة ثانية لمتحجرات بارسبورو هي إمكان تأريخها بدقة. وتؤرخ المتحجرات عادة من طريق قياس كثافة الطاقة الاشعاعية الاصلية المتحللة(٤). لكن هذه الطريقة قد تخلّ بما يراوح بين خمسة ملايين وعشرة ملايين سنة. أما التكوين الصخري لمتحجرات بارسبورو فقد مكن أولسن من معرفة عمر المتحجرات بخلل لا يتعدى ٢٠ ألف سنة. وهذا قياس ممتاز لأعمار يعود معظمها الى مئات ملايين السنين.

نظرية الكويكب. في موقع الحفر يقطع أولسن بمعوله كتلة من أسفل المرتفع الصخري، ثم يمرر سبابته الصلبة على طبقة من الحجر الرملي ويقول: "ان صخور فاندي هي سجل دقيق لمرور الزمان. كل طبقة من الترسبات تكونت

(٣) Triassic — Jurassic boundary

(٤) Radiometry

خلال فترة زمنية مختلفة تماماً، مثل تكوّن الدوائر في جذع شجرة. فالمتحجرات داخل كل طبقة يمكن ربطها بزمن محدد وكأنها جاءت ضمن ظرف يظهر عليه تاريخ."

وهذا التأريخ الدقيق قد يقودنا الى الحقيقة الاولى عن سبب الانقراض الجماعي لحيوانات العصر الترياسي. والانقراض الجماعي ظهر ست مرات على الاقل في تاريخ الارض. وهذه الكوارث الظاهرة في التغير المفاجىء الذي أصاب سجل المتحجرات، أربك علماء الاحاثة طويلا. وتوصلت جماعة من العلماء في جامعة كاليفورنيا في بيركلي الى دلائل على أن مذنباً ضخماً كان السبب في احدى تلك الانقراضات الجماعية التي قضت على الدينوصورات قبل ٦٥ مليون سنة. أحدث هذا المذنّب (أو الكويكب) عند اصطدامه بالارض غباراً كثيفاً في الجو غطى الكوكب بالظلام لعدة أشهر. ولم ينج من هذا الحدث الا بعض الاجناس العظيمة الاحتمال والتي تتمتع بقدرة هائلة على التكيف، فمهدت السبيل لمجموعات جديدة.

يقول أولسن: "في البداية كنت مشككاً." ثم طرح زميله مارك أندرز، وهو طالب في بيركلي، فكرة الصلة بين نظرية الكويكب وأنماط الانقراض المكتشفة في بارسبورو. يقول أولسن: "هنا كانت فصائل غريبة من الزواحف تزحف في البحيرة الضحلة، وحيوانات سريعة جداً تعيش على الشاطىء، وفصائل تشبه الثدييات تسكن تحت الاشجار في غابات العصر الترياسي الاخير. بعد ذلك نصل الى حاجز في فترة ما قبل التاريخ اجتازه عدد ضئيل من الفصائل الحيوانية. من الواضح حصول أمر مفاجىء وعنيف."

وكان أندرز أشار ايضاً الى امكان وجود علاقة بين ما حدث في بارسبورو والحفرة العملاقة في مانيكواغان في شمال شرق كيبيك، وهي ندبة عميقة تركت في الارض منذ مئات ملايين السنين عندما صدمها كويكب، أما الفتات الناجم عن هذا الانفجار فتوزع في كل اتجاه وبلغ خليج فاندي.

رأس دبوس. أحد العناصر المعروفة الناتجة من اصطدام الكويكبات بالارض هو الايريديوم، وهو معدن شبيه بالبلاتين يندر وجوده على الارض. لذلك فإن البحث جار في بارسبورو عن طبقة تحوي هذا المعدن الثقيل. ويقول شوبن: "ان بارسبورو مهمة كفاية الآن. واذا صحت نظرية الاصطدام تكون بارسبورو أضافت الى مكانتها شأناً مهماً آخر."

لكن الايريديوم الذي سقط من جراء الانفجار والذي لا تتعدى كثافته جزيئاً، تعرض للتمدد والتمزق واعادة الخلط نتيجة حركات قشرة الارض صعوداً ونزولا. ويأمل العلماء العثور على آثار لهذا المعدن بطريقة واحدة فقط هي تحليل نماذج عدة من الحجار.

الى الآن تم تحديد نسبة ضئيلة جداً من المتحجرات المكتشفة في بارسبورو. وهناك نحو ثلاثة أطنان من قطع الصخور الرملية المحشوة بالمتحجرات مخزونة في جامعتي كولومبيا وهارفرد ومتحف نوفاسكوشا تنتظر علماء الاحاثة. وفي

هذه الاثناء تتضافر الجهود لحماية هذا الموقع الثمين. وفي العام ١٩٨٠ صدر قانون يحظر استخراج المتحجرات من نوفاسكوشا من دون اذن. وطبيعة المتحجرات الدقيقة لا تشجع الهواة على جمعها، إذ ان العين الخبيرة وحدها تستطيع تحديد أماكن المتحجرات وتقدير أهميتها.

ستظل متحجرات بارسبورو تثير المجتمع العلمي لسنوات. أما أولسن فيجد مغزى آنياً وشخصياً لاكتشافها. وهو يقول: "ان رؤية هذه الانواع المختلفة من المتحجرات محفورة في صخور تعود الى ملايين السنين تذكرني بأن طريق الحضارة البشرية لا تتجاوز رأس دبوس، اذا ما قيست بمقياس الزمن الجيولوجي. وكلما وقفت أمام هذه المرتفعات الصخرية شعرت بأنني قزم أمام عظمة الزمان."

مارك والترز ■



الزوج المسحور!

قبل سنوات انهمكت وزوجي في مشروع كان يتطلب منا ان نعمل، الى حد بعيد، في الامسيات ونكون حُرَّيْن في الاضاحي. فقررنا الافادة من هذا الوقت بتوزيع كراريس دعائية على منازل في الجوار.

كنا عادة نسير معا واحيانا نفترق موزِّعَيْن العمل ثم نلتقي مجددا في الشارع بعد مرورنا على عدة عمارات. ومع ذلك بدا ذات صباح ان واحدنا اضاع الآخر. وبعدما انتظرت بعض الوقت في ركن من الشارع قررت ان اقتفي أثر زوجي باتباع توزيعات كراريسه.

وبعدما استطلعت ما في داخل اربعة صناديق بريد او خمسة بدأ يراودني شعور بان احداً ما يراقبني. وتعزز لدي هذا الشعور عندما لاحظت ان في الركن المجاور شرطياً يراقب اعمالي على نحو بيِّن منذ فترة.

احسست بالحرج، فاقتربت منه وقلت بارتباك: "في الواقع يا حضرة الضابط انني ابحث عن زوجي."

فرفع الشرطي احد حاجبيه سائلا: "وهل من عادته ان يختبىء في صناديق البريد؟"

ك.ل.

نداء لم يصل

كانت والدتي تتحضّر في المطار للعودة من الولايات المتحدة بعد زيارة لأخي هناك. وبما أن اجادتها اللغة الانكليزية كانت محدودة جداً، فقد سأل أخي الموظفة المسؤولة عن تسجيل الاسماء أن تنبّه المضيفات الى هذا الامر. وقبل انتقال الركاب الى متن الطائرة سمع أخي هذا النداء: "هلّا تفضلت السيدة التي لا تتكلم الانكليزية بالحضور الى الباب ٣٢؟

ن.ب.

خواطر في الحب والجنس



سيدتي، إن كنتِ متزوجة منذ أيام أو منذ سنوات فهذه الملاحظات المفيدة تعلمك كيف تتصرفين وزوجك في اللحظات الحميمة

قالت كارول: "لا بأس،" بصوت يدل على خيبة. فأجابها زوجها بول: "لا يا كارول. لا تقولي لي لا بأس. انه عيد زواجنا ولكن لا مفرّ لي من الذهاب. تعرفين أنها زبونة مهمة، وسأحاول أن أتخلّص منها في أسرع وقت ممكن."

وفي السادسة مساء كان بول يبحث في ردهة الفندق. وإذا بموظف الاستقبال ينادي: "السيد بول هيس مطلوب الى الغرفة ١٤٠٤."

راح بول يتساءل عما قد تكون المرأة في صدده. ولما قرع باب الغرفة أشار عليه صوت غامض بالدخول.

فتح بول الباب ورأى امرأة، شعرها قاتم أسود ترتدي فستاناً حريرياً أسود اللون وتدير اليه ظهرها. ثم ما لبثت أن استدارت ببطء. فوقف بول أمامها مذهولا ثم سألها: "ماذا تفعلين هنا يا كارول؟"

فردت زوجته: "عيد سعيد!" وراحت تضحك اذ رأت علامات التعجب على وجهه.

أضافت: "لقد خططت لهذه المفاجأة مع أمينة السر في مكتبك. تركت الأولاد عند والدتي وها هو الليل بكامله لنا وحدنا في هذه الغرفة." وقبّلته وهي لا تزال تضحك.

إن كارول وجدت جواباً عن سؤالين تطرحهما المرأة على الدوام: كيف أحافظ على اهتمام زوجي بي؟ كيف أبقي على علاقة مطعمة بالحياة والاثارة سنة بعد سنة؟

بعدما قرأتُ كتباً عدة وقابلتُ عشرات من الازواج والزوجات يعيشون بصدق علاقات حميمة، وآخرين لا يعرفون معنى

للعلاقات الناجحة، وجدت بعض المفاتيح التي تمكّن من انجاح علاقة تحسّس كلا من الزوجين بالارتباط المتيْن وبالهناء والكمال.

سيدتي، لتأمين علاقة حيوية تدوم طويلا، مطلوب منك ما يأتي:

الصدق.

بالكذب والادعاء والتظاهر تسدّين الباب على علاقة حلوة وهادفة وذات معنى. اذا تظاهرت بالرضى والاكتفاء الجنسيين أو حاولت ارضاءه بإسماعه كلاماً تحسبين انه يريد سماعه، فأنت تسلكين الطريق الخاطىء. إن المحافظة على الوضع الراهن تشكّل فخاً تقع فيه نساء كثيرات، إذ انهنّ يتمسكن بنماذج روتينية مضجرة بدلا من هز العلاقة بقوة. فيصبح الجماع وقضاء العطلات وتبادل الأحاديث خلال العشاء أموراً متوقعة وغير مثيرة.

أما اذا حسبت أنك ترضين زوجك عندما لا تقولين له ما تريدين منه أو ما تشعرين به، أو حتى عندما تقولين له ما تحسبينه يريد سماعه، فأنت أيضاً تخطئين. ذلك لأن "الحقيقة هي جوهر العلاقة الحميمة الصادقة،" كما يقول رجل سعيد بعد ١٨ سنة من الزواج.

الوقت.

نعيش اليوم في عالم متوتر يركض فيه الانسان ويقلق على مصيره. فإذا سنحت فرصة للتخلص من الهموم اليومية يلجأ المرء الى مشاهدة البرامج التلفزيونية بدلا من أن يتبادل وزوجه أحاديث حميمة. بعضهم يقضي وقته محاولا تحسين ضرباته في لعبة كرة المضرب، وبعضهم يقضي وقته حالماً بعلاقة مثيرة بدلا من أن ينمي علاقته الحالية.

ومهما قيل إن الجماع يتطلب وقتاً فهذا ليس عذراً. إن العفوية في الجماع حافز مثير، لكن واقع العائلات المتوسطة يفرض التخطيط للجماع. ويقول الخبراء ان بذل الوقت من أجل التخطيط لموعد لا يكبت النزوات الجنسية، بل انه يؤجج الرغبة. ويصبح الجماع المخطّط له أمراً مشوقاً.

الالتزام الجنسي.

الالتزام الجنسي يعني، صراحة، أن تقبلي شهواتك الجنسية وتتمتعي بالعطاء والأخذ. المدهش اليوم هو أن عدداً كبيراً من النساء لا يسمحن لأنفسهنّ بالتفكير أو الاحساس هكذا.

أوحي الى زوجك اهتمامك الحقيقي بالجنس. يشكو كثير من الرجال أن زوجاتهم فاترات أو أنهنَّ يكبتْنَ أحاسيسهن في ما يتعلق بالجماع. أن تكوني مهتمة حقاً بالجنس هو أن تتمتعي كلياً بطبيعة شهواتك وعافيتها. قد تفهم امرأة هذا الأمر على أنه السماح لنفسها بالإقرار بشهواتها بدلا من كبتها أو الاحساس بالذنب. وقد تفهم امرأة أخرى هذا الأمر ذاته على أنه جمع الشجاعة لمناقشة المشاكل الجنسية او لاستكشاف النزوات الجنسية مع زوجها.

بتّ أصدق اليوم أن بعض النساء يملكْنَ اللمسة السحرية منذ الولادة. فهنّ

يفهمْنَ الشهوانية حدساً: كيف تلمسْنَ أو تتحركن؟ ومتى؟

أما النساء اللواتي لا يملكْنَ هذه اللمسة السحرية منذ الولادة، فيستطعنَ تنميتها من خلال متعة العطاء والأخذ. فإذا أخذنا الطبخ مثلا، لوجدنا أن الطبّاخ البارع يحضر الطبخة من دون أن يقرأ في كتاب الطبخ، أما الآخرون فيتبعون الطريقة المكتوبة ويقيسون المقادير بانتباه. ان الطريقتين مفيدتان. والمهم أنك تستطيعين تعلّم الشهوانية وايحاء ما تريدين وما تحتاجين.

وهنا نصل الى النقطة الرابعة:

الاتصال.

ربما كان الاتصال أهم أداة لتأمين استمرار العلاقة. ومع أن "الاتصال" كلمة كَثُر استعمالها، فانها تبقى من دون شك كلمة مهمة. يقول مستشار حكيم في القضايا الزوجية ان المرء قد يوفق بزواج سعيد خال من المشاكل، لكن الزواج الناجح يتحقق عندما يواجه الزوجان مشاكل فيناقشانها ويجدان لها الحل.

سيدتي، اذا أمكنك أن تعبّري عما تريدين وتحتاجين اليه حقاً من دون خوف أو خجل، فسترين رغباتك تتحقق بسرعة مدهشة. عندما تعبّرين بصراحة عن مخاوفك من الإخفاق أو النفور تفقد هذه المخاوف قوتها المؤذية. فاذا قالت الزوجة لزوجها: "أخاف أن تتركني إن قلت لك ما أريده حقاً،" أو: "أحس أني ضعيفة ومعرَّضة عندما أفعل هذا الامر،" فغالب الظن أن الزوج سيجيب: "صحيح؟ لم أكن أعرف أنك تشعرين هكذا."

كيف لزوجك أن يعرف ما تحسّين به أو ما تريدين منه ان لم تقولي له ما المشكلة؟ إن احدى المشاكل الأساسية التي تعترض الزوجين تكمن في التخمين أن الزوج يشعر تلقائياً بما تريده شريكته أو بما لا تريده. فلا حل يتخطى هذه المشكلة سوى قول الحقيقة. وترى الدكتورة هيلين سنجر كابلان رئيسة برنامج الدراسات الجنسية في مستشفى نيويورك ومركز "كورنيل" الطبي، إن محاولة تأدية دور العاشقة من دون عملية الاتصال الفكري تشبه محاولة تعلّم الرماية بعينين معصوبتين.

خلال ممارسة الجنس تتكشف فوارق كثيرة ومتعددة بين الرجل وزوجته في ما يتعلق بأحاسيسهما الجسدية والمعنوية. قد تلاحظين هذه الفوارق إذا راقبت ردود أفعال زوجك الجسدية أو إذا أظهرت ردود أفعالك حيال تصرفاته وحركاته الكثيرة. فالجمل العادية من نوع "أحب هذا..." أو "أحب ذلك الشعور عندما..." تكوِّن لدى زوجك فكرة واضحة عما تريدين منه.

تخطّي الخوف.

في رأي الباحثين في أمور الجنس أن الخوف هو بالنسبة الى كثيرين رفيق يقاسمهم الفراش. لذا يصبح الخوف من أهمّ العوائق في الجماع. يُفاجأ كثير من الرجال عندما يعلمون أن نساءهن يخجلن في ما اختص بأجسادهن. نحن نقلق على كل عضو في أجسادنا. وباختصار، ان من أقوى المخاوف الجنسية لدى المرأة هو ألا تكون مشتهاة كفاية.

يمارس كثير من الأزواج الجنس

والأنوار مطفأة أو وهم يرتدون ثياب النوم، لأنهم قلقون على مظهرهم. كلنا نقدّر جمال الوجه والجسد، ولكن علينا قبول النقص فينا. شعورنا بالارتياح حيال أجسادنا هو من الشروط الأساسية لشعورنا بالارتياح مع سِوانا. وان عدداً كبيراً من النساء يخشَيْن أن يعتبرهنَّ أزواجهنّ متسلطات لا يملكن الانوثة الكافية إذا بادرْنَ هنّ في ممارسة الجنس. فهنّ يحسبْن أن الرجل يرى في هذه المبادرة ضربة مباشرة لدوره التقليدي كذَكر، وهو دور يلخّص بالقوة المسيطرة على العلاقة الجنسية.

إلا أن بعض الرجال الذين قابلتهم يفضلون مبادرة زوجاتهم من وقت الى آخر، وأشدّد على عبارة "من وقت الى آخر." إذ ان المرأة التي تقول لزوجها "أود أن أغويك الليلة" تلقى ترحيباً أحرّ من تلك التي تطلب هي الاثارة.

قد تقولين لي: "لكنني أعرف هذه الامور."

صحيح أن ما قلته هنا هو كلام عادي بسيط، إلا انني أسألك:

□ منذ متى أحضرت لزوجك طعام الفطور الى السرير؟

□ منذ متى قرأتما كتاباً معاً؟

□ منذ متى تحادثتما الى ساعة متقدمة من الليل؟

ولئن يكن من نصيحة يسديها زوجان حققا نجاحاً خاصاً في حياتهما معاً فهي الآتية: "ادَّخرا وقتاً ليفهم أحدكما الآخر، وتحدثا عن الأمور التي تؤمّن نجاح علاقتكما، ثم حقّقا هذه الأمور."

ألكسندرا بيني ■



رباط الحب

اعتاد واحد من اصدقائنا ان يفكر في اثناء طفولته كم يختلف ابواه عن الازواج في القصص. فهما لا يتبادلان الملاطفات ولم يرهما ابدا يتعانقان. قال: "كنت اشعر بالاسى الكبير لذلك، الى ان جاء يوم انهار السد وامتلأ وادينا الصغير ماء. فلقد وُضعت في عِليَّة البيت اتقاء للغرق، فمكثت هناك ارتعش في الظلام فيما المياه المتصاعدة تهف في اساساته.

"اخيرا استبد بي الخوف حتى كان لا بد لي من التطلع عبر النافذة. كانت الانوار تشق عباب الظلام، فشاهدت بابا وماما - وقد غمرتهما المياه المدوّمة حتى فخذيهما - يسيران بعكس الريح وقد انخفض رأساهما وتلامس منكباهما. كانت امي تحمل ملء ذراعيها فراخاً خائفة انقذتها من القن، وابي يحتضن حملا وليداً. تلك كانت الصورة التي شاهدتها خلال جزء من الثانية.

"منذ ذلك الحين لم تعد تساورني هموم حول تصرفهما كزوجين متحابين مثل ذينك اللذين نراهما في الافلام. فقد كانا يتمتعان بشيء اكثر قوة من رباط الحب العادي."

ج.ج.ج.

تعلموا أن تقولوا «لا» للمخدرات

بلغ إدمان المخدرات أشده في ألمانيا الغربية فانبرى هذا المناضل يبرز مكامن الخطر ويعلم الأولاد كيف يقولون "لا" لمروجيها

جلس ٢٤ من تلاميذ الصف المتوسط الثاني في مقاعد قاعة محاضرات فسيحة في هامبورغ وكأن على رؤوسهم الطير. كانت عيونهم مسمّرة في ملعقة مسطّحة يرفعها المدرّس غونتر سبكمان (٦١ سنة) ليراها الجميع. ثم سخّن المدرّس المادة التي في الملعقة فوق موقد غاز فارتفع منها دخان أبيض مكمدّ.

تجوّل سبكمان في القاعة مروّحاً الدخان بحيث يتسنى لكل تلميذ أن يحصل على نشقة منه. فأشاح بعضهم بأنوفهم، وبحث آخرون عن منديل.

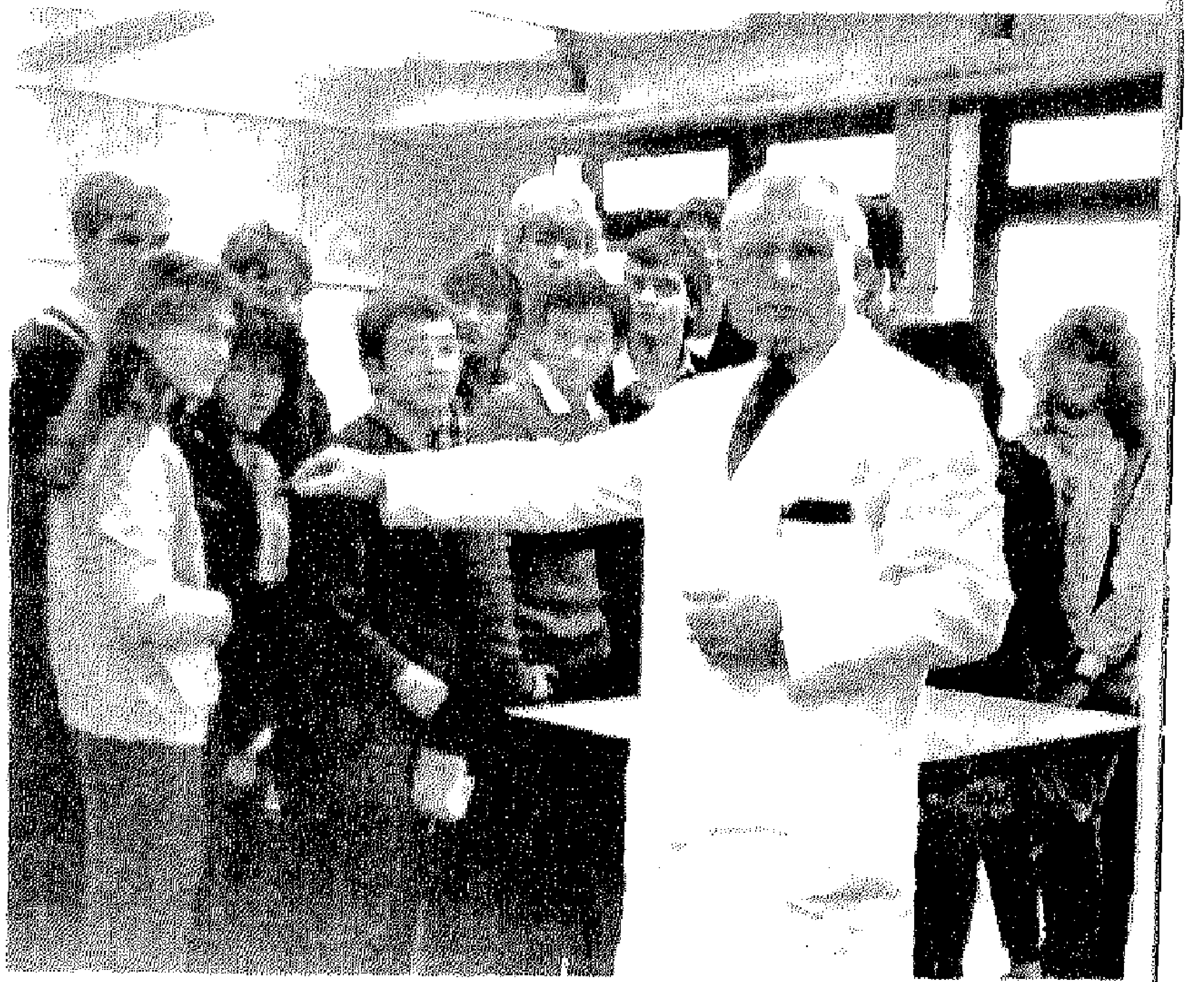
سأل المدرس: "هل تعرفون ما هذا؟"

فانبرت فتاة بالجواب: "حشيشة."

فوافق المدرس: "صحيح." ثم تابع: "والآن، أنا أعرف أن بعضاً منكم سبق أن تكلم على الحشيشة وغيرها من المخدرات مع أصدقاء أو رفاق صف. ولربما سمعتم أن التحذيرات ضد تعاطيها هراء، وأنكم لن تتحوّلوا مدمنين اذا تعاطيتموها على النحو المناسب. حسناً، دعونا نكتشف سوية كيف تعمل المخدرات وأيَّ ضرر بالغ يمكن ان تسبّبه."

على الطاولة خلف سبكمان علبة مفتوحة تحوي مجموعة من مختلف الرُّزم وقوارير متنوعة دُوِّنت عليها أسماء المواد التي تتضمنها. تبادل التلاميذ النظرات واشرأبّوا بأعناقهم من أجل رؤية أفضل لما يفعله المعلم. أخرج هذا عيِّنة من تلك الرزم ورفعها عالياً. انه لم يكتفِ بالحديث عن المخدرات بل كان يعرض لتلاميذه المواد المخدِّرة!

أسئلة حرجة. الى الآن شهد نحو ٣٥ ألف طالب ألماني غربي، تترجح أعمارهم بين ١٤ و١٨ سنة، الحلقات الدراسية التي نظمها سبكمان لاطلاعهم على مضار المخدرات. وهو الى ذلك يحاضر في مجموعات الاهل والمعلمين، وقد ازداد الطلب عليه في الشركات والمؤسسات الكبرى، كالقوات المسلحة وشركة سكة الحديد الاتحادية وشركة "لوفتهانزا" للطيران، ليخطب في المُخضعين للتدريب العسكري أو المهني.



غونتر سيكمان مع مجموعة من الطلاب.

غير أن اهتمام سبكمان الرئيسي انصب على الشبيبة. فمن أجلهم طوّر حلقة دراسية لا نظير لها في المانيا الاتحادية (الغربية) وهي برنامج مبني على الوقاية لا على العلاج. وهو لا يكتفي باطلاعهم على اخطار حشيشة الكيف أو الهيرويين او الكوكايين بل يخبرهم عن آخر الحيل التي يستنبطها مهرّبو المخدرات، وعن الخدع التي يستعملها مروّجوها، ويجيب عن الاسئلة التي يتردد الشباب في طرحها في أمكنة أخرى.

يقول سبكمان: "أفضل سبيل الى كبح فضول الفتيان حول المخدرات هو جبههم بالوقائع. عليهم أن يعرفوا كيف تبدو كل مادة مخدرة، ما رائحتها، كم تكلّف. وأهمّ: ماذا يحصل لهم اذا تناولوها."

وسبكمان مجهز جيداً لهذه المهمة. فهو موظف عالي الرتبة في ادارة الجمارك الالمانية، يتولى قسم المخدرات في هامبورغ، وبالتالي هو واحد من القليلين في ألمانيا الغربية المخوَّلين تداول المخدرات المحظرة. وظل عمله لسنوات عدة تعليم المتطوعين الجدد في ملاك الجمارك تعقُّب المهرِّبين الذين يحاولون تسريب سلعهم القاتلة داخل البلاد.

رخيصة ومميتة. عندما واجهت مصلحة الجمارك في هامبورغ، في العام ١٩٧٣، صعوبة في اجتذاب موظفين مؤهَّلين، دعت طلاب المدارس الثانوية لتريهم كيف تعمل إدارة الجمارك فترغّبهم في العمل فيها. ويتذكر سبكمان في هذا الصدد: "كانت بين عروضنا المتوافرة للمدارس محاضرة بعنوان "كيف تميز المخدرات"، وقد أدهشنا أن تسعين صفاً من أصل نحو مئة طلبت هذا العرض الذي شكل نقطة الانطلاق للحلقات الدراسية حول المخدرات."

ما أن أقبل العام ١٩٧٤ حتى كانت المخدرات شاعت في ألمانيا الغربية. وبسبب الاسئلة التي نجمت عن المحاضرة كان سبكمان أحد الاوائل الذين تيقنوا من النقص الضخم في المعلومات. فراح ينقّب بعمق في الموضوع، وجمع أهم ما كتب فيه الاختصاصيون، واسترشد المربين والاطباء ورجال الامن. وكرّس الكثير من وقته ليظل متمشياً مع التطورات ومراعياً الحداثة في عروضه.

ومما زاده تصميماً على تفرّغه للموضوع تعرفه شخصياً الى ضحايا المخدر. ففي العام ١٩٧٩ انتحر صديق حميم له يأساً لعجزه حيال ادمان ابنته الهيروويين، وبعد ذلك بوقت قصير توفيت ابنة أخ صديق آخر من جرّاء جرعة مفرطة.

لم يكن هذان حادثين منفردين. ففي ذلك العام فاق عدد مدمني الهيروويين في ألمانيا الغربية عددهم في كل الدول الاوروبية الاخرى مجتمعة، وفي العام ١٩٨٧ ضبطت السلطات ٢٩٦ كيلوغراماً من الكوكايين، أي نحو ٤٠ ضعف الكمية المصادرة قبل عشر سنين. واليوم تقدّر حكومة المانيا الغربية أن ثمة ٥٠ ألف مدمن للمخدرات في البلاد، فيما يرفع خبراء آخرون هذا العدد ضعفين. وفي العام ١٩٨٧ توفي ٤٤٢ شخصاً بسبب المخدرات، ويُقدَّر الربح السنوي الصافي الناتج من التجارة غير المشروعة بالمخدرات بين مليار و١،٥ مليار مارك (بين ٦٠٠ و٨٥٠ مليون دولار).

لا تطرح المخدرات التقليدية الا وجهاً واحداً للمشكلة المتعددة الوجوه. ففي المانيا وهولندا خصوصاً بدأت تتفشى المختبرات اللاشرعية التي تُنتج مخدرات تركيبية مثل "غبار الملائكة" أو "السرعة"(١). ويقول سبكمان: "المخدرات المركبة خطرة على نحو هائل لأن تركيبتها ونتائجها مجهولة غالباً." ونظراً الى أن هذه العقاقير زهيدة الثمن بحيث يقدر حتى الاطفال على شرائها، عدّل سبكمان حلقاته الدراسية لتناسب المراهقين في الثالثة عشرة من عمرهم.

إدمان أم لا؟ زرت يوماً مكتب سبكمان فدعاني الى محاضرته أمام ٢٧ طالباً من الصف المتوسط الاول، مع اثنين من معلميهم. تناول من حقيبته قارورة تتضمن عشباً بنياً وشرح: "هذه هي نبتة القنب. تؤخذ أوراقها اليابسة وأغصانها الطرية المزهرة فتُلَفّ في سجائر وتُدخن. إنها تدعى ماريوانا، وتنمو في أنحاء العالم."

ثم أمرَّ على الطلاب وعاء فيه ذرور حشيشة الكيف ليلقوا عليه نظرة متفحصة، لكنه تدخّل فوراً عندما حاول ولدان أن يفتحاه. فأنذرهما: "لا تفعلا ذلك والا انتشيتما." فأسرع الصبيان الى وضع السدادة في مكانها.

بعد ذلك سألت فتاة عن الفرق بين الماريوانا وحشيشة الكيف. فشرح سبكمان: "الحشيشة هي المادة الدبقة التي تفرزها أوراق القنب وأزهاره. تُجفَّف هذه المادة وتُضغط. وتحتوي الماريوانا والحشيشة على مادة "تتراهيدرو كانابينول"(٢) وهي المادة الكيميائية

(١) Angel Dust or Speed
(٢) Tetrahydrocannabinol

التي تولّد النشوة. والحشيشة عموماً أفعل من الماريوانا وتتوافر في شكل ذرور أو زيت أو كتل مضغوطة." قال هذا وأمرّ أربع رزم مختومة أمام أعين التلاميذ كأمثلة على أصناف الكتل المتداولة في ألمانيا الغربية.

وتابع: "ادعى بعضكم أمامي أن الماريوانا والحشيشة لا تسبّبان الادمان. دعوني أخبركم ما يحدث فعلا. فحتى ان لم تصابوا بإدمان جسديّ، فسيظل دماغكم يتذكر الحالة النفسية التي ولّدتها المادة المخدّرة وسيجعلكم تطلبون المزيد منها، خصوصاً عندما يتعين عليكم أن تواجهوا تحدياً، كامتحان مدرسي صعب مثلا. ولقد وجد الخبراء الطبيون أن مقادير ضئيلة من القنب الهندي قادرة على احداث تغييرات نفسية جسيمة، كالكآبة والهلوسات، وضرراً دائماً في الخلايا التناسلية والرئتين والدماغ."

خيم هدوء تام على الاولاد. كان واضحاً أن معلومات كهذه جديدة عليهم. وتناول سبكمان قطعة مستطيلة من الافيون الخام وقال إنه لن يُمرّها أمام الطلاب لأنها خطرة بحيث أنه كاد لا يجرؤ على التقاطها. وبعدما أطلع الاولاد على النتائج الايجابية للافيون ومشتقاته الكثيرة عندما تستخدم لاغراض طبية انتقل الى تحذيرهم من العواقب الرهيبة للهيروبين المصنوع أيضاً من خشخاش الافيون.

"قولوا لا!" الهيروبين هو القاتل الاول بين المخدرات. يُباع مسحوقه الابيض أو المسمّر في السوق السوداء ممزوجاً بمواد أخرى مثل الكافيين واللاكتوز والغلوكوز والستريكنين. قال سبكمان: "بما أن المدمنين لا يعرفون أبداً مقدار نقاوة الهيروبين فانهم يتعرّضون باستمرار لجرعات تفوق الحد." ثم عرض على الحاضرين "العدة" المستخدمة لتناول الهيروبين، مثل المناقير الملفوفة لتنشقه وإبر الحقن. وعرض بعد ذلك نتائج تعاطي المخدر. وقال انه يجعل المرء نعساناً، أو العكس، فيشعر بالسعادة لكنه يعجز عن التحكم في ما يفعل. وكيفما أخذ الهيروبين فانه يبقى الى حد بعيد مولداً للإدمان. والى ذلك فهو فاحش الثمن. وعندما يبدّد المدمنون المتوسطو الحال أموالهم على شرائه يلجأون الى الجريمة لانهم عاجزون عن التغلب على عادة تناوله، ويعانون الأرق والتعرّق المفرط والقشعريرة والغثيان والتشجنات، فضلا عن الالم الشديد. (يعرض سبكمان للطلاب الاكبر سنّاً فيلماً يبين أعراض الإدمان والانقطاع عن تعاطي المخدر، ويمنعه عن الصغار لما قد يولّده من انفعالات مؤذية لديهم.)

بعد ذلك تابع سبكمان واصفاً أخطار الكوكايين والمخدرات المركبة، وبيّن الحيل التي يعتمدها المهرّبون لإدخال بضاعتهم. فهنا تمثال جُوّف لإخفاء المخدر. وهذه كتب لُصقت أوراقها ثم أُفرغت جزئياً لتحشى فيها البضاعة الممنوعة. وكانت "تحفة" مجموعته سجادة افغانية حيك فيها ستة كيلوغرامات من ذرور حشيشة الكيف المغلّفة في ورق مشمّع ومضغوط في شكل جدائل بسماكة أربعة مليمترات.

بعد استراحة قصيرة نبَّه سبكمان طلاب الصف الى ضرورة التحلّي بالحذر من خِدَع مروِّجي المخدرات. قال: "لا تقبلوا سجائر أو ملبساً من أناس لا تعرفونهم. وأهم من كل ذلك، لا تضعوا أنفسكم في موضع المُكرَه على فعل أمر لا يريد حقاً فعله. تعلّموا أن تقولوا لا."

الاهل أيضاً. عندما تنتهي حلقة سبكمان الدراسية بعد أربع ساعات يظل الطلاب عادة يتناقشون في ما بينهم ومع معلميهم. وقد سمعت فتى يقول: "كان مفيداً أن نتعلم كيف تكون رائحة الحشيشة كي يتسنى لنا أن نكتشفها في مكان آخر." وقال آخر إنه أكيد من انه لن يجرب المخدرات بعد ما خبره عنها.

في المحاضرات التي يلقيها سبكمان في الاهل، يناقش الاسباب التي تدفع أولادهم الى تعاطي المخدرات: الفضول الصرف، ضغط الرفاق، المشاكل الدراسية، البطالة، الخوف من العجز أمام مشكلات الحياة، يقول: "كل ولد أكمل العقد الاول من عمره مهدد. ودعونا لا نخدع أنفسنا: فليس صحيحاً أن المدمنين يأتون فقط من العائلات المفككة أو المحرومة." وهو يلح على الاهل كي يستمروا في الحوار مع أولادهم ويراقبوا التحوُّلات غير المعللة في سلوكهم. لكنه ينصح: "قبل كل شيء، اذا اشتبهتَ بأن ولدك يتعاطى المخدرات، فلا يأخذنَّك الذعر ولا تُشِح بوجهك عنه، بل ابحث عن العون الفعال."

لقي عمل سبكمان في البدء مقاومة بالغة من خبراء المخدرات ومن المسؤولين، الذين فضلوا مواجهة للموضوع أقل مباشرة وترتكز إجمالا على العلاج أكثر من اعتمادها الوقاية. واليوم تلاقي ندواته الدراسية قبولا عاماً. وهو كوفىء في العام ١٩٨٠ بميدالية "الامتياز في الخدمة" التي علقها على صدره وزير المال آنذاك هانس ماتهوفر الذي قال: "كانت حلقاتك الدراسية عوناً عظيماً للكثيرين. فبفضل خبرتك ومهارتك في اجتذاب عقول الصغار وقلوبهم تمكنت من أن تطبع فيهم الأخطار الجسيمة للمخدرات."

وفي رسالة وجهتها الى سبكمان الالمانية الاولى ماريان فون فايساكر، زوجة الرئيس الاتحادي وراعية جمعية "أهالي الشباب المدمنين والمعرَّضين لخطر المخدرات": "لقد أخذت على عاتقك أن تعالج موضوعاً صعباً وشديد الاهمية. آمل أن يصبح المشتركون في ندواتك حاملين لرسالتك وعاملين على نشرها."

إدلفارد سيمون ■

إدارة الازمات: القدرة على جعل أيّ شيء يبدو أسوأ بكثير مما هو فعلا.

ر.ف.ح.

الفظاظة: أن يستمر أحدهم في الحديث فيما أنت تحاول مقاطعته.

ل.هـ.

مأساة واقعية

طيارة مبتدئة في قبضة العاصفة

كانت الفتاة تطير منفردة عندما اكتنفتها العاصفة فخلّصها صوت رفيق حازم

أقلعت الطالبة المتمرنة بطائرتها رافعة مقدمها بهدوء ونعومة عن مدرج المطار في غرب لافاييت بولاية انديانا وتوجهت جنوباً. انها الحادية عشرة والربع من صباح ١٤ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٧. والسماء صافية في ما خلا بعض الغيوم العالية الصغيرة.

كانت كيم ستال في الثامنة عشرة من عمرها وفي سنتها الاولى بجامعة بوردو في لافاييت. وكانت تقوم برحلتها الثانية المنفردة فوق الضاحية، كجزء من مقررات شهادة الطيران. وكان عليها أن تطير مسافة ١٣٧ كيلومتراً جنوباً في اتجاه بلومنغتون، ثم غرباً في اتجاه ماتون بولاية ايلينوي، ثم العودة الى لافاييت.

Illustrations: Jeffrey Mangiat



وهي رحلة تدوم ثلاث ساعات. وكانت كيم، منذ بدأت تواظب على دروس الطيران قبل ثلاثة أشهر، أتمت ثلاثين ساعة طيراناً برفقة مدربها. وكانت متلهفة لانهاء مقرَّر الطيران فوق الضاحية قبل حلول عطلة الميلاد، كي تتأهل للالتحاق ببرنامج الطيران في جامعة بوردو في الفصل الدراسي الثاني.

في منتصف المسافة الى بلومنغتون لاحظت كيم أن الغيوم تزداد كثافة في الافق. الا أنها لم تقلق، اذ لم يكن متوقعاً هبوب عاصفة قبل فترة بعد الظهر، كما أن الغيوم بدت بعيدة جداً.

أجالت كيم نظرها على أجهزة القيادة في الطائرة، وهي من طراز "بايبر توماهوك." لم يكن هناك كثير من الأجهزة داخل الطائرة الصغيرة الصاخبة البرتقالية والبيضاء اللون. لم يكن هناك سوى بوصلة وجهاز لقياس الارتفاع وآخر لسرعة الهواء ومقياس لالتفاف الطائرة ومؤشر لسرعة دوران المحرك وآخر لكمية الوقود وهناك أيضاً جهاز متلقٍّ - مستجيب(١) يرسل اشارات تتيح لمراقبي حركة الطيران أن يتعرفوا الى الطائرة على شاشة الرادار ويتعقبوها.

لاحظت كيم أن الغيوم تزداد كثافة وأن مستواها يزداد انخفاضاً كلما تقدمت صوب الجنوب. ومن دون ان تدري كانت العاصفة تتجه نحو مسار الطائرة بسرعة أكبر مما توقعته مصلحة الأرصاد الجوية.

وقبل ١٥ كيلومتراً من بلومنغتون لاح أمامها خط طويل قاتم بدا كأنه غيوم كثيفة. الا أن كيم لم تكن رأت شيئاً كهذا من قبل. وعندما اقتربت أكثر تحول الخط جداراً من الغيوم ينذر بطقس مشؤوم. كان الجدار يعلو من مستوى الارض ليبلغ ارتفاعاً أعلى من الطائرة. فجأة حجبت الغيوم نور الشمس. وحاولت كيم البقاء على ارتفاع ٩٠٠ متر، وكانت قبضتاها تمسكان أجهزة القيادة بإحكام.

وما هي الا ثوان حتى بدأ الثلج يتساقط على الزجاج أمامها. وبعدما انحرفت عن مسارها بات صعباً عليها أن تميز الاشارات اللاسلكية التي يرسلها برج مطار مونرو في بلومنغتون. وأخذت تتذكر تعاليم مدربها عن "القاعدة الاولى" التي يجب على التلميذ الطيار أن يتبعها خلال طيرانه في عاصفة، وهي الخروج منها بأسرع ما يمكن.

ففكرت: أنا قريبة جداً. سأحاول الهبوط في بلومنغتون.

ولكن بعد ثوان ابتلعتها العاصفة. متران من الجناحين كانا كل ما استطاعت رؤيته على جانبي الطائرة. وكل شيء سوى ذلك غيوم ملبدة.

"سنهتم بها". بذلت كيم جهداً لتبقى مسيطرة على نفسها وعلى الطائرة. وهزت رأسها كي تتمكن من التركيز، الا ان ذلك لم يجدِ. انحرفت عن خط سيرها على نحو خطير، ولم تعرف ما اذا كانت ترتفع أم تهبط، تطير في خط مستقيم أم منحرف. كانت الأجهزة تشير الى ذلك، لكن كيم كانت في حال تقارب الذعر، فضلا عن أنها لم تكن تعلمت بعد الاعتماد كلياً على الأجهزة عندما تتعذر رؤية الارض أو الافق.

(١) Transponder



ظنت أنها ترتفع، لكنها في الواقع كانت تندفع بسرعة نزولا نحو الارض. كانت الطائرة تهبط عمودياً: ٣٦٥ متراً، ٣٠٥ أمتار، ٢٤٥ متراً...

وعلى ارتفاع ١٥٠ متراً من سطح الارض خرجت طائرة كيم من الجو الضبابي هنيهة، فارتاعت الفتاة لرؤية الارض تتجه بسرعة كبيرة نحو طرف الجناح الأيسر. وللحظة كانت الصلاة كل ما وسعها ان تفعل: أرجوك يا الهي، لا تدعني أموت.

الا أن منظر الارض تقترب أجبر كيم على العمل سريعاً. فتمكنت بطريقة ما من حد هبوطها ورفع جناحي الطائرة قبل

أن تعود الى الغيوم. فأخذت نفساً عميقاً وفكرت: علي أن أضبط أعصابي.

قررت الارتفاع بالطائرة. ومع أنها لم تكن قادرة على رؤية أي شيء فانها شعرت بالامان أكثر اذ ازدادت المسافة التي تفصلها عن أرض انديانا.

أدركت كيم الآن أن أول مشكلة عليها حلها هي أن تعرف أين هي ومن أين يمكنها الحصول على مساعدة. جهاز الراديو! كادت ان تنساه. أبقت يداً على أجهزة القيادة وراحت تبحث بغير هدى عن موجة الارسال التي يعتمدها برج المراقبة في تيرهوت بانديانا.

طلبت الرقم على الجهاز، وأمسكت بالمذياع وعرّفت بنفسها، كما تعلمت، برقم طائرتها: N2364N، فبات اسمها، في لغة الطيران، "٦ - ٤ نوفمبر" اشتقاقاً من الرقمين الاخيرين والحرف الاخير.

شعرت كيم بموجة من الارتياح تغمرها عندما قرقع صوت المراقب في تيرهوت عبر المذياع الذي كان على رأسها. وعندما علم أنها تلميذة طيارة لم تتمرن كفاية على أجهزة الطيران اتصل فوراً ببرج المراقبة في مطار إنديانابوليس الدولي. فقد كان الطقس هناك أفضل. فالغيوم على ارتفاع ١٥٠٠ متر والرؤية حسنة حتى مسافة ١١ كيلومتراً. واذا ما حالف الحظ الفتاة فيمكن برج المراقبة ان يوجهها لكي تهبط في إنديانابوليس.

طلب جون ريل (٥٣ عاماً)، المراقب النهاري في مطار إنديانابوليس، من تيرهوت ارسال الطائرة اليه قائلا: "سنهتم بها." وكان ريل يعلم كم هو حرج وضع كيم. فالطيران وسط رؤية سيئة اعتماداً على الاجهزة يرعب حتى الطيارين الماهرين. أما هذه الفتاة فهي حديثة العهد بالطيران. ففكر ريل في ابنته، وقال وهو يتسلم مكان المراقب على شاشة الرادار الدائرية التي يمكنها تحديد موقع طائرة كيم وتعقبها: "سأرشدها في عملية الهبوط." وقال في نفسه: على الرئيس أن يتسلم زمام الامور في الحالات الطارئة. واذا ما نجحت هذه العملية فستكون الثالثة من نوعها خلال السنوات الـ٣١ التي أمضاها في مهنته. لكنه علم ان اعصابه لم تكن كما كانت في السابق. لا بل كان يتساءل في المدة الاخيرة عما اذا كان عليه أن يتقاعد.

خط أحمر. سُمع صوت نحيف خائف عبر المذياع: "إنديانابوليس، لا أعرف أين أنا، احتاج الى مساعدة أرجوكم." فوضع ريل سماعتي الرأس على الفور وحوّل مهمة تعقب ثلاث طائرات أخرى الى مراقبين آخرين. ان حياة كيم تعتمد كثيراً على قدرة ريل على تهدئتها وإنشاء صلات قوية من الثقة بين الاثنين. وأُعطيت كيم رمزاً من أربعة أرقام لتدخله جهازها المتلقي - المستجيب، فظهرت صورة "٦ - ٤ نوفمبر" على شاشة الرادار كنقاط مضيئة. فحدد ريل للفتاة موقعها. انها على بعد ١٩ كيلومتراً شمالا من بلومنغتون. كما زودها المسار الواجب اتباعه للوصول الى إنديانابوليس.

فسألها: "هل يمكنك رؤية أي شيء؟"

فأجابت بنبرة غلب عليها الأسف: "لا، لا شيء البتة."



كانت لا تزال في قلب العاصفة تتجه شمالا على ارتفاع ٨٨٠ متراً.

قال ريل بصوته الرقيق الهادئ: "٦ - ٤ نوفمبر، يبدو أنك تدورين على نفسك."

فوصل جواب كيم غير مفهوم: "آه، لا أعلم، لا يمكنني..." بدت كأنها على قابي قوس أو أدنى من الانهيار. فقال ريل في نفسه: لقد أفلتت مني.

"حسناً يا "٦ - ٤ نوفمبر"، لا تضطربي. اجعلي جناحي الطائرة أفقيين وراقبي سرعة الريح. كل شيء على ما يرام."

لم يكن الوضع على ما يرام في الحقيقة، لكنه كان يعلم أن عليه أن يعزز ثقة كيم بنفسها.

فقالت كيم: "حسناً، حسناً." وأجبرت نفسها على التنفس عميقاً. إنه على حق، عليّ أن أحافظ على رباطة جأشي. وأدركت ان الصوت المنبعث من الراديو هو خشبة خلاصها وأملها الوحيد.

كانت تطير أفقياً عندئذ على بعد ٣٢ كيلومتراً جنوب إنديانابوليس.

"هذا أفضل كثيراً يا ٦ - ٤ نوفمبر." ولكي يدعها ريل تتكلم أخذ يسألها من أين انطلقت والى أين كانت متجهة وكم بقي لديها من الوقود. كان وجهه يبعد

بضعة سنتيمترات عن شاشة الرادار وكانت قطرات العرق تغطي جبينه.

ثم لاحظت كيم خطراً آخر. فقد كان مؤشر قياس سرعة الهواء يترجح على نحو غريب، وهذه علامة على تجلّد في أنبوب سحب الهواء في الآلة. فغمرها خوف جديد. فمن المحتمل، اذا كانت تجهل سرعتها، أن تخفف السرعة لتبلغ ٤٧ عقدة(٢) وهي سرعة يتوقف فيها محرك الـ"توماهوك" عن الدوران فتهوي الطائرة وهي تدور على نفسها. واذا تجاوزت سرعتها الخط الأحمر المحدد بـ١٣٨ عقدة، فقد تنفصل أجزاء الطائرة بعضها عن بعض.

ريف انديانا . قبضت كيم على المذياع وبدأت تصرخ أن مؤشر سرعة الهواء في الطائرة لا يعمل. الا أن البث كان ضعيفاً يتعذر سماعه، فلم يفهم ريل ما كانت تقوله، فرد بتؤدة: "لا تضطربي كثيراً يا ٦ – ٤ نوفمبر." فهو رأى على الشاشة أمامه أن كيم توجهت الى الجنوب – الشرقي وأصبحت في خطر أكبر لأنها تتوغل داخل العاصفة.

"أريد منكِ أن تنعطفي قليلا نحو اليسار. هل يمكنكِ القيام بذلك لأجلي؟"

فاستدارت يساراً كما طلب منها ريل وهي تستمد القوة من صوته الحازم. وراقب ريل بارتياح تغير مواقع النقاط على الشاشة مع كل دورة للرادار.

"انك تقومين بعمل جيد حقاً يا ٦ – ٤ نوفمبر." لقد بدأت تشتد أواصر الثقة بينهما كما أراد.

"ما هي سرعة الهواء عندكِ الآن؟"

ردت كيم: "١٦٠"، ناسية اهتزاز المؤشر. فخفق قلب ريل بعنف. فما كان يخشاه هو أنها تجاوزت خط السرعة الاحمر. فأشار عليها محاولا إخفاء خوفه: "اسحبي الصمام الخانق."

وأتى رد كيم هادئاً: "لقد سحبت الصمام الخانق."

كانا كلاهما يعرفان أن تلك الثواني القليلة هي الأصعب في رحلة "٦ – ٤ نوفمبر" منذ اندفاعها الأعمى نحو مطار مونرو. فقد يتوقف محرك الطائرة اذا ما سحبت الفتاة الصمام الخانق كثيراً الى الوراء.

كانت كتفا ريل تؤلمانه من شدة الانحناء الى الامام. وكلما مرت بضع دقائق كان يظهر مراقب آخر في غرفة الرادار المظلمة ويقف وراءه من دون أن يقول شيئاً، تشجيعاً للمراقب المحنك.

لقد أعطى كيم تعليماته بالشروع في هبوط تدريجي. فقال لها: "إنك تقومين بعمل رائع. ستبدأين الهبوط عما قريب."

فردت كيم بحزم: "٦ – ٤ نوفمبر، حسناً." كان في امكانه سماع التغير الذي طرأ على صوتها. لم تعد طفلة مرعوبة، ففي مواجهة التحدي أخذت تشعر كأنها طيار محنك.

وعندما أصبحت كيم على بعد ١٦ كيلومتراً من المطار سمع ريل الكلمات التي كان يصلي لسماعها، فقد صرخت الفتاة والبهجة تغمرها: "أستطيع رؤية الأرض الآن!" رأت بقاعاً من انديانا الريفية، حقول ذرة تلمع من خلال الغيوم.

---

(٢) العقدة مقياس للسرعة وتساوي ١٨٥٢ متراً في الساعة.

"هل تشعرين بتحسن الآن؟"

- "٦ - ٤ نوفمبر، أنا بخير."

وفكر ريل: هذه ليست فتاة موشكة على الموت.

فقال لها ريل: "سنجعلك تهبطين على المدرج الطويل." وكان طقس إنديانابوليس يزداد سوءاً بسرعة ولم تكن تفصل العاصفة عن كيم الا دقائق معدودة.

رسالة عزيزة. بعدما تلقت كيم تعليمات ريل الأخيرة صمت جهاز الراديو في الطائرة. وبعد لحظات اتصل برج المراقبة بريل وأنبأه: "انها هبطت الآن." فأرخى ريل كتفيه وارتاح للمرة الاولى منذ ٤٥ دقيقة.

وأجرت كيم اتصالا للمرة الأخيرة: "٦ - ٤ نوفمبر، أنا على الارض الآن." وأوقفت الطائرة على جانب المدرج وانهارت متشنجة. كانت ضعيفة ومرهقة الى درجة اضطر معها فريق انقاذ الى مساعدتها في الخروج من الطائرة.

ووقف ريل وتمطّى. كان مصفر الوجه لكنه بدا مبتهجاً، فهو كان يفكر: ان هذا الموظف القديم لا يزال يملك ما يلزم من الخبرة. على التقاعد أن ينتظر.

بعد ثلاثة أسابيع، عادت كيم لتجلس في مقعد الطيار وتتمرن على الاقلاع والهبوط ليلا. ولاحظ مدربها أنها أكثر ثقة بنفسها وأن قيادتها باتت أكثر نعومة. وحازت اجازة في الطيران الخاص بعد عطلة الميلاد وقبلت في برنامج "بوردو".

وتلقى ريل تنويهاً من ادارة الطيران الاتحادية لدوره الرائع في مساعدة الفتاة على الهبوط. وفي شهر مايو (ايار) كان واحداً من أربعة مراقبين اختيروا لنيل جائزة خاصة قدمها نادي الطيران في واشنطن الى قسم الطيران المدني التابع لادارة الطيران الاتحادية.

الا أن الجائزة التي حازت رضى ريل على نحو خاص هي الرسالة التي تلقاها بعد أيام، وفيها: "لقد كانت هذه أرعب تجربة في حياتي، إلا أنك منحتني الثقة لاجتيازها. أنا مدينة لك بحياتي وأقدّر كل ما فعلته من أجلي." وكانت الرسالة مذيلة باسم "كيمبرلي ستال، (٦ - ٤ نوفمبر)."

دونالد ديل جاكسون ■



العنوان الصحيح

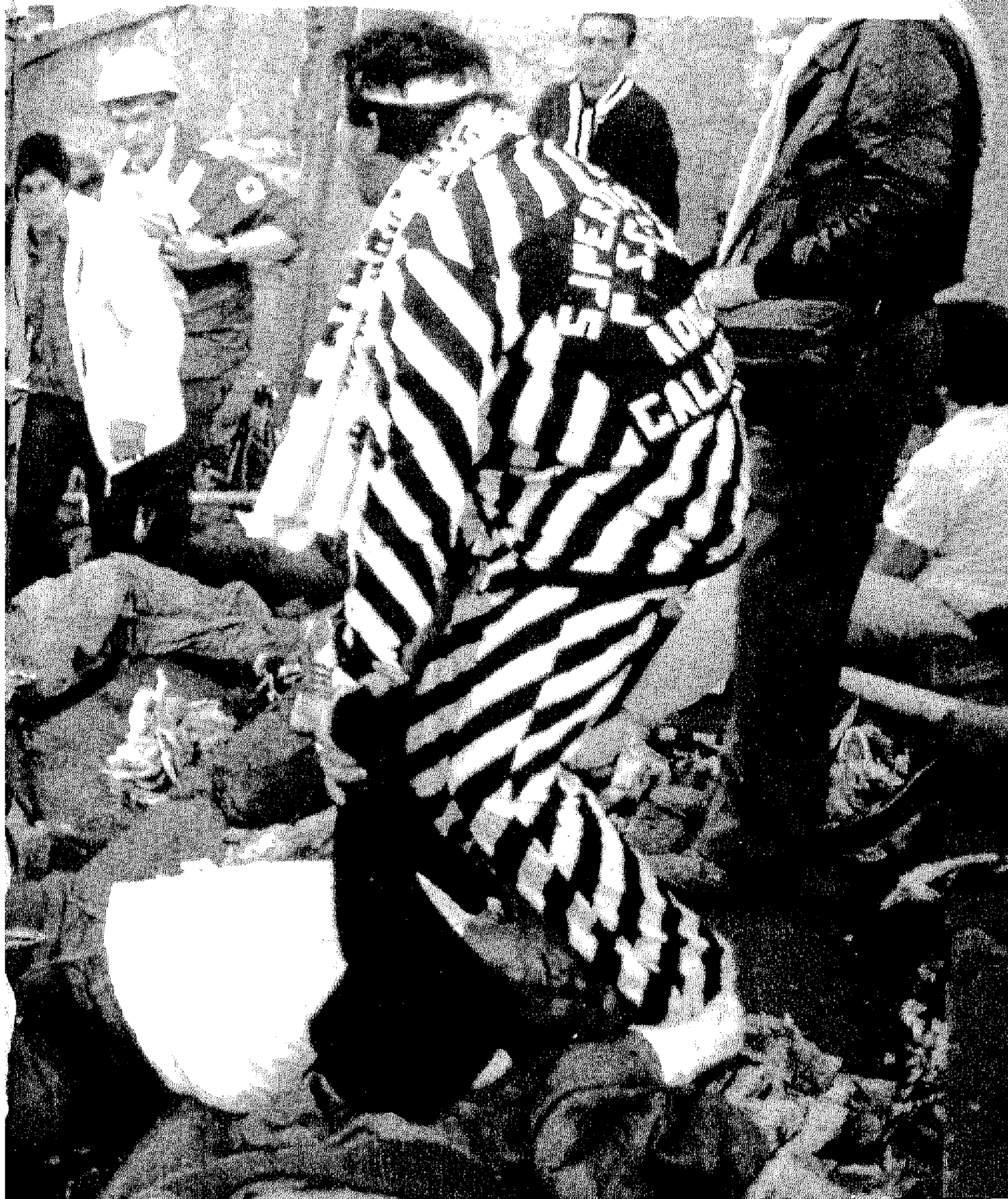
كان الطبيب البيطري المناوب على وشك مغادرة غرفة الانتظار في ذلك المساء عندما سمع قرعاً على الباب. لم يسترعِ الامر انتباهه في البدء، ولكن عندما صار القرع اكثر إلحاحاً فتح الباب ليشاهد راكون (★) مهتاجاً وقد علق رأسه في مرطبان (جرّة) مربّي الاجاص. وكان الراكون يضرب بالجرة باب عيادة الطوارىء البيطرية!

وبعدما ازيلت الجرة العالقة في رأس الحيوان مضى في سبيله مفتشاً عن الطعام.

(★) حيوان ثديي من اللواحم، موطنه شمال امريكا.

ج.ن.

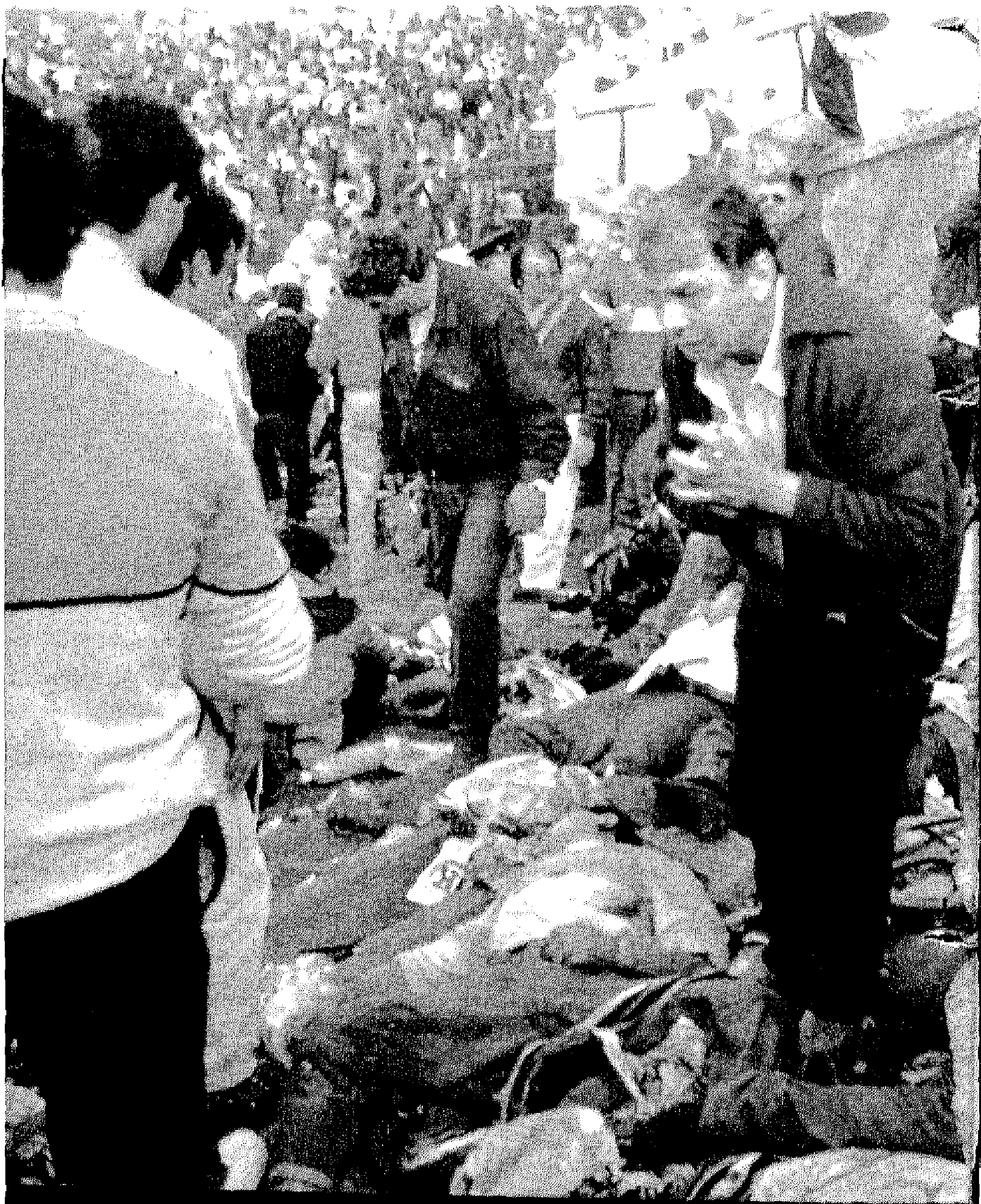
مشاغبو الملاعب



زمر ثائرة من المشاغبين
والمجرمين المحترفين حولت أحب الرياضات الشعبية
ساحات معارك وحمّامات دم

Photo: Alain Schroeder / Sipa-Press

في ملعب هيزل في بروكسل، مايو (أيار) ١٩٨٥.



دوسلدورف (ألمانيا الغربية)، ابريل (نيسان) ١٩٨٨. طوال الشهر كان حشد من المراقبين المتخصصين يتفحصون ملعب "رينشتاديون" الجميل الذي يتسع ٦٨٤٠٠ مشاهد، حيث سيلتقي الفريقان الوطنيان الهولندي والبريطاني في الخامس عشر من يونيو (حزيران) في أشد المباريات سخونة في دورة بطولة اوروبا بكرة القدم. كانوا يتفحصون اصلاحات ضرورية طارئة كلفت أربعة ملايين و٣٤٠ ألف مارك ألماني (مليونين و٥٣٠ ألف دولار) وقضت بانشاء ممرات محصورة ومدرجات لا تتسع لاكثر من ٢٥٠٠ شخص وكل مدرَّج مسوّر بحيث يحول دون وصول مؤيدي أحد الفريقين الى مؤيدي الفريق الآخر مما قد يثير شغباً تتعذر السيطرة عليه.

كرة القدم، أكثر الالعاب الرياضية الاوروبية شعبية، أصبحت أبعثها خطراً مميتاً. منذ الستينات قضى مئات في اضطرابات الملاعب، وضُرب مئات وطعنوا بالخناجر وديسوا بالاقدام وشوِّهوا بهمجية تلفح الآن كل بلد تمارس فيه هذه اللعبة.

في الرابع عشر من مارس (آذار) ١٩٨٥ كانت رئيسة الوزراء البريطانية مارغريت تاتشر تشاهد أخبار المساء على شاشة التلفاز، فاذا بالرعب يتملكها. رعاع سفاحون ثاروا وسط المدارج واقتحموا الملعب أثناء المباراة الاخيرة على أحد الكؤوس في لوتن، المدينة الصناعية المجاورة للندن، وأخذوا يشقون الجماجم ويرشقون رجال الشرطة بالقناني والنبال والمقاعد المحطمة. بعد ذلك اكتسح مؤيدو فريق ملوول المدينة المروّعة وهم يحطمون واجهات المتاجر ويقلبون السيارات، وأخيراً دمروا القطار الذي سينقلهم الى ديارهم. جرح في أعمال الشغب سبعة وأربعون شخصاً بينهم ثلاثة وثلاثون شرطياً. وقدرت الاضرار بسبعين ألف جنيه استرليني (١٣٦ ألف دولار). صرخت رئيسة الوزراء المتميزة غيظاً: "هذا لا يمكن ان يستمر."

لكنه استمر. وغدا أسوأ. يوم السبت ١١ مايو (أيار) توفي فتى في الخامسة عشرة من العمر وأصيب مئة وثمانون مشاهداً بأضرار مختلفة بعدما تسبب مشاغبون في مباراة بين فريقي برمنغهام وليدز، في سقوط جدار علوه ثلاثة أمتار ونصف متر على المشاهدين. ويروي الصحافي روب هيوز أنه رأى ممرضة تجثو



Frilet / Sipa-Press

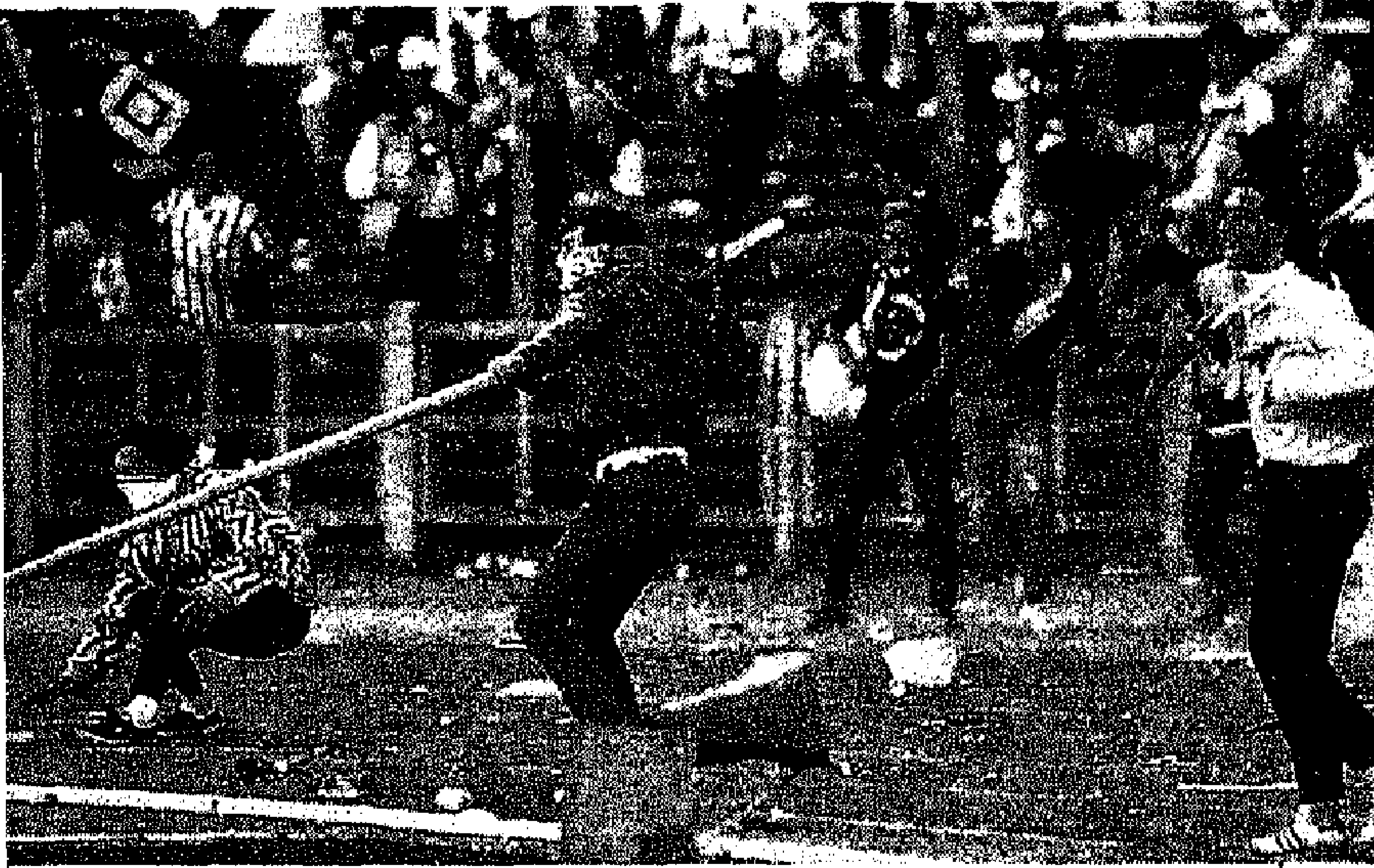
بعد حادث شغب في بريطانيا، مايو (أيار) ١٩٨٥.

على ركبتيها لمواساة الفتى المحتضر، وأحد المشاغبين يرفسها برجله فتغيب عن الوعي.

المجزرة. في ٢٩ مايو (أيار)، تجمّع ٥٨ ألف شخص في ملعب هيزل في بروكسل لمشاهدة مباراة الكأس الاوروبية بين ليفربول البريطاني وجوفنتوس الايطالي. في المدرجات الواقعة في الطرف الجنوبي الشرقي من الملعب كان انكليز شرسون وأنصار فريق جوفنتوس، يستفز بعضهم بعضاً عبر السياج المعدني الفاصل بينهم. وسرعان ما تطايرت الحجار، كذلك علب المرطبات. فجأة اقتحم الانكليز السلك الركيك وحملوا على الايطاليين الذين يقلون عنهم عدداً وأخذوا يضربونهم بقضبان حديد اقتلعوها من السياج. وفي ساعتين شديدتين من المياج الجنوني قتل تسعة وثلاثون شخصاً، سحقاً ودوساً واختناقاً، واصيب نحو أربعمئة.

أشاعت أخبار التلفاز المصورة الرعب عبر العالم. وطلبت الشعوب المتمدنة في كل مكان تصفية الحساب. منعت كل نوادي كرة القدم الانكليزية من الاشتراك في المباريات الاوروبية. وكلفت قوة مؤلفة من خمسين شرطياً من ليفربول دراسة الاشرطة التلفزيونية وصور الصحف. فتحققت من هويات ستة وعشرين مشاغباً يحاكمون الآن في بلجيكا ويواجهون حكماً بالسجن ربما لعشر سنين. وفي بريطانيا تعهدت نوادي كرة القدم تعزيز الامن وتشديد القيود على تناول الكحول في الملاعب، ووضع مزيد من السياجات للفصل بين الاضداد.

Damanet / Sipa-Press


في ملعب راينشتاديون في دوسلدورف، يونيو (حزيران) ١٩٨٨.

عندما سكت صوت الحميّا لوحظ تعزيز كثيف لرجال الشرطة في الملاعب التي أصبحت تشبه سجوناً صارمة. وبات عنف المشاغبين خارجاً، منتقلا الى الشوارع المحيطة المجاورة لحانات ومحطات النقل العام. وفي العام ١٩٨٧ ارتفعت الكلفة السنوية لحفظ النظام في ملاعب كرة القدم البريطانية الى عشرة ملايين جنيه استرليني (١٨ مليون دولار) يتحمل ثلثيها المواطنون، دافعو الضرائب.

أما العقاب فيبدو أنه لم يكن رادعاً، لانه – بحسب الظواهر – نادراً ما كان حازماً. في الشتاء والربيع الفائتين (١٩٨٨) نجحت الشرطة البريطانية في

تصفية ست من العصابات المشاغبة، ولكن من مئات المجرمين الذين أوقفوا أرسل عدد قليل الى السجن.

بالنسبة الى المتهمين بمأساة هيزل، أدت مناورة قانونية قام بها الدفاع الى حفظ القضية معلقة قرابة ثلاث سنوات. وأخيراً بدأت المحاكمة في ١٧ أكتوبر (تشرين الاول) وينتظر أن تستمر بضعة أشهر.

عنف مدروس. لندن، مايو (أيار). من اجل شراء بطاقات لمباريات البطولة الاوروبية، كان على أنصار الانكليز أن يجيبوا عن مجموعة أسئلة مفصلة، وتقابل الاجوبة في ما بعد مع "لائحة سوداء" تتضمن أسماء عصابات معروفة. وعين مخبرون سريون للسفر مع جماعات مشتبه بها. لم يكن ثمة أبداً تعاون بين قوى الشرطة في أوروبا الغربية أشد منه اليوم.

ولكن كانت هنالك علامات شؤم سود. فقد ظهرت قمصان طبع عليها: "غزو بريطانيا لألمانيا، ١٩٨٨." ان البروفسور لود وولغريف، العالم النفساني ورئيس دائرة علم الاجرام في جامعة لوفن ببلجيكا، الذي كان يجري دراسة على شجون لعبة كرة القدم لمصلحة الحكومة البلجيكية، يروي أن تصادماً بين انصار الجانبين الهولندي والانكليزي هو الآن قيد التحضير. انهم يقصدون أن يظهروا من هي الجماعة السفاحة الرقم ١ في أوروبا.

كرة القدم وعنف الجماهير يسيران معاً. انها لبلوى عالمية. في العام ١٩٦٤ قتل ٣٢٠ شخصاً في ملعب ليما الوطني في البيرو في أحداث شغب تلت قرار الحَكَمْ الغاء هدف لفريق البيرو. وفي العام ١٩٦٩ ولّد خصام أعمال عنف بين أفراد فريقي هندوراس والسلفادور أثناء دورات التأهيل لكأس العالم، الى حد نشوب حرب فعلية بين البلدين انتهت بألفي قتيل.

"شغب الفوتبول"، ذاك العنف المدروس والمنظم بعناية والذي عرف سابقاً بـ"المرض الانكليزي" نظراً الى المنحى الذي نحاه في بريطانيا، هو الآن مرض أوروبي. عام ١٩٨٧ في لاهاي كان فريقان هولنديان يلعبان في حضور ٥٠٠ شرطي كُلفوا ضبط سلوك الجمهور المؤلف من قرابة عشرين ألفاً، فبلغت مشاجرة ذروتها في المدارج مما استدعى الغاء اللعب بعد انتهاء الشوط الاول. وفي اسبانيا، بعد بضعة أشهر، أمرت السلطات الامنية فريقي ريال مدريد ونابولي بأن يلعبا مباراتهما في ملعب خال، خوفاً من هيجان لا يمكن ضبطه. وبعد أشهر من انتصار ايطاليا على ألمانيا الغربية في نهائي كأس العالم للعام ١٩٨٢ ظل المشاغبون الالمان يحطمون نوافذ السيارات التي تحمل لوائح ايطالية.

[illegible]. بالنسبة الى مجرمي الكرة في العالم، البريطانيون هم مثال المحترفين الحقيقيين، وغزوهم الهمجي لاوروبا مصدر رعب وحسد. فمن هم هؤلاء الاجلاف "الذين أحدروا علم بريطانيا الى الحضيض في ملاعب أوروبا،" كما جاء في رسالة رئيس نادي

لوتن لكرة القدم الى صحيفة "دايلي تلغراف." هل شغب كرة القدم هو ثورة منبوذي المجتمع من فقراء وعاطلين عن العمل؟.

يقول مساعد مدير شرطة مانشستر ديفيد فيليبس الناطق الرئيسي باسم الشرطة البريطانية حول هذا الموضوع: "لم يدلّ بحثنا على هذا الامر. والواقع أن عدداً ضئيلا جداً من المشاغبين عاطل عن العمل." ويؤمن فيليبس بالتعليل النفسي أكثر مما يؤمن بالتعليل الاجتماعي. انه يرى أن للمشاغب شخصية صعبة التكيّف. انه شخص ضعيف الثقة بنفسه، يموه ضعفه بالتبجح والوعيد. شخص لا يجلّ العلاقات العائلية، تعوزه القدرة على الحب والعطف، ويخذل الآخرين على الدوام.

أما صورة وسائل الاعلام لمشاغب كرة القدم - رأس حليق وحذاء بال وسروال جينز قذر - فتحتاج أيضاً الى تعديل. فها هو تيري لاست، قائد مشاغبي تشلسي، رجل متأنق بصدرة صوفية ثمينة وحذاء رياضي حديث وشعر مصفف. في العام ١٩٨٥ حين كان في قمة مجده، كان في الثالثة والعشرين من العمر، يكسب مئة وعشرين جنيهاً استرلينياً في الاسبوع ككاتب في مؤسسة محاماة لندنية.

كان تيري لاست يسجّل اليوميات بدقة شديدة. دوّن المعارك والاصابات التي خلفتها زمر المشاغبين. هل طعنوا مؤيدي نيو كاسل بالسكاكين؟ هل رموا تلميذاً من نافذة في ساوث بورت قاطعين له شرياناً ومتلفين أعصاباً؟ دونت الهجمات في مفكرة لاست باسهاب شرس. الامر الوحيد المفقود كان ذكر كرة القدم. ان ما حدث على الملعب لم تكن له، منذ امد طويل، أي علاقة بالرياضة.

بدا البغض وقود لاست وهو يبحث في المدارج عن "الاعداء"، أي عن أيّ شخص يهتف ضد تشلسي. وعندما يجد جماعة عدوة كان يرسل اليها سفاحيه، نحو مئتين منهم. عندئذ فقط كان يرضى ويرتاح.

أوقف في مارس (آذار) ١٩٨٦ وكان بين القلائل الذين ثبتت عليهم الجريمة. وحكم على لاست بعشر سنين سجناً.

[illegible] - شتوتغارت، ١٢ يونيو (حزيران). مؤيدو الفريق الانكليزي البالغ عددهم ثمانية آلاف يراقبون بغضب صامت فيما فريقهم يتراجع أمام فريق جمهورية ايرلندا. جرت المباراة في ظل حصار، والشغب متعذر في مدارج الملعب. أما في الخارج فزمر الاشقياء الثملين تملأ الحانات صخباً وعراكاً. أوقفت الشرطة خمسة وثمانين شخصاً بينهم سبعة وستون انكليزياً. من هؤلاء بقي ستة عشر في الحجز، أما الآخرون فأطلقوا قبل ميعاد السفر الى دوسلدورف، حيث سيحصل "أكبر شغب منذ الحرب العالمية الثانية،" كما وعد أحد الاشقياء الثملين.

ينتقد الشرطي فيليبس وسائل الاعلام في مفهومها لمشاغبي كرة القدم كمحاربي عطلة الاسبوع أو كفتيان محترمين ينحدرون الى الدناءة بعد ظهر السبت. قال: "معظم الذين تعاملت معهم كانوا لصوصاً ونشالين وأشقياء موهوبين للقيام بهجمات وأعمال عنف."

ويصف وولغريف تشكيلا ثلاثي الصفوف ترئسه حثالة من العاطلين عن العمل "المحتـرفين". هؤلاء يبلغون قـرابة المئتين في بلجيكا. ويتجمع حولهم ألوف من الشبان الاصغر منهم سناً الذين يودون أن يصبحوا "محترفين"، هؤلاء يرمون بأنفسهم في أعنف المعارك أملا بجذب انظار القادة. وهنالك أيضاً أعداد من المراهقين الذين يتقاطرون الى ألعاب الحروب ولكن لا يقاتلون.

كان البروفسور وولغريف الأول في تفصيل الروابط بين زمر المشاغبين في بلدان مختلفة: تحديات، وتعهد بالتأييد ضد الاعداء المشتركين. وأساس معظم هذه الاتصالات العالمية هو التعصب اليميني العنصري في ايديـولوجيـة المشاغبين. وقد وزع مؤيدو تشلسي مئات من البطاقات المطبوعة تحمل أبشع الدعوات العنصرية!

عندما تسافر عصابات كرة القدم الانكليزية الى الخارج، تكون رؤوس افرادها ملأى بأساطير النصر. بعضهم قادة، وبعضهم أتباع، وكلهم مقتنع، كفريق اللعب، أنه يرفع شرف بريطانيا.

يخال بول سكاروت نفسه قائداً. هو في الثانية والثلاثين من العمر، مهندس كهربائي، بلا عمل، من عائلة ذات أساس متين. أمضى مدداً في السجن من أجل عنف يتعلق بكرة القدم. وهذه المدد لا تشمل مدة توقيفه في شتوتغارت في عطلة نهاية الاسبوع التي افتتحت فيها الالعاب، بتهمة قيادته معركة شارعية أنشدت فيها شعارات نازية. أرسله الالمان الى بلاده بدلا من احتجازه. وقد أبلغ سكاروت الى الصحافيين أنه ترك "الجنرالات" وراءه وأن شوارع دوسلدورف ستحمّر بدم الالمان.

سأله أحدهم: "ماذا جنيت من العنف؟"

أجاب وهو ينظر شزراً: "قليلا من الاثارة. لهذا السبب أفعل ما أفعل... ولأن الحانات لا تفتح أربعاً وعشرين ساعة في اليوم."

تدابير ضرورية دوسلدورف، ١٥ يونيو (حزيران). الفريق الهولندي هزم الفريق الانكليزي بثلاثة أهداف في مقابل هدف واحد. وعنّ للانكليز أن يندفعوا بجنون ويضربوا من في طريقهم. لكن ذلك لم يحدث، فالاستعدادات الدولية أعطت ثمارها: ألفان وخمسمئة شرطي محلي، تدعمهم مروحيات تكشف عدسـاتها التلفزيونية الاضطراب عند وقوعه، نجحوا في ابعاد مؤيدي الانكليز عن مؤيدي الهولنديين. طوال النهار وخلال الاسبوع اللاحق حدثت مشاجرات متفرقة وأوقف المئات، لكن الاسوأ تم تفاديه.

يرى الخبراء أن جبه المشاغبين باجراءات أمنية أعنف هي معالجـة للأعراض فحسب. المطلوب برنامج دولي ينذر عناصر الشغب في كل الدول بأن الحفلة انتهت. ومن المستحسن البدء بقبول الحقيقة المخيفة: انه، لمدة طويلة، لن تجرى مباراة دولية بكرة القدم في أوروبا لا يتخللها عنف من العصابات الانكليزية. لذلك:

□ يجب أن تعلن بريطانيا انسحابها من بطولة كأس العالم للعام ١٩٩٠ التي بدأت دوراتها التأهيلية في خريف ١٩٨٨.

□ يجب أن تفرض قيود، بأوامر قضائية، على أي سافر الى الخارج له سوابق في عنف كرة القدم.

□ المسيؤون في الخارج يجب أن يحاكموا ويعاقبوا حيث هم.

□ عربدة كرة القدم تدعو الى اصدار أحكام إلزامية قاسية كتلك التي أعدّت للشغب والفوضى العنيفة والقيادة السكرى للسيارات، تلك الاعمال التي تتضمن الاذى الجسماني.

□ يجب أن يستمر تحريم الكحول في ملاعب كرة القدم، وحظره أيام الالعاب في أي مكان مجاور. ويعاقب المخالفون بثلاثين يوماً سجناً وبغرامة تبلغ خمسمئة جنيه استرليني (٩٠٠ دولار).

□ يجب أن تكون للسلطات المحلية القدرة على الغاء اللعب قبل بدئه، أو في أي وقت لاحق، اذا ما كان النظام العام مهدداً.

□ يجب حمل أصحاب النوادي على تحسين التسهيلات في ملاعبهم، ووضع مقاعد في كل مناطق الوقوف في المدارج.

هنالك شيء ما في برنامج كهذا قد يزعج أي نصير لكرة القدم. ولكن اذا ما تم تبنيه فان هنالك فرصة جيدة لاعادة اللعب الى مؤيديه الحقيقيين: المشاهدين الذين لهم حق التمتع برياضتهم المفضلة لا الخوف منها.

لورنس إليوت ■

اعراض موسيقية!

تستعيد الممثلة الامريكية هيلين هايز، في سيرتها الذاتية، مناسبة طغت فيها حماسة والدتها على إدراكها الواقعي للامور:

"منذ كنت طفلة صغيرة لم يظهر فنان في العاصمة واشنطن الاّ وشاهدته. وعندما أُعلن برنامج العازفة الشهيرة ميسشا إلمان ذهبت مع امي لحضور احدى حفلاتها واتخذنا مكانا لنا في البلكون. وكانت امي لا تزال تظن أن عزف الكمان هو ما يجب ان يكون مهنتي وتحاول ان تقنع والدي بتعليمي العزف عليه. وخلال الحفلة الموسيقية لاحظت بريقاً جديداً في عينيّ وتورُّداً جديداً في وجهي. فاعادتني الى المنزل على جناح حماسة مرتفعة.

توجهت الى ابي باعتداد وقالت: "فرانك، انظر الى ابنتك!"

حاول والدي ان يقاطعها: "إسّي..."

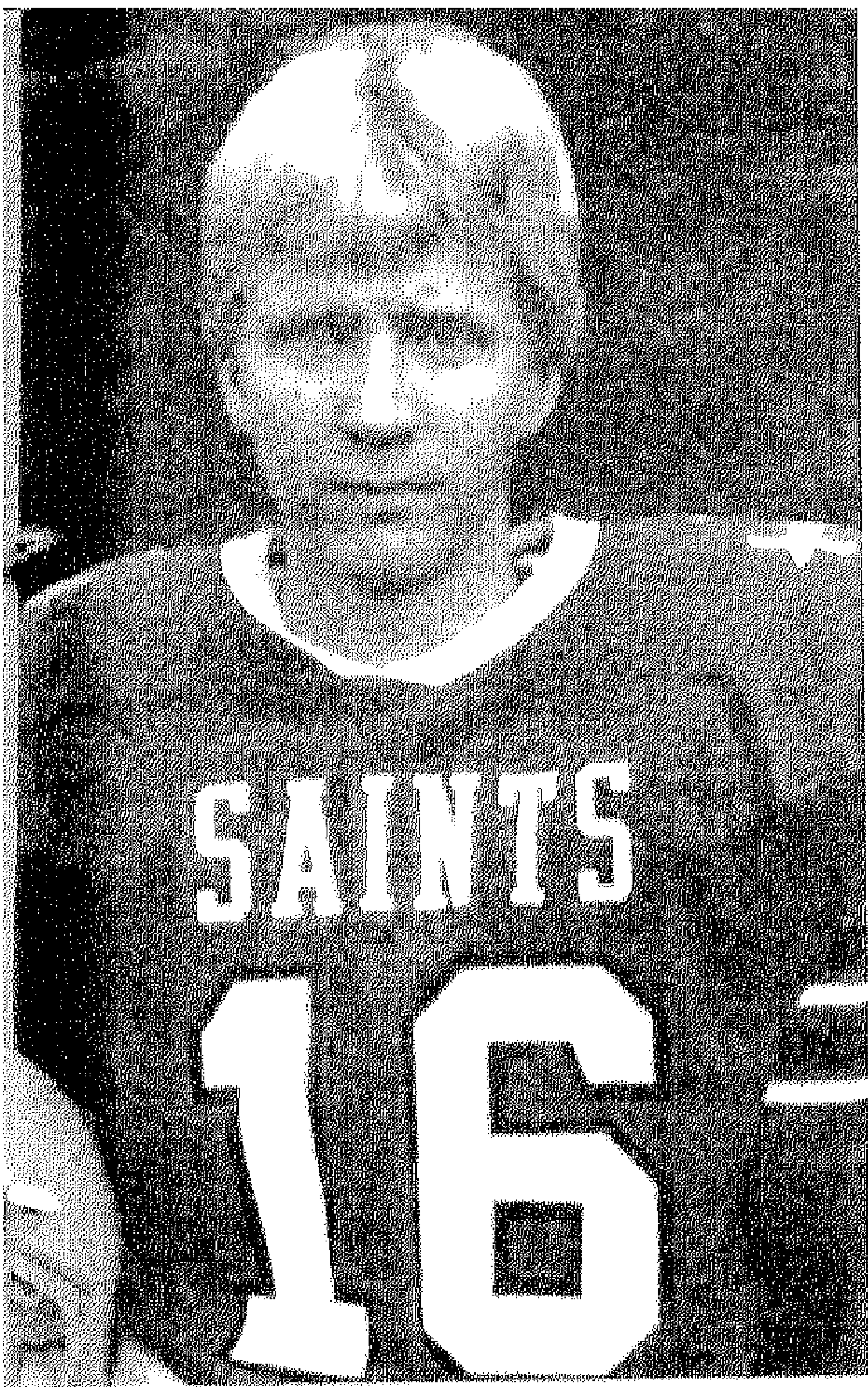
فقالت بانخطاف: "منذ لحظات كنا نستمع الى ميسشا إلمان – وانظر اليها..."

– إسّي...

– لقد قلت لك إن حب الموسيقى يجري في عروقها. اتعرف اطفالا كثيرين تنعشهم الموسيقى الراقية مثلما انعشتها، ووردت خديها؟ هل حاولتَ مرة ان تنظر الى عينيها المتألقتين؟

– ابداً، اعترف بذلك. ولكن انظري الى عنقها، إنها مصابة بمرض الحصبة!"

هيلين هايز



أثر هذا الشاب
في حياة كثيرين في مجتمعه
والآن حان الوقت
ليفعل هؤلاء شيئاً
لانقاذه من الموت

قلب للابن الحبيب

ذات ليلة ماطرة من شهر أغسطس (آب) في شمال ولاية ويسكنسن الامريكية كان برديت بيوركلند يشاهد تدريباً في كرة القدم في مدرسة سان كروا فولز الثانوية. ومن خلال الضباب راح هذا العامل الاجتماعي البالغ السادسة والخمسين من العمر يلاحق ابنه مارك بعينيه وهو يقود الفريق اثناء التحضير لافتتاح موسم كرة القدم.

كان مارك بقامته الفارعة وشعره الاشقر ومحياه الجميل لاعباً ورياضياً متعدد المواهب. فالى كونه عضواً في فرق محلية لكرة السلة وكرة القاعدة وسباق الميدان، كان قائد فريق لكرة القدم. وكان أيضاً تلميذاً لامعاً ذا موهبة خاصة في الرياضيات.

في نهاية التدريب لاحظ برديت أن مارك، خلافاً لعادته، تلكأ خلف رفاقه في العدو السريع. وفي تلك الليلة، بينما كان برديت وزوجته يشاهدان التلفاز، سمعا ابنهما يسعل في المطبخ. "أشعر كأنني أختنق يا أمي،" قال مارك وهو يحاول تناول دواء السعال، "هناك ضغط على صدري."

كانت التمرينات بدأت باكراً في ذلك الشهر، وأخذ مارك يتعب بسرعة. لكنه لم يخبر أهله ولا مدربه، اعتقاداً منه أن السبب قلة التمرين في الاشهر الماضية. والآن، قبل يومين من موعد افتتاح الموسم الرياضي للعام ١٩٨٦، قرر مارك أن يتجاهل انزعاجه.

أداؤه في المباراتين الاوليين لم يشر الى أي مشكلة جسدية. ولكن في السادس من سبتمبر (أيلول) بعد يوم من الهزيمة المأسوية التي منيت بها مدرسة كامبرلاند الثانوية، اشتكى مارك من ألم في معدته وأمضى النهار في سريره. وبعد ظهر اليوم التالي، أثناء سيره في عرض مع الفرقة الموسيقية في مدرسته، لاحظ أقرباؤه نظرة باهتة مضطربة على وجهه.

قال له أبوه: "هذا يكفي. عليك الذهاب الى طبيب."

غادر مارك المدرسة باكراً بعد ظهر الاثنين. اعتقد أنه سيدخل مركز ريفرفالي الطبي في سان كروا فولز ويعود الى تمارين كرة القدم في موعدها.

ارتسمت على وجه الطبيب كارل هانسن نظرة مقلقة بعدما تفحص نبض مارك، بلغت دقات القلب ١٠٣ في الثانية وهذا أسرع بكثير من النبض الطبيعي. فطلب الطبيب صورة بالاشعة لصدره، وحين رفعها أمام الضوء وجد أن قلب مارك يزيد ثلاثة أضعاف على حجم القلب العادي.

تبع ذلك تخطيط للقلب، وأتت النتيجة مؤكدة لشكوك الطبيب حول وجود مرض خطير في القلب. فقال لمارك: "عليك أن تنسى موسم كرة القدم، انه قلبك."

أما برديت الذي وصل قبل لحظات فوقف غير مصدق. كيف يمكن أن يصبح هذا الرياضي الموهوب مريضاً فجأة على هذا النحو؟

في رعاية الله. كان آل بيوركلاند لا يزالون مصدومين بعد يومين عندما أكد الدكتور فيكتور تشيدا من "مركز سانت بول" لامراض القلب والرئة في مينيسوتا بولاية مينيا بوليس اصابة مارك بمرض يتلف عضلة القلب(★). وأضاف ان من الممكن تثبيت حالته الصحية كما يمكن العقاقير أن تخفف من تضخم قلبه.

تغيرت حياة مارك جذرياً بين ليلة وضحاها. مُنع من مزاولة أي نشاطات لامنهجية وأصبح شبه عاجز. وأسندت واجباته البيتية الى أخيه بريان الذي يبلغ من العمر ١٣ سنة، فكان هذا يحمل كتب مارك الى المدرسة ويحضر الطعام الى غرفته كي لا يضطر مارك الى صعود الدرج.

وعلى نحو يدعو الى المرارة والألم، تغيرت حياة مارك الاجتماعية أيضاً. حاول أصدقاؤه اشراكه في خططهم، لكن الامر كان صعباً. لم يعرفوا كيف يتصرفون معه، إذ ان مرض القلب يختص بالمسنين.

لبضعة أسابيع بدا مارك كأنه تحسن. ولكن في نوفمبر (تشرين الثاني) خضع لفحص أجرته الدكتورة ماريا تريزا اوليفاري، المديرة الطبية لبرنامج زرع القلب في مستشفى جامعة مينيسوتا في مينيابوليس. قالت الطبيبة ان العقاقير لم تستطع تصغير حجم القلب وان فرص

(★) Cardiomyopathy

بقاء مارك قيد الحياة ستكون ضئيلة ما لم تجر له جراحة زرع قلب خلال عام واحد.

وفيما كان برديت يقود السيارة في طريق العودة الى المنزل، وضعت زوجته غريس ذراعها حول ابنها مارك وقالت له معزية: "انهم اطباء، لا أكثر ولا أقل. لا يستطيعون أن يروا ما داخل قلبك. الله وحده يستطيع ذلك. ستكون في رعاية الله."

فضم مارك أمه بحرارة قائلا: "أعرف ذلك يا أمي."

كان آل بيوركلاند، مثل سائر العائلات اليوم، منشغلين في مواكبة الحياة المعاصرة. لكنهم باتوا يتوقفون قليلا لقول كلمة "أحبك."

أصبحت زيارات الدكتور تشيدا والدكتور هانسن روتيناً أسبوعياً. وعلى رغم ذلك لم تكن غريس مستعدة لأخبار الدكتور تشيدا حين اتصل بها في الثامن عشر من شهر مارس (آذار) وأبلغها أن الفحوص الاخيرة أظهرت أن قلب مارك زاد تضخماً ووهناً. وطلب بالحاح الاذن باجراء جراحة زرع قلب عاجلة.

سألته الأم منذهلة: "الا يمكننا الانتظار الى موعد تخرجه في المدرسة؟"

وجاءها جواب الطبيب: "لا، قطعاً."

عندما عاد مارك الى المنزل جلس والداه معه وأخبراه: "يقول الاطباء ان الوقت حان يا مارك. وسنؤيد قرارك مهما يكن."

فرد مارك: "هناك خيار واحد. لا أريد أن أعيش بقية حياتي هكذا."

انه أخي. انتشر الخبر بسرعة في أنحاء بلدة سان كروا فولز. وفي الاسبوع التالي خلال دورة لكرة السلة اجتمعت ثلاث أمهات في مقاعد المتفرجين: ساندي باسيت وماري أندرسن وميلودي غرينكويست. جميعهن لم يستطعن التوقف عن التفكير في مارك. كانت غريس اخبرت ساندي أن شركة التأمين ستغطي تكاليف جراحة زرع القلب البالغة خمسين ألف دولار، لكنها لن تغطي الا جزءاً ضئيلا من العقاقير الباهظة الثمن التي سيتعين على مارك تناولها طوال حياته.

وبينما كانت النسوة يشاهدن أبناءهن على أرض الملعب، طرأت فكرة على بال ساندي فقالت: "في امكان نادي بوستر أن يرعى دورة اقليمية في كرة السلة لجمع المال اللازم." فوافقت ماري وميلودي على هذه الفكرة بحماسة. بالتأكيد هنالك منظمات أخرى في وادي سان كروا ستقدم قسطها من المشاركة. ففي ما مضى كان مارك عضواً في مجلس الطلاب وممثلا لصفه ومساعداً في برنامج مكافحة المخدرات والكحول. وكما قالت ماري: "لقد أثر في حياة كثيرين."

مساء ٣٠ مارس (آذار) اجتمع نحو ٧٥ شخصاً في المدرسة الثانوية. قدمت الاندية والمنظمات المدنية والافراد كثيراً من الافكار. وشرد فكر ايمي رايديك اثناء استماعها الى المتكلمين. كانت من أقرب أصدقاء مارك، وكانت تراقب انطفاء حياته منذ عدة أشهر وهي عاجزة عن تقديم المساعدة. وحدثت نفسها: أخيراً هذا أمر نستطيع القيام به جميعاً.

كان شعار حملة التبرعات: "قلوبنا لمارك." باع المتطوعون خمسة آلاف زر

و٩٠٠ قميص تحمل هذا الشعار. وفي ما سماه رفقاء صفه "سوق العبيد" باعوا مهاراتهم في غسيل السيارات وتأدية مهمات أخرى. ونصب ميزان حرارة مصنوع من الكرتون ويبلغ طوله متراً ونصف متر في مصرف "فيرست ناشونال بنك" في سان كروا فلوز مسجلا تدفق الاموال.

وفي مدرسة سورنسن التكميلية حيث سبق لمارك أن درس، أخبرت جانيت روكفورد التلاميذ أن في امكانهم مساعدة مارك من طريق بيع فطائر البيتزا. وأضافت: "ومن يَبِعْ أكبر عدد من الفطائر يسلم المبلغ شخصياً الى مارك."

فابتسم صبي قاتم الشعر من الصف السابع وتخيل تلك اللحظة وقال في نفسه: سأكون البائع الافضل. انه أخي. كان ذلك بريان بيوركلند.

وتبعت ذلك حملة بيع جنونية دارت من منزل الى منزل. وفي الثامن والعشرين من شهر ابريل (نيسان) في منتصف دورة نادي بوستر الرياضية الإقليمية، وقف بريان في منتصف الملعب. ووسط الهدوء المخيم على الجمع قدم الى مارك حوالة بمبلغ ١٣٢٠ دولاراً جمعها الصفان السابع والثامن. لم تكن ثمة حاجة الى الكلام.

استقطبت الدورة ٢١ فريقاً محلياً. وفي نهاية الاسبوع تراكم مبلغ ٣٥ ألف دولار في صندوق بيوركلند بعدما سلمت المنظمات المختلفة المال المجموع من المعارض والحفلات ومباريات البولينغ وصيد السمك.

رحلة في المراكب. كانت صحة مارك في تدهور مستمر. وكان صمم على التخرج مع رفقاء صفه، لكنه لم يعد يملك القوة التي تمكنه من الذهاب الى المدرسة. فوضع على لائحة انتظار للحصول على قلب يهبه متبرع. وزود جهاز اتصال الكترونياً يجعله في اتصال دائم مع مستشفى الجامعة.

وفي كل مساء كان برديت وغريس يدخلان بهدوء غرفة نوم مارك ويستمعان الى تنفسه المجهد. وكانا في خشية دائمة من ألا يطلع عليه الصباح.

أخبرت الدكتورة اوليفاري والدي مارك انه يجب على المقربين من ابنهما ان يعرفوا تقنية انعاش القلب والرئتين. ونزولا عند رغبة غريس أعلمت المعلمة مارليز ناسيث ثمانية من رفقاء مارك بالامر، وكانت ايمي بينهم. وتقول مارليز: "في ذلك اليوم أدرك هؤلاء الاصدقاء امكان موت مارك."

يوم التاسع من مايو (أيار) كان موعد الحفلة الراقصة للصف المتخرج في سان كروا فولز. وكان مارك تواعد وايمي على الذهاب الى الحفلة قبل عدة أسابيع. أما الآن فقد أخذت ايمي تقنعه بعدم الذهاب، لكنه لم يكن يوماً ناكثاً لوعد.

كانت الليلة الموعودة رائعة بحرارتها المعتدلة. وأقيمت الحفلة على متن "تايلرز فولز برنسيس" وهي سفينة تغذيفية تعود الى القرن التاسع عشر وكانت تستعمل للرحلات القصيرة عبر نهر سان كروا.

اصطف الاهالي مبتسمين على ضفة النهر ليودعوا السفينة ويلتقطوا صوراً تذكارية. لكن غريس بيوركلند كانت مشغولة البال فلم تتمتع بهذا المشهد.

وكان مارك منحنياً فوق حافة السفينة محاولا اخفاء ألمه، لكنه لم يخدع أحداً.

بُعيد التاسعة مساء كان الدكتور ستيفز رينغ، وهو جرّاح في مستشفى الجامعة، يحاول الاتصال بمارك عبر الجهاز الالكتروني. لقد توفي فتى في مدينة سان بول نتيجة حادث سيارة ورغب أهله في وهب أعضائه الحيوية، فكان مارك الشخص الملائم.

مرت ثلاث ساعات لم يستطع خلالها الدكتور رينغ الاتصال بمارك. وقد تبين في ما بعد ان المرتفعات الصخرية الكثيفة الممتدة على طول الشاطىء كانت تعيق وصول تلك الاشارات. وأخيراً اتصل الجراح هاتفياً بمنزل آل بيوركلند، فردت غريس. وبعد لحظات صاحت: "أصبح لديهم قلب يا برديت!"

كان على متن السفينة "برنسيس" مذياع للطوارىء موجه على خطين، فاستدعي مارك وايمي الى حجرة القبطان حيث تلقى مارك الرسالة بتكشيرة غضب.

قرر القبطان التوقف حالا. لكن منسوب مياه النهر كان منخفضاً فلم تستطع السفينة الاقتراب أكثر من مسافة عشرة أمتار من الضفة.

اتجه مارك وايمي الى الحافة ونظرا الى المياه الضحلة ثم حدقا الواحد الى الآخر. فقالت ايمي "لِمَ لا؟"

حمل مارك حذاءه وجوربيه ورفع سرواله الرمادي، كما رفعت ايمي فستانها الابيض، وشق الاثنان طريقهما بمرح نحو الضفة. وكان الوحل يتطاير من بين أصابع أرجلهما. واغرورقت عيون الجميع فيما مصابيح السفينة تلاحق مارك وايمي.

بعد دقائق كان مارك ووالداه يتجهون جنوباً الى مدينة سانت بول.

وأخيراً، في السادسة والنصف صباح عيد الامهات(٢) ودع مارك والديه وهو يجر الى غرفة العمليات في مستشفى الجامعة.

وفي العاشرة والربع خرج الدكتور رينغ من غرفة العمليات حاملا الخبر الذي طال انتظاره. كان قلب مارك في حال أسوأ مما توقع، لكن عملية الزرع أجريت بنجاح. فهاج حشد من محبي مارك مبتهجين وأخذوا يحتضنون بعضهم بعضاً.

تحسنت حال مارك بسرعة. وبعد مضي ١٢ ساعة على عملية الزرع فُكّ من جهاز التنفس وأخذ يصافح أفراد العائلة.

أخبره الدكتور رينغ أن في امكانه حضور حفلة تخرجه في الرابع والعشرين من مايو (أيار). وكان رفقاؤه اختاروه لالقاء خطاب التخرج. وقبل موعد الحفلة بأسابيع سأله مدير المدرسة هل يرغب في تسجيل خطابه على شريط فيديو في حال عدم تمكنه من حضور الحفلة، فهز مارك رأسه نافياً: "سأكون هناك."

ويوم الثلثاء كان مارك يتمشى في قسم "العناية الفائقة" وهو يقذف أوراقاً مضغوطة الى طوق علق على الجدار كبديل من سلة. وغادر مارك المستشفى الى بيته نهار السبت بعد مضي ستة أيام على اجراء الزرع.

ويوم التخرج اصطف مارك مع ٨٣ خريجاً للسير في عرض داخل مبنى الالعاب الرياضية. وقف الجمع باحتفاء

(٢) تحتفل الولايات المتحدة بعيد الامهات في ١٠ مايو (ايار).

حماسي عندما وطىء مارك المنبر، فابتسم الشاب ابتسامة خجولة.

وبعد دقيقة حبس المشاهدون أنفاسهم عندما تلعثم مارك خلال خطابه، فابتسم وقال: "كان يجب أن تجرى لي عملية زرع لسان."

بعد ذلك قدم مارك بعض الخواطر الشخصية: "قد يقول البعض ان حظي سيىء، لكنني أعتقد أن هذه التجربة كانت نعمة لي. لقد تعلمت ألا استخف بالحياة. وهو شعور عظيم أن تعرف أن هناك أناساً كثيرين يهتمون بك، وأنك تستطيع أن تبادلهم الاهتمام."

بعد دقائق تكلمت كيم سودي، احدى رفيقات مارك المتفوقات، بعبارات لم تكن غائبة عن أذهان الحضور. قالت: "الشيء الوحيد الذي سيتذكره رفاق الصف هو قلب مارك بيوركلند." وتابعت حابسة دموعها: "ليس فقط قلبه، بل روحه أيضاً. لقد ظل يكافح على رغم كل شيء."

غاري جونسون ■

أنهى مارك بيوركلند سنته الجامعية الاولى في يونيو (حزيران) ١٩٨٨ في سانت بول. واسترجع وزنه الطبيعي. وهو يمارس كرة السلة مع فريق الجامعة. وشعره الذي كان في السابق أملس وأشقر أصبح الآن قاتماً وجعداً بفعل العقاقير التي عليه تناولها طوال حياته. أما تكاليف الادوية فلا تقلقه البتة بفضل حساب مصرفي بقيمة ٨٠ ألف دولار جمعت من التبرعات. وهو يتحدث الى المجموعات الطالبة والهيئات المدنية باسم برنامج التبرع بالاعضاء الذي ترعاه منظمة الصليب الاحمر.

وداوني بالتي...

كنت اعمل مسؤولا عن العلاقات العامة في مخيم كبير لقضاء عطلة نهاية الاسبوع عندما دمّر حريق كبير جزءاً من مُجمّع التسلية في المخيم. ولكي نزيل من ذهن الناس ذكرى النار قررنا تنظيم احتفال ليلي وابرقنا الى مخازننا المركزية نطلب ان ترسل الينا فوراً أعلاماً وبالونات وقبّعات وبدَعاً اخرى. وفي الوقت المنتظر وصلت شاحنة كبيرة تحتوي على آلاف المواد. ولدى افراغها اكتشفنا ان كل القبّعات كانت تقريباً متشابهة: خوذ رجال اطفاء!

م.ر.

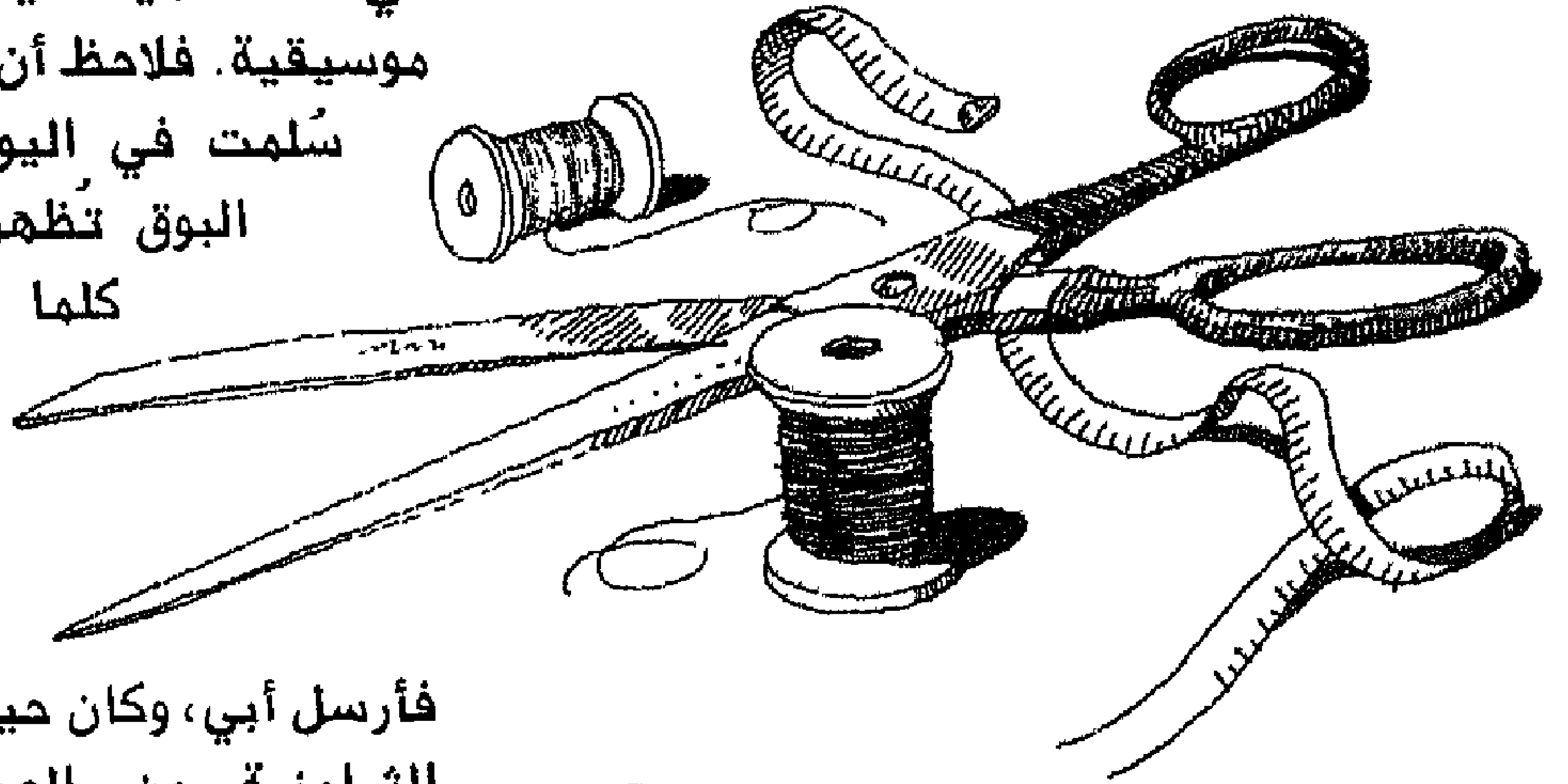
سمسرة بوليسية

اوقف شرطي سائق سيارة على طريق عام وقال له، وهو يكتب محضر الضبط: "انت تسير بسرعة ٧٥ كيلومتراً في منطقة لا تتجاوز السرعة القصوى فيها ٥٥ كيلومتراً."

فابتسم السائق بخنوع وسأل الشرطي: "هل في امكانك ان تسجل في المحضر أنني كنت أسير بسرعة ١٢٠ كيلومتراً في منطقة لا تتجاوز السرعة القصوى فيها ٨٠ كيلومتراً؟ فأنا احاول بيع هذه السيارة!"

أ.ف.

الشطب في سروال الرجل الخطير لا يقبل الاصلاح فماذا يفعل الخياط الماهر؟



خياط المافيا

عمل والدي أيام صباه في ايطاليا في متجر خياط ماهر مرح في العقد الرابع من العمر يدعى فرنشيسكو كريستياني. وكان هذا الرجل القصير المتبجح معتزاً بحرفته ومصراً على أنه وخياطيه معصومون عن أي خطأ مهم.

ذات مرة عجز زبون عن ارتداء سترة جديدة لأن الكمّين ضيقان جداً. فقال له كريستياني بنبرة مرتفعة: "اليس من المفروض أن تدخل ذراعيك في كمي هذه السترة، فهي مصممة لتلقى على الكتفين."

وفي مناسبة أخرى توقف كريستياني في ساحة ميدا ليصغي الى عزف فرقة موسيقية. فلاحظ أن البذلة الرسمية التي سُلمت في اليوم السابق الى نافخ البوق تُظهر تقبُّباً خلف الياقة كلما رفع الموسيقي الآلة الى شفتيه. أقلقه أن يلاحظها أحد ما فيطعن في مركزه كخياط.

فأرسل أبي، وكان حينذاك صبياً نحيفاً في الثامنة من العمر، ليندسّ خلف الموسيقي ويجذب طرف السترة الى تحت كلما ظهر التقبب. بعد ذلك استنبط كريستياني وسائل دهياء استرجع بها السترة وأصلحها.

قرابة ذاك الوقت، في ربيع ١٩١١، حصلت كارثة في المتجر لم يبدُ أن ثمة حلا ممكناً لها. وكان رد فعل كريستياني الفوري أن يترك المدينة الى حين قبل أن يواجه النتائج. والحادث الذي أثار ذاك الهلع تركّز على بذلة جديدة صنعت لأحد أكثر زبائن كريستياني تطلباً، وهو رجل من وجهاء المنطقة الموقرين الذائعي الصيت المعروفين شعبياً بـ"المافيا"(★).

قبل يوم من احد الاعياد الكبرى وفيما

(★) "المافيا" منظمة سرية تتولى تهريب المخدرات وابتزاز الاموال وغير ذلك من الاعمال غير المشروعة في أنحاء العالم.

كانت النساء المحتشمات جاثمات على شرفاتهن، طاف الرجال في الساحة ذراعاً بذراع يدخنون ويفحص كل واحد منهم بذلة الاخر.

على رغم الفقر في جنوب ايطاليا، أو ربما بسببه، كان هناك تشديد مفرط على المظاهر. ومعظم الرجال الذين يتجمعون في ساحة ميدا كانوا واسعي الاطلاع على فن الخياطة الدقيقة. انهم يستطيعون أن يثمّنوا، في بضع ثوان، المهارة في بذلة رجل، وأن يقدروا قيمة كل قطبة متقنة. بين هؤلاء الرجال كان عضو المافيا فنشنزو كاستغليا.

أثناء تجربة بذلة له قبل شهر شدد على مهنتـه الاجراميـة طـالبـاً من كريستياني أن يجعل مكاناً فسيحاً داخل السترة لمسدسه المبيَّت في جلد. وطلب أيضاً أموراً أخرى عدة رفعته في عيني الخياط كرجل ذواق في الاناقة. طلب أن تكون كتفا البذلة زائدتي العرض لتظهرا ردفيه بمظهر أضيق. وطلب العمل على صرف الانتباه عن صدرة الناتىء باعداد صدرة مثناة ذات طيات عريضة مسننة. وأوصى بفتح عروة في الصدرة تُعقد بها سلسلة ذهبية تشبك بساعـة جيبه الالماسية.

كارثة في الركبة. في الاسابيع التالية خصص كريستياني انتباهاً وافراً لارضاء مواصفات رجل المافيا. وكان فخوراً بنتائج الخياطة حتى اليوم السابق للعيد، عندما اكتشف شطباً طوله قرابة ثلاثة سنتيمترات عبر الركبة اليسرى للسروال الجديد.

صرخ كريستيـانـي بكرب وغضب. وسرعان ما حصل على اعتراف من تلميذ متمرن بأنه كان يتلهى بمقص على الطاولة التي وضع عليها السروال.

وقف كريستياني لدقائق ساكتاً، مرتجفاً، محاطاً بمساعديه الصامتين مثله. كان في وسعه، بلا ريب، الهرب والاختباء في التلال أو اعادة المال الى رِجُل المافيا وتقديم التلميذ المتمرن كبش محرقة. ولكن في هذه الحال وجد ظرف خاص مانع. فالتلميذ المتمرن المذنب البالغ من العمر ثماني سنوات كان ابن شقيقة كريستياني. أنه جوزف تاليس الذي سيصبح والدي.

عمد كريستياني الى مؤاساة ابن شقيقته الذي كان يصرخ بتشنج، فيما ظل عقله يبحث عن حل. لم تكن ثمة طريقة لاخفاء الشطب، ولم يكن ممكناً صنع سروال آخر في الساعات القليلة الباقية لوصول كاستغليا.

دق جرس الظهر، لكن كريستياني أبلغ الى خياطيه بعبوس: "لا وقت للطعام ولا للقيلولة لأي منا. أريد من كل واحد أن يفكر في أمر ما ينقذنا من الكارثة."

وأمـر التلاميـذ المتمرنين بسـدل الستائر واقفال أبواب المتجر.

جلس والدي في زاوية وهو ما زال مشدوهاً بجسامة ذنبه. وفي وسط غرفة العمل جلس فرنشيسكو كريستياني بين خياطيه ممسكاً رأسه بيديه متطلعاً، كل بضع دقائق، نحو السروال الملقى أمامه.

خزانة الارامل. فجأة فرقع كريستياني أصابعه ووقف بقامته التي بلغ طولها

١٦٨ سنتيمتراً وفي عينيه بريق، وأعلن: "فكرت في شيء ما. يمكنني أن أعمل شطباً عبر الركبة اليمنى بحيث تماثل الركبة اليسرى المشطوبة."

قاطعه خياطه الاكبر: "أجننت يا معلمي؟"

صرخ كريستياني وهو يضرب الطاولة بيده: "دعني أكمل أيها الاخرق... وعندئذ أطرز الشطبين. وسأشرح للسيد كاستغليا أن أحدث الازياء هو زي الركبة المطرزة."

أما الخياطون الآخرون فأصغوا بدهشة.

قال أحد الصغار: "ولكن يا معلم، ألن يلاحظ السيد كاستغليا أننا نحن الخياطين أنفسنا لا نرتدي سراويل تتبع الزي الجديد؟"

وافق كريستياني: "انها نقطة جيدة." ثم لمعت عيناه وأضاف: "لكننا سنتبع الزي، سنحدث شطوباً على ركبنا ونطرزها." وقبل أن يتمكن الرجال من الاعتراض أضاف كريستياني بسرعة: "لكننا لن نشطب سراويلنا بل سنستعمل تلك السراويل المعلقة في خزانة الارامل."

التفت الجميع حالا الى الخزانة المقفلة حيث علقت عشرات البذل التي ارتداها رجال هم الآن مائتون، وقد سلمتها الارامل اللواتي لا يبتغين تذكر أزواجهن الراحلين الى كريستياني على أمل أن يهبها الى الغرباء العابرين.

أسرع كريستياني الى فتح باب الخزانة، وشرع يرمي السراويل الى خياطيه حاضاً اياهم على اجراء قياس سريع. وهو نفسه كان واقفاً بلباسه القطني التحتي الابيض وحمالتي جواربه السوداوين يبحث عن سروال يلائم قوامه الناحل. ولما نجح شطب الركبة اليمنى في سروال رجل المافيا جاعلا منها صورة طبق الاصل عن الركبة اليسرى المشوهة. ثم وضع شطبين مماثلين على ركبتي السروال الذي اختاره لنفسه.

نادى رجاله: "الآن انتبهوا جيداً." وبدأ يلفق بابرته الشطبين في ركبتي سروال الرجل الميت، متفنناً في تشكيل رسم صغير لعصفور منبسط الجناحين.

سأل رجاله موضحاً بأسلوبه البديهي أنه لا يهتم حقاً بما يفكرون: "حسناً، بماذا تفكرون؟" وحين هزوا أكتافهم أكمل حازماً: "كل شيء تمام الآن. اشطبوا بسرعة رُكَب سراويلكم والفقوها على نحو هذا التصميم."

"ماذا فعلت؟" على مدى الساعتين التاليتين عمل كل خياط بسكون قلق. أما فرنشيسكو كريستياني فلم يدع أحداً، طبعاً، يعالج بذلة رجل المافيا. وعندما دق جرس البلدة معلناً انتهاء القيلولة تفحص كريستياني عمله باعجاب.

كُلف والدي وتلميذ متمرن آخر الوقوف عند الباب لمراقبة عربة كاستغليا، ووقف الخياطون الآخرون صفاً خلف كريستياني جائعين متعبين ينتظرون بقلق رد فعل رجل المافيا. وبدا كريستياني هادئا على غير عادة. أمسك بيده حمالة خشبية علقت عليها بذلة كاستغليا الرمادية المطرزة، الثلاثية القطع، التي ما زالت حارة اثر كيّها الاخير.

بعد الرابعة بدقائق جاء والدي راكضاً



يعلن بصوت مرتجف: "انه آتٍ." وقفت عربة سوداء في الخارج. وفتح الحوذي المسلح الباب فترجل فنشنزو كاستغليا الموقر يتبعه حارسه.

حين دخل كاستغليا المتجر أعلن كريستياني: "بذلتك المدهشة تنتظرك." صافحه كاستغليا وتفحص البذلة من دون أي تعليق، ثم أمر حارسه بأن يساعده على نزع سترته.

وقف كريستياني والخياطون الآخرون يراقبون المسدس المبيَّت المربوط بسير من جلد حول صدر كاستغليا وهو يميل مع حركاته. تنفس كاستغليا عميقاً وهو يزرر صدرته وسترته ووقف أمام المرآة. أعجب بصورته من كل زاوية ثم علَّق بصوت عال: "تمام".

انحنى كريستياني قليلا وهو يسلم السيد كاستغليا سرواله. استأذن كاستغليا ومشى نحو غرفة القياس.

وراح الخياطون المنتظرون يزرعون المكان جيئة وذهابا، أما كريستياني فظل واقفاً يصفر بهدوء.

الاصوات الوحيدة التي سمعت أصدرها كاستغليا وهو يغير سرواله. خبطة حذائه... الخشخشة السريعة الخافتة لرجلي السروال. وفجأة صوت عميق: "يا معلم."

انفتح الباب كاشفاً وجه فنشنزو كاستغليا المذهول وعينيه الجاحظتين وأصابعه المشيرة الى ركبتيه. دلف نحو كريستياني وصرخ: "يا معلم، ماذا فعلت هنا؟"

قفز الحارس الخاص نحو كريستياني. أغمض والدي عينيه، وتراجع الخياطون. أما فرنشيسكو كريستياني فوقف مستقيماً غير متأثر حتى عندما تحركت يد الحارس داخل معطفه.

انتصار مجنَّح. أخيراً اجاب كريستياني بلهجة معلم ذي سلطة يعذل تلميذاً: "آه، كم خيَّبت أملي، كم أنا حزين ومهان لقصورك عن تقدير الاكرام الذي حاولت أن أقدمه اليك!"

وقبل أن يفتح فنشنزو كاستغليا المضطرب فاه أكمل كريستياني: "طلبت أن تعرف ماذا فعلت، غير مدرك أن ما فعلته كان لتقديمك الى العالم العصري الذي ظننت أنك تنتمي اليه. حين دخلت هذا المتجر للقياس بدوت مختلفا جدا عن الاشخاص الرجعيين في هذه المنطقة، متطوراً جداً، متفرداً جداً. قلت انك سافرت الى أمريكا ورأيت العالم الجديد. افترضتُ أنا أنك كنت على اتصال بالمجتمعات العصرية، ولكن يبدو أنني أخطأت كثيراً في الحكم عليك. واحسرتاه، ان الثياب الجديدة لا تجدد الرجل الذي هو داخلها."

وبينما كان كريستياني منجرفا بحذلقته، رنّم مثلا ايطالياً جنوبياً، لكنه أسف لحظة انزلقت الكلمات من فيه. والمثل هو: "غسل رأس الحمار اهدار للماء."

صُعق خياطو كريستياني ووقفوا صامتين مذعورين لاهثين مرتجفين لدى رؤيتهم وجه كاستغليا يحمر وعينيه تضيقان.

تمتم فنشنزو كاستغليا وعض على شفتيه من غير أن ينطق. ترهلت كتفاه وتدلى رأسه قليلا وظهرت في عينيه نظرة شعور بتبكيت الضمير. وأخيراً تكلم بنعومة: "كانت المرحومة والدتي تستعمل هذا التعبير عندما أغيظها."

استكنَّ التوتر في الغرفة. قال كريستياني: "آمل أن تصدِّق كلامي أننا حاولنا أن نخيط لك بذلة جميلة. أنا كئيب جداً لأن السروال الذي صمم على أحدث زي لم يعجبك."

نظر السيد كاستغليا مجدداً الى ركبتيه وسأل: "أهذا هو أحدث زي؟"

فأكد له كريستياني: "نعم، حقاً."

– أين؟

"في عواصم العالم الكبرى."

– ولكن ليس هنا؟

قال كريستياني: "ليس الآن، أنت الأول في هذه المنطقة."

– ولكن لماذا يجب أن يبدأ أحدث زي في المنطقة بي؟

"آه، لا، انه في الحقيقة لم يبدأ بك، فقد سبقناك نحن الخياطين." ورفع احدى ركبتيه قائلا: "أنظر بنفسك."

تفحص كاستغليا ركبتي كريستياني ثم دار في الغرفة متفحصاً الخياطين الآخرين واحداً تلو الآخر، وكل فرد يرفع رجلا ويهز برأسه ويشير الى الجناحين المألوفين للعصفور المتناهي في الصغر.

قال السيد كاستغليا: "حسناً، أرى انني مدين لك بالاعتذار يا معلم. في بعض الاحيان يستغرق المرء برهة لتقدير زي عصري."

وبعدما صافح السيد كاستغليا خياطه وسدد حسابه سلم حارسه الخاص البذلة القديمة. ومشى ببذلته الجديدة وقبعته المائلة نحو عربته، من الباب الذي فتحه والدي على مصراعيه.

غاي تاليس ■

يُطلب الجمال ايضاً حتى في يوم عمل.

م.س.ب.



- الاوهام كالمظلات، ما إن تقتنيها حتى تضيعها بسرعة، فتترك خسارتها دائما جرحا صغيرا مؤلما.

سومرست موم، كاتب قصصي وسينمائي بريطاني (١٨٧٤ - ١٩٦٥)

- اخطر انواع الباطل حقيقة محرفة باعتدال.

جورج ك. ليختنبرغ، فيزيائي وكاتب ساخر الماني (١٧٤٢ - ١٧٩٩)

- انا اؤمن بالخيال. فما لا استطيع رؤيته يفوق في الاهمية، بلا حد، ما اقدر ان اراه.

د.م.

- احد اشكال الوحدة هو ان تكون لك ذاكرة وليس مَن يشاطرك ذكرياتك.

ف.ر.

- قد يبقى المرء مكتوفاً اذا كان عليه توخّي الكمال في ما يفعله حتى لا يرى فيه احد اي هناتٍ.

ك.ن.

- حَذار الرجل غير الراغب في ان يُزعج بالتفاصيل.

و.ف.

- تستطيع الكلمات احيانا، عند اسداء الفضل، بلوغ سمو الافعال.

إ.و.

- ما كان الخصام ليدوم طويلا لو أن الخطأ يقع من جانب واحد.

لا روشفوكو، كاتب فرنسي (١٦١٣ - ١٦٨٠)

- افضل العيش في عالم يكتنفه الغموض، على أن أعيش في عالم صغير جدا يقدر فكري على الإحاطة به.

هاري إمرسو فوسديك، رجل دين امريكي (١٨٧٨ - ١٩٦٩)

كيف تتخلصون من عاداتكم السيئة

الخوف من الاخفاق قد يشل عزمك فدع "قوة التمني" ترشدك

ما رأيك في القيام بعمل ما هذا الشهر ينير حياتك لسنين، عمل طالما قصدته لكنك كنت خائفاً من الاقدام عليه؟ انني أتحدث عن اقلاعك عن عادة سيئة كالتدخين أو الافراط في الاكل أو قضم الاظفار أو تأجيل الاعمال.

أعتقد أن مفتاح الاقلاع عن اي عادة هدامة هو الاستعاضة عنها بعادة حميدة. ويمكن أن يتم هذا الابدال عادة خلال شهر! وهنا الطريقة الصالحة:

١. اختر الشهر المناسب.

يجب أن يكون هذا الشهر قريباً، لان تأخير عملية ابدال العادة يغذي الشعور بالخوف من الاخفاق. أنت تحتاج الى فترة خالية من الضغوط نسبياً مما يسهل عملية التأقلم عندما يوضع قرارك على المحك. إذاً اختر شهراً خالياً من زيارات الانسباء ومن واجبات تصفية الاعمال الصعبة.

ان أكتوبر (تشرين الاول) هو شهر مناسب للاقلاع عن عادات قديمة، لأنه عادة يكون هادئاً نسبياً. أما نوفمبر (تشرين الثاني) وديسمبر (كانون الاول) فهما شهران محمومان تتم فيهما التحضيرات للعطل وتشتد ضغوط العمل مع نهاية العام. وهذا النوع من الضغط يزيد من حدة العادات السيئة فنعود الى تصرفاتنا المعتادة.

٢. حدد العادة التي تنوي التخلي عنها.

لا تحاول التخلص من عادة لمجرد أن الآخرين يريدون ذلك. فلن تنجح ساعتذاك. إذا لم تكن راغباً حقاً في الاقلاع عن عادة هدامة، او إذا كنت تريد الاقلاع عنها على المستوى العقلاني فقط، فإن اللاوعي فيك سوف يدون ذلك

ويقرر: "إذاً لن نفعل ذلك - أنت وأنا - سوف نتشبث بنمطنا المألوف."

. قرر هارولد الاقلاع عن التدخين لان عائلته أرادت ذلك. لكنه كان متأكداً من أنه سيكون تعساً وغير قادر على العمل أو التركيز. وكلما حاول حض نفسه على الاقلاع كان يرى في أحلامه رجلا يدخن لكنه محافظ على لياقته البدنية. وأدرك هارولد أخيراً أن العادة التي يريد الاقلاع عنها حقاً كانت كثرة الجلوس. فتابع التدخين، لكنه التحق بناد رياضي.

لم تسرّ عائلة هارولد لهذا القرار، لكن أسلوبه كان مقنعاً. فمحاربة عادة كان يريد حقاً التخلص منها يمكن أن تقود الى النجاح. وبعد شهر من التحاقه بالنادي، وعلى رغم أنه خسر بضعة سنتيمترات من خصره، وجد انه لا يملك القدرة على التحمل مثل الرجال الآخرين الذين كان يتدرب معهم. وقال له أحدهم شارحاً: "بالطبع ليست لديك قدرتنا. انك تدخن." وهذا ما دفع هارولد أخيراً الى الاقلاع عن التدخين.

• تعرف جيداً الى العادة التي تريد الاقلاع عنها.

لا يبدأ أحد اكتساب عادة سيئة باختياره، فهي تختلس طريقها الى المرء في غفلة عنه. وإذ تدخن اليوم سيجارة أو تقضم ظفراً، تصبح غداً كأنك كنت تفعل ذلك كل الوقت. متى حدث ذلك؟ وكيف؟ ولماذا؟

اطرح على نفسك هذه الاسئلة أثناء تعمقك في التعرف الى عادتك السيئة. دع الوقت يجد لك الاجوبة. انك تحل لغزاً: لماذا أنت، ذاك الشخص العاقل، تتعلق بعادة لا تريدها؟

احمل قلماً ودفتراً أثناء قيامك بنشاطاتك اليومية. وعوض تناولك سيجارة أو قطعة حلوى على نحو آلي، خذ الدفتر وسجّل كل ما يحفزك على ممارسة عادتك. سجِّل الوقت والمكان وأسماء من تكون معهم.

فعلت ليزا ذلك عندما كانت تحاول التخفيف من وزنها. وجدت أنها كانت تتناول الشوكولاته كلما طلب منها رئيسها تأدية مهمة غير عادية أو أزعجها أولادها أو تجادلت وزوجها. كانت تأكل لتهدىء نفسها كلما شعرت بالضغوط، فأدركت أن الطعام كان مسكِّناً بالنسبة اليها.

• اعتمد قوة التمني عوض قوة الارادة.

العادات تتجذر لأن اللاوعي يربط المسلك باللذة أو الراحة أو الاكتفاء، كما يربط غياب العادة بالخوف والانزعاج.

اللاوعي ليس جزءاً من الدماغ المفكر، إنه مكان استراحة العواطف. يقول العقل المنطقي: "إنك تهدم حياتك بهذه العادة." لكن اللاوعي لا يستجيب، فهو يخاف أن يتخلى عن عادة وفرت له الراحة الأكيدة.

إن مواجهة العقل المنطقي باللاوعي فرضية خاسرة معظم الاحيان. لذلك أعتقد، بحسب خبرتي، أن قوة الارادة في مجال الاقلاع عن العادات هي أقل تأثيراً مما أسميه "قوة التمني" التي تستند الى التخيل التأملي لتعطي اللاوعي

الراحة التي يحصل عليها من العادة.

كيف السبيل الى ذلك؟

إختر كرسياً مريحاً، أغمض عينيك، خذ نفساً عميقاً، وتخيل نفسك في مكان هادىء تفضله. ثم تصور نفسك بمعزل عن عادتك الهدامة. يمكنك الآن تنشق الازهار ونسيم البحر لأنك لم تعد تدخن. وأنتِ يمكنك ارتداء ثياب عصرية واظهار قامتك الهيفاء لأنك لم تعودي تأكلين حتى التخمة. ان اللاوعي سيتلقى الرسالة. واجهه على المستوى ذاته وهو سيتجاوب بالتأكيد.

• جد بديلا.

إن اختيارك احدى العادات الحسنة وتكيفك واياها يمكنانك من التخلي عن عادتك السيئة القديمة بطريقة أسهل. وستشعر كأنك تضيف شيئاً قيماً الى حياتك أكثر من أنك تحرم نفسك انغماساً قديماً مترسخاً. وإذا كانت العادة الجديدة لا تتعايش والعادة السيئة، فذلك أفضل بكثير.

هناك عادتان حميدتان مفيدتان جداً في ازالة معظم العادات السيئة. أولا، اتبع نظاماً غذائياً مدروساً ومغذياً. ثانياً، وطّد عادة ممارسة التمارين الرياضية المعتدلة.

اكتشفت ليزا عدة طرق للسيطرة على نوبات الرعب التي كانت تدفعها الى الاكثار من الاكل. فمارست تمارين التنفس العميق داخل مكتبها. وعمدت الى المشي السريع في بيتها. وبدأت تأكل المزيد من الفاكهة والخضر وتخلصت من الحلوى ورقائق البطاطا.

وأدرك هارولد ضرورة تبنّي عادة تبقيه مشغول اليدين في اوقات فراغه في المنزل. فقرر العزف على البيانو، وهو نشاط كان يمارسه في صغره قبل أن ينمي عادة الجلوس.

• تقدم خطوة خطوة.

بعد تصميمك على ابدال عادتك بأخرى ضع نصب عينيك أهدافا تحققها خلال الشهر. اختر أهدافاً واقعية ودع قوة الهدف الدافعة تعمل عنك. قسم مهمتك الكبيرة سلسلة من المهمات الصغيرة.

كان على ليزا أن تخفف وزنها ٢٥ كيلوغراماً، أي أكثر مما تستطيع تخفيفه في شهر. ولكن كان في مقدورها أن تخفف نصف كيلوغرام أسبوعياً. وبعد انقضاء الشهر المخصص بابدال عادتها أصبح نظامها الغذائي الجديد ثابتاً مما سمح لها بالوصول الى هدفها خلال سنة.

وصمم هارولد على تعلم عزف قطعة موسيقية، كما صمم على الاقلاع عن التدخين خلال الشهر نفسه. قسم هدفه أجزاء يستطيع تحقيقها. في الاسبوع الاول سمح لنفسه بالتدخين في غرفة الجلوس فقط، وفي الاسبوع الثاني سمح لنفسه بالتدخين خارج المنزل فقط، وبعد ذلك في أوقات محددة. وفي نهاية الاسبوع الرابع أصبح فعلا عازف بيانو غير مدخن.

لكي تحصل على فائدة كبرى من قوة الهدف الدافعة كافىء نفسك كلما توصلت الى هدف. وأعتقد أن من يتبع حمية، مثلا، يستحق مكافأة غير غذائية كلما خفف كيلوغراماً من وزنه.

• لا تستسلم.

النجاح يستحق المكافآت، لكن الاخفاق لا يستحق العقاب. فإذا تعثرت خلال شهر ابدال العادة، فلا تعنّف نفسك ولا تتراجع. إن التعثر مرة ليس بالضرورة تعثراً متكرراً.

انغمست ليزا يوماً في تناول الحلوى والمثلجات، وبعد ذلك اصبحت على استعداد لأن تقلع عن حميتها لأنها اعتبرت نفسها فاشلة. العالم النفساني كيلي براونل من جامعة بنسلفانيا يسمي رد فعل ليزا "الشرك المسلكي"، اذ ان موقفنا من التعثر، وليس التعثر ذاته، هو الذي يجعلنا نفشل.

ويضيف أن الناس غالباً يعتقدون أن الدوافع الى الارتداد الى عادة سيئة يصبح قوة هدامة الا اذا تمّ إشباعها. لكنك تستطيع أن تصمد أمام هذه الدوافع. ويزيد: "أذا أمكنك أن تسلّي نفسك عن رغبتك لبضع دقائق، فسوف يضمحل الدافع وتزيد سيطرتك على نفسك."

إن البقاء بعيداً عن عادة قديمة هو في الغالب أصعب من الخطوة الاولى في الاقلاع عنها. ولكن بمقدار ما تتعرف الى صورتك الجديدة، يسهل عليك مصارعة الاشتياق الذي يمكن أن يمنعك من أن تكون أكثر سعادة وأوفر صحة وأكثر ثقة بنفسك.

إن هذه الشخصية الجديدة - شخصية من يسيطر على حياته بدل أن يكون عبداً لعادات ذميمة - هي السر الذي يتيح الاقلاع عن عادة سيئة الى الأبد.

جويس برانرز ■

حكم طويل

من عادة احد القضاة الجدّيين أن يقرأ أحكامه الطويلة بروية وبطء على المدّعى عليهم. ومرة راح يقرأ "محاضرته" على رجل اتهم بالسطو المسلح:

"لقد وُجدت مذنباً بالسطو المسلح. ومن واجبي المؤكد أن أحكم عليك بالحجز سبع سنوات في سجن الولاية. آمل أن يؤثر فيك هذا الحكم تأثيراً يوازي جسامةِ جريمتك."

فرفع المدعى عليه بصره ببطء وأجاب: "يا حضرة القاضي، يمكنك أن تؤثّر فيَّ بحكم أقصر من هذا بكثير!"

ب.ل.

برهان قاطع

كان أخي الاصغر يملأ طلباً للعمل كسبّاح منقذ في أحدِ المسابح. وهو كتب في أسفل الاستمارة، ضمن خانة "أي معلومة اضافية من شأنها أن تُظهر أنك صالح للعمل": "عمق المسبح: ١٩٨ سنتيمتراً. طول طالب العمل: ٢٠٠ سنتيمتر."

ج.م.

عَالمُ الثَعالبْ

جرموزة مروّضة تكشف أسرار الثعالب

مع أن خمس عشرة سنة انقضت بكاملها، فلا أزال أذكر تماماً بعد ظهر يوم دافىء من فصل الربيع أمضيته محتاراً أقتفي آثاراً مذهلة لمجموعة من الثعالب في الريف البريطاني محاولا تحديد وجارها. وقادني بحثي الى مجموعة شجيرات كثيفة. وبينما كنت أقطع الاغصان لشق طريقي، عثرت على ملعب قديم لكرة المضرب كثرت فيه الاعشاب، وفي أحد أطرافه ظهرت كومة تراب منبوش حديثاً وسط كتلة متشابكة من الورد البري والوزال.

هنا الوجار. وهناك عند الطرف الآخر من الملعب بيت صيفي خرب ينفع كمخبأ.

وقبعت في المكان المهجور وانتظرت بفارغ صبر. وإذ بثعلبة تظهر في الثامنة والنصف مساء. وعرفت من الظل الأسود حول الذيل أنها "بلاك فرينج"(١) وهي واحدة من بضعة ثعالب كنت أراقبها منذ أشهر. وكان يتدلى من بين فكيها فأر بري. فحنت رأسها وأطلقت نداء عذباً خافتاً، فأسرعت خمسة جراميز(٢) من الوجار كأنها كلاب صيد مطلقة. ولما أفلتت الثعلبة الفأر أقبلت الجراميز عليه

(١) Blackfringe

(٢) الجرموز هو الجرو، ويقال لجرو الثعلب تَتْفُل.



مطلقة صرخة طويلة حادة كصوت عصا تقعقع على سياج. وإذ بجرموز ماكر صغير يقبض على الفأر ويهرب بغنيمته. وارتمت الجراميز الأخرى عند قوائم "بلاك فرينج" متوسلة، فوقفت الأم ساكنة فيما الجراميز ترضع أثداءها.

وأخيراً غادرت "بلاك فرينج" المكان، وراحت الجراميز تلعب الى أن أتت ثعلبة ثانية تستدعيها. وهي بدورها لم تحرك ساكناً بينما راحت الجراميز ترضع منها بنهم.

كان هذا تعرُّفي الحقيقي الأول الى الحياة العائلية للثعالب، فوجدتها مثيرة. ووفق المعرفة السائدة، تعيش الثعالب في وحدة تامة، الا أن تصرف الحيوانات التي راقبتها لم يوحِ بالوحدة أبداً، فواضح أنها تنتمي الى "مجتمع" معين. ترى كيف هو منظم هذا المجتمع؟ وكيف يعمل؟ سؤالان طرحتهما اكتشافات البارحة ولا أزال أحاول الاجابة عنهما.

أرض مستقلة. بدأ ولعي بالثعالب منذ نعومة أظفاري حيث سرقت مصّيص(٣) والدي الطبيب كي أصنع منه قوالب لصبّ آثار قوائم الثعالب. وعندما يسألني الناس اليوم لماذا أخترت التركيز على هذا النوع من الحيوانات، أجيبهم: "لأنها توفر لي أفضل اكتشافات العالم: الاثارة عندما أراقب تصرفاً نادراً، والرضى عندما أتعرف الى حقيقة نمو هذه الكائنات الفريدة وتطورها، والاقتناع بأن هذا الاكتشاف قد يحل مشاكل كبرى كداء الكلَب ومشاكل صغرى (ولكن مزعجة) كقطع رؤوس الطيور الداجنة."

لكن لدي جواباً آخر لا يقل أهمية عن هذا وهو أنني أدرس الثعالب لأن جمالها الرائع يأسرني، ولأنها تفوقني حيلة ودهاء، ولأنها تبقي الهواء والمطر على وجهي، ولأنها تقودني الى عزلة الريف المريحة. وبعبارة واحدة، لأنها تسليني.

بعدما عقدت النية على دراسة الثعلب الأحمر، قضيت ساعة تلو أخرى أراقب تلك الكائنات تخرج من مخبئها الصيفي فأتجسس عليها بحذر من بعيد بينما هي تنجز أعمالها. وحفظت تفاصيل نشاطاتها في سجلات خاصة. وأخيراً زودت بعضها أطواقاً تحوي أجهزة لاسلكية لأتمكن من مراقبة تحركاتها عن بعد. لكنني لم أتنبه في حماستي الاولى الى أن الثعالب مراوغة الى حد الاختفاء، وأنها لا تنام ليلا كي تعاقب مراقبيها. وسرعان ما أدركت تلك التفاصيل.

وأدت بي ملاحظاتي الى فهم الترتيب السلطوي القائم بين الثعالب، اذ ان بعضها يسيطر على البعض الآخر. كما لاحظت أن في منطقة دراستي مجموعات اجتماعية مختلفة، كل منها مؤلف من ثعلب ذكر واحد وعدد من الاناث قد يبلغن خمساً. وكشفت اشارات التتبع اللاسلكي أن أفراد مجموعة واحدة تتشاطر المكان ذاته، ونادراً ما "تتعدى" على أراضي المجموعات المجاورة. وتبلغ مساحة كل قطعة أرض حوالى ٤٠ هكتاراً.

الذود عن الحمى. بينما كنت أبحث عن دليل يلقي مزيداً من الضوء على الحياة

(٣) المصّيص نوع من الجص يدعى جص باريس «Plaster of Paris» .

السرية للثعالب البرية، كان القدر يرسم حياتي أنا. فذات مساء من شهر يوليو (تموز) كنت مختبئاً وراء سياج من الشجيرات، فوصلت الى مخبئي شابة كانت تتنزه هناك. فاضطربت لدى رؤيتها رجلا ملتحياً يرتدي لباساً أخضر ويربض بين الشجيرات. فسألتني خائفة عما كنت أفعله. وعندما شرحت لها الأمر أدركت أنها ربما كانت تعيق الأبحاث التي أجريها. ولكي لا تزيد الطين بلة بمتابعة طريقها اقترحت أن تبقى لبعض الوقت.

وما هي الا لحظات حتى ظهرت عائلة ثعالب وهي تتقلب وتتواثب بمرح. ومضينا نراقبها.

كان ظهور الفتاة على هذا النحو حدثاً لا يُنسى ولا يتكرر. وكانت علاقتنا اللاحقة غريبة لأنني كنت أخلد الى النوم نهاراً وأتعقب الثعالب ليلا. وذات ليلة طرأ تحول على مجرى حياتي، فبينما كنا واقفين في حقل بالقرب من حدود منطقتين للثعالب، طلبت يد جيني للزواج، فقبلت، ولم تصبح زوجتي فقط، بل مساعدتي التي لا يمكنني الاستغناء عنها.

وبعدما تحققت من أن مجموعات الثعالب تعيش ضمن حدود معينة، أصبحت شغوفاً بمعرفة العلاقات القائمة بينها. وفي احدى الليالي راقبت ثعلبة تدعى "وايت تيب" تجول باحثة عن طعام بالقرب من شجر منخفض كان يشكل، استناداً الى الاشارات اللاسلكية، الحدود مع منطقة ثعالب أخرى. وفيما أنا أراقب طيفها الاخضر عبر عدسة المنظار الليلي الذي يعمل بالاشعة دون الحمراء ويمكّن من الرؤية في الظلام، غابت هنيهة عن نظري. وما هي الا ثوان حتى سُمِعَ صوت عراكٍ من المكان الذي اختفت فيه. وما لبثتُ أن رأيت "وايت تيب" وثعلباً آخر قد دخلا معركة حامية الوطيس. فهربت والثعلب الغريب يلاحقها. وكان المتصارعان على بعد بضعة أمتار مني عندما اندفع "زوج" "وايت تيب" يعدو مسرعاً لينقضّ على المتطفل. وكان دور الثعلب الغريب... الفرار.

راح زوج "وايت تيب" يقفز لشدة فرحه، ويمشي مظهراً قوائمه القوية في محاولة ثعلبية لعرض عضلاته. إن مشاهد كهذه أقنعتني بأن مجموعات الثعالب تدافع عن أراضيها بقوة بإجبارها الغرباء والجيران على الخروج.

ليلة بيضاء. يمكنك أن تتعلم الكثير من طريق مراقبتك الثعالب في البرية، الا ان كثيراً مما تراه لا يمكن أن يفسر على حدة. يمكنك أن تراقب "ماذا" يجري (كثعلب ينبش جيفة أرنب مطمورة) ولكن لا يمكنك أن تفهم "كيف" يجري ذلك و"لماذا". فمثلا، هل يتذكر كل ثعلب المكان الذي دفن فيه غنيمته؟

لهذا السبب قررت توظيف جاسوس يعمل لحسابي. فاذا ما تمكنتُ من تربية جرموز وكسب ثقته وتعويده حياة طبيعية مقدار المستطاع في رفقتي، ومن ثم الذهاب معه الى العالم البري لسلالته، فقد يساعدني من طريق شم الآثار ونبش المخابىء والاجابة عن أسئلة لم يخطر في بالي يوماً أن أطرحها، وأنا أؤدي دور ظله الصامت المدون للملاحظات.



وحصلت على جرموزة من صديق ربى ثعلبين. وفي أول مساء قضيناه معاً ذوبت لها حليباً مجففاً خاصاً بالجراء. ثم ملأت زجاجة ماء ساخناً للتدفئة ووضعت الجرموزة برفق في علبة خشبية تحت سريري. وعندما أويت الى الفراش بدأت تعوي.

وكما علمت لاحقاً، العواء هو ما تفعله الجراميز عندما تكون وحيدة. وبالنسبة الى حيوان في هذا الصغر وذاك الضعف، فهو صوت معبّر يسبب بعد فترة قصيرة تشنجاً كبيراً في عضلات صدر المستمع. فأخذت اللقيطة ووضعتها بجانبي في السرير، فران الصمت على الفور وبدأت الجرموزة تتلوى الى أن استقرت في الفجوة تحت عنقي. كان وقتاً لذيذاً، أتذكره كما أذكر ما جرى بعدئذ حين دوى عواء الصغيرة على بعد سنتيمترات من طبلة أذني. ومر وقت كأنه ردح من الزمن قبل أن يخف الصراخ الحاد ليتحول همهمة وولولة. الا أن الجرموزة أخلدت الى النوم في نهاية المطاف وخطمها ملتصق بأذني. لم أكن أعلم ان هذه هي الوضعية التي ستصر عليها طوال خمسة أشهر. وبعد تلك الليلة الاولى التي لم يغمض لي فيها جفن، خوفاً من سحقها أو ايقاظها، تكونت لدي فكرة عن الصرامة التي يجدر بي اتباعها.

ومرت الأيام والليالي وأنا أطعم الجرموزة الحليب. وسميتها "نيف." وهي بقيت تطلق صوتاً ناعماً، ولكن بات في الامكان تهدئتها بسهولة، خصوصاً لدى لمس أذنها. ولما بلغت يومها الثاني عشر بدأت عيناها الزرقاوان المغشيتان تتفتحان ولم يمض وقت قصير حتى بدأت تمشي مترنحة على السرير.

غنائم مدفونة. تحسن تجاوب "نيف" بسرعة، وأصبح اللعب همها الرئيسي. وبعد وقت قصير باتت ترافقني الى الريف. وفي مراحل نموها الاولى كان يطغى على حركاتها هياج شديد، فكانت كذبابة تطنّ وتطير على غير هدى. ولكن ما ان أصبحت بالغة حتى بدا أن هناك قصداً وراء كل حركة. وأنا تعلمت الكثير

في رفقتها. علمتني التوقف لدى اقترابنا من منعطف أو عندما نصل الى قمة أحد المرتفعات، كي نرى قبل أن نُرى. كما علمتني أن أدور حول أي شيء غير مألوف مع اتجاه الريح. وقد أصبحت خبرتي، كمتعقب، كبيرة بعدما علمتني "نيف" كل حِيَل مهنتها.

وكانت نزهاتنا أحداثاً مثيرة بالنسبة الى "نيف"، فتنتصب أذناها ويرتفع أنفها عالياً. وكانت تعتريها قشعريرة فيُرى ذلك واضحاً على جلدها. وأعتقد أن معظم حياة الثعلب مبني على الاثارة. ففي أوقات كهذه يغرق الحيوان في أحاسيسه الدقيقة: اغماضة عيني أرنب، وصرير فأر على بعد أمتار، ورائحة منبهة منبعثة من آثار قوائم كلب.

إلا أنني تمتعت و"نيف" بأوقات هدوء ومرح كذلك. أي شيء يبعث الطمأنينة في النفس أكثر من التمدد في غابة تحت أشعة الشمس ومعك ثعلب نائم على صدرك؟ أي شيء أكثر متعة من لعبة مطاردة مع ثعلب مراوغ؟

وعندما بلغت "نيف" أسبوعها العاشر حان وقت اجراء بعض الاختبارات. وأولها اختبار قدرة "نيف" على تحديد مخابىء الطعام. قيَّدتها ورحت أجوب المنطقة الواقعة في نطاق "بيتها" ملقياً جرذاناً نافقة في الممرات التي كانت تعبرها عادة. وعندما رافقتها الى هناك مساء التقطت أول الفئران التي صادفناها. ثم التقطت جرذاً وحملته الى شجيرات قريبة حيث نبشت حفرة صغيرة ووضعت الجيفة فيها، ثم ردمتها مستعينة بخطمها. ومهدت الارض ووضعت عليها عشباً. واذ تابعنا مسيرنا راحت تخبىء فئراناً أخرى بالطريقة الحذرة عينها. وشككت في قدرتي على الاهتداء الى تلك المخابىء، الا أن السؤال كان: هل في امكان "نيف" الاهتداء؟

وفي المساء التالي حاولت جهدي ألا



أقع فيما قادتني "نيف" بخفة في الحقل. وما هي الا برهة حتى كانت تأكل أول فأر مخبأ. وهي أكلت الفئران تباعاً حتى اذا ما وصلنا الى نهاية الحقل كانت كل الفئران أكلت.

وقد ربيت وزوجتي ثعالب أخرى في ما بعد، وكرّرنا اجراء هذه الاختبارات لمعرفة ما اذا كان في امكان ثعلب ما اكتشاف مخبأ فريسة ثعلب آخر. وأصبح واضحاً، بالنسبة الينا، أن الثعلب الذي يحفر المخبأ هو الوحيد، غالباً، القادر على ايجاده.

مملكة جديدة. لم يكن ذلك سوى غيض من فيض مساهمة "نيف" في العلم. وكان يتملكني شعور بأن الانجاب ضمن اطار العائلة هو امتياز للاناث المتفوقات. فرغبت في أن تنجب "نيف" اناثاً للتحقق من هذا الامر.

وضعناها برفقة ثعلب، وأبقيناهما معاً في مكان واسع مغلق. ولم يمضِ وقت طويل حتى اصبحت "نيف" حاملا. وولدت جراءها تحت كومة أغصان تذروها الريح في ليلة مثلجة منتصف شهر مارس (آذار).

وعندما وقفت قرب كومة الاغصان في الصباح التالي سمعت الصوت الجميل لجراميز تموء وترضع، وذلك للمرة الاولى في حياتي.

جثوت على يديّ وركبتيّ وزحفت ببطء تحت الاغصان. وكنت أود أن أصور الجراميز اذا سمحت لي "نيف" بذلك. وتعين علي أن أدفع آلة التصوير بحيث تبقى أمامي. وتقدمت وأنا أهمس لثعلبتي برقة. وكنت أتوقف كلما اجتزت بضعة سنتيمترات، فأنتظر بفارغ الصبر اشارة انذار أو عداء. وأخيراً تسنى لي أن أنعم النظر لأرى الثعلبة تنظر الي من مسافة مترين. انتابتها رعشة ترحيبية. ولمحت خمس كتل فرائية تتموج عند حلماتها.

وتمكنت من تثبيت آلة التصوير في الوضع المناسب من دون التعرض للقاء العائلي الحميم. وعندما ضغطت زر الآلة دوى صوتها كأنه محرك جرافة تنطلق. فحدقت "نيف" الى العدسة، إلا أنها لم تحرك ساكناً. فداعبت أذنيها، ثم مررت أصابعي بين صغارها. وفيما آلة التصوير تلتقط كل حركة راحت "نيف" تداعب صغارها بخطمها وتلعق يدي. فخلت أن قلبي يكاد ينفجر.

ودخلنا السنة التالية في رفقة "نيف" وشريكها وبناتهما الأربع. وكان واضحاً أن "نيف" هي المسيطرة في مجموعتها. وتبين أنها الوحيدة التي أنجبت في ذلك الموسم. وظلت مسيطرة على المجموعة حتى نفوقها بعد خمس سنوات.

لن أنساها أبداً.

في تجربة دامت نحو ثماني سنوات سمحت لنا نيف بإلقاء أكثر من نظرة خاطفة على تسلسل القوة في العائلة الواحدة. فهي مهّدت لنا الطريق للتعرف الى عالمها، وأظهرت لنا الطبيعة الحقيقية لهذا الحيوان الجميل الطيّع. وكانت رحلتنا "عبر المرآة" أكثر روعة لأن بلاد عجائب الثعالب كانت مكتنفة بالاسرار.

ديفيد ماكدونالد ■

مُحسِن
في كالكوتا



ألوف من أولاد الاحياء الفقيرة في الهند عاودهم أمل التخلص من الجهل والفقر بنخوة رجل صاحب رسالة وحلم

□ قبل ثلاثة أعوام تخاصم مانوج داس(١) مع أخيه وغادر المنزل. وبعدما هام عدة أيام في الجوار بلغ محطة هوراه للسكك الحديد. كان تعباً وجائعاً فحاول سرقة بعض البقول الخضراء، لكنَّ شرطياً قبض عليه وطرحه في زنزانة للاولاد الجانحين.

أُطلق مانوج بعد خمسة أشهر بفضل احدى منظمات الانعاش الاكثر فرادة في كالكوتا. واليوم يقيم مانوج، ابن الخمسة عشر ربيعاً، في مدرسة المنظمة المكلَّفة إعادة تأهيل القاصرين من نزلاء السجون

(١) غيرت في هذه المقالة أسماء بعض الاشخاص حفاظاً على السرية الشخصية.

السابقين. وهو، الى دراسته العادية، صار بارعاً في العزف على الارغن. ويقول: "أنا سعيد هنا. لا أرغب في العودة الى البيت."

□ نشأت نيدهو راني ماندال في حي فقير في كالكوتا. وطالما رغبت في أن تصبح ممرضة. لكنها ظلت ضعيفة الامل في تحقيق طموحها الى أن فتحت المنظمة ذاتها مدرسة في حيّها عام ١٩٦٨. ونيدهو تعمل الآن ممرضة في مستشفى المنظمة وتعيل عائلتها المؤلّفة من خمسة أشخاص.

ليس مانوج ونيدهو سوى اثنين من الوف الاولاد الذين تغيرت حياتهم بفضل ميلتون ماكان (٥٧ سنة) مؤسس "جمعية البنغال للخدمات" ورئيسها، والامين العام لفرع الهند في مؤسسة "أرض البشر"(٢) منظمة الانعاش المنطلقة من سويسرا. ويعمل في إدارة ماكان ملاك من ٨٠٠ موظف بموازنة تبلغ ١٤ مليون روبية(٣) لتنفيذ برامج "جمعية البنغال للخدمات" ومؤسسة "أرض البشر" اللتين تعلّمان - وتعيلان - عشرة آلاف قاصر وقاصرة في ١٥ مدرسة. وهو يُشرف على ثلاث دور حضانة وتسعة مستوصفات ومستشفى وميتم، كما يتعهد برنامجاً لتحرير الاولاد من السجون وإعادة تأهيلهم، هو الاول من نوعه في الهند.

ظروف صعبة. يتبع ماكان نظاماً يومياً من شأنه أن ينهك رجلا له نصف عمره. يستيقظ في الرابعة صباحاً ويتوجه الى مكتب قرب ميدان السيرك في قلب كالكوتا، حيث سرعان ما يتحلّق حوله سكان الاحياء الفقيرة في ضواحي المدينة، وكلهم يطلبون العون.

هذا اسماعيل، مثلا، يشكو البطالة. ليس لدى ماكان عمل يعرضه عليه، لكنه يعطيه ٣٠ روبية كي يبحث عن عمل خلال الاسبوع، ويظل يساعده حتى يتوصل الى ايجاد عمل. وعبد الرحمن عاطل كذلك عن العمل، لذا يستخدمه ماكان كمساعد في احدى مدارسه ويعينه لاحقاً في فتح مقهى.

يقر ماكان بوجود مشاكل يعجز عن حلها، لكنه يستدرك: "غير اني اصغي الى كل شكوى وأقدم التشجيع والرجاء."

في السادسة والنصف صباحاً يكون ماكان في مكتبه حيث يعمل طوال خمس ساعات قبل أن يتجوّل متفقداً هذا المرفق أو ذاك. ولا يعود الى منزله قبل الخامسة بعد الظهر، فيتناول وجبة سريعة قبل أن يغرق في تصفّح ملفات مكتبه. غير أنه يسمح لنفسه ببعض الاسترخاء قبل أن يأوي الى فراشه. وينتهي نهاره في الحادية عشرة ليلا.

هذا العازب القصير القامة الممتلىء الجسم الذي يرتدي دائماً ثياباً بيضاً، وُلد في رانغون (بورما) في ٢٩ سبتمبر (أيلول) ١٩٣١. عاش حياة مرفّهة في بيت ينتمي الى الطبقة الاريستوقراطية، الى أن قضى والده في العام ١٩٤٥ في حادث سيارة، فوجدت والدته نفسها في أزمة مالية شديدة، فأخذت اولادها الاربعة الى كالكوتا حيث كان لها بعض الانسباء.

---

(٢) Terre des Hommes

(٣) الروبية تعادل نحو ٨ سنتات.

لكنّ الظروف كانت صعبة، ويستعيدها ميلتون: "كنا نقتصد في الانفاق حتى نكاد نجانب العوز."

راود ماكان طويلا حلمُ أن يصبح طبيباً، لكن الدخل العائلي غير المستقر وضع حدا لآماله. لذا التحق بشركة "جيسوبس" للهندسة المعمارية كمعاون محاسب. ومع أن هذا العمل أمّن له استقراراً فانه لم يستطع أن يغمض عينيه عن الفقر المدقع الذي يحيط به. فتاق الى تقديم بعض العون الى الفقراء، ولاسيما الاولاد. وبدا له أنهم لو استطاعوا تأمين تعليمهم الاساسي وطعامهم الكافي لتمكنوا من شق طريقهم بعيداً من الفقر. وقاسمه همومه زميله في العمل سيسير داسغوبتا. وأخيراً قرر الرجلان فتح مدرسة في أحد الاحياء الفقيرة.

بعد زيارة مواقع شتى استقرّا في سابغاشي، وهي ضاحية من أكواخ الصفائح في جنوب شرق كالكوتا. ويتذكر ماكان: "اخترناها لانها كانت الاسوأ بين الضواحي، تضم نحو عشرة آلاف شخص يعيشون في أكواخ قذرة مبنية في أرض سبخة."

مشاريع ومشاكل. لم تكن في سابغاشي طرق، ولا كهرباء ولا شبكة مجار. وكانت المياه المصرّفة تفيض مع القذارة. وعندما تغمر الامطار الموسمية المنطقة، كان ماكان يخوّض في المياه النتنة دافعاً أمامه الدراجة البخارية التي اعتاد التنقل بها.

كان السكان في البدء عدائيين مثل بيئتهم. فعندما حدّثهم ماكان عن مشاريعه في شأن فتح مدرسة سخروا منه. وهدد آخرون بالقائه خارجاً. ويقول ماكان: "اشتبهوا بأني مبشر."

كان عليه أن يبذل جهداً دؤوباً وشاقاً ليقنعهم بحقيقة نيّاته. فلم يتقاعس ولم يتوانَ. راح يلعب مع أطفال الحي ويسأل أهلهم: "ألا ترغبون في أن يحصل هؤلاء الصبية والبنات على مستقبل أكثر اشراقاً؟ ان المدرسة تعني التعلم وايجاد عمل وحياة لائقة." وشيئاً فشيئاً بدأ يتغلب على مقاومتهم.

وافق ثلاثة من كبار المقيمين – هم محمد خان وحسين علي وشرف الدين أحمد – على مساعدته. بل ان خان، وهو صاحب مرأب لاصلاح السيارات، قدم غرفة للمشروع. فاشترى ماكان كتباً مدرسية وألواحاً اردوازية وطبشوراً، وافتتح المدرسة في ١٨ أغسطس (آب) ١٩٦٨ وفيها نحو ٤٠ ولداً. وفيما فضّل سيسير العمل الاداري تولى ماكان التعليم برمته. كان يعلّم الصفوف من السابعة الى التاسعة صباحاً قبل أن يندفع الى عمله، ثم يعود الى سابغاشي قرابة السادسة مساء ليلعب مع الاولاد أو يتحادث وأهاليهم.

سرعان ما انضم الى المدرسة مزيد من الاولاد، فتعيّن على ماكان أن يستأجر غرفاً اضافية ومعلمين جدداً. اذذاك قدم الخياط شرف الدين أحمد قطعة صغيرة من الارض، وتبرع أصدقاء ماكان الصناعيون بالمال لبناء سقيفة مستطيلة تصلح كمدرسة.

ولكن حتى بعد تأسيس المدرسة ظل بعض المقيمين يُظهرون العداء. فبعد

ظهر أحد الايام كان ماكان في طريقه الى سابغاشي، فقذفت قرميدة في اتجاه رأسه. تفاداها في الوقت المناسب وأفلح في القاء نظرة خاطفة على مهاجمه. وبعد بضعة أيام شاهد الرجل ثانية، وهو أحد أشقياء المحلة، ودعاه الى كوب شاي. تحدث الرجلان طوال ساعة وشرح ماكان مشاريعه من أجل سابغاشي. وأخيراً اقتنع الرجل بصدق ماكان.

وبرزت مشاكل جديدة عندما مُدَّت خطوط الكهرباء الى سابغاشي. وحدث مرتين تماسّ كهربائي بين سلكين بفعل الريح مما عرَّض الناس تحتهما للخطر. ويستعيد ماكان ذكريات تلك الايام مرتعداً: "في احدى هاتين المرتين صعق التيار الكهربائي ثلاثة جواميس كانت واقفة أمامي على بعد أمتار قليلة."

مجمَّع جديد. فيما استمر عدد الطلاب في الازدياد بدأ ماكان يفكّر في انشاء مبنى لمدرسة خاصة به. وكان أمراً حيوياً اللجوء الى الاعلان لجمع المال اللازم، فدعا بعض رجال الصحافة والوجهاء المتوطنين في كالكوتا الى حي سابغاشي. وتدريجاً شاع عمل ماكان وأخذت الصحافة تتناوله في مقالاتها، فبدأ المال يفد ببطء. لكنه لم يكن كافيا. ودفع اليأس ماكان الى توجيه رسائل الى السفارات في دلهي طالباً العون. فتبرع المندوب السامي الكندي بتكاليف الطبقة الارضية للمدرسة وبثمن الارض.

ويتذكر ماكان تلك الحقبة: "تلك كانت أول انطلاقة ذات شأن. وبعدها بقليل قُدِّمت الى الممثل السينمائي ديف أناند فسألته هلا يتبرع لنا بعرض مسرحي، ولكم كانت دهشتي كبيرة عندما قبل."

در العرض ٥٠ ألف روبية دخلا صافياً، وما أن أقبل العام ١٩٧٢ حتى كان مبنى مدرسة "جمعية البنغال للخدمات" جاهزاً بطبقاته الثلاث في حي سابغاشي. واليوم يؤمّ هذه المدرسة ١٢٠٠ فتى وفتاة. ويُقدَّم اليهم الطعام يومياً من أموال تؤمِّنها مؤسسة "أرض البشر." ويشرح ماكان: "الطعام يخفض نسبة التغيُّب، فما من أحد يريد أن تفوته وجبة."

في العام ١٩٧٥ بنت "جمعية البنغال للخدمات" في سابغاشي مستشفى كامل التجهيز بدأ بعشرة أسرّة وبات يضم ٥٠ سريراً. ويؤوي المجمَّع أيضاً مركزاً لتعليم نساء الاحياء الفقيرة الخياطة وإدارة المنزل والاسعافات الاولى والحرف اليدوية. وفي الجوار مشغل آلي يعمل فيه ٣٠ من الفتيان الجانحين.

وراحت نشاطات الجمعية تتضاعف بسرعة كبيرة حتى ان ماكان وجد صعوبة في أن يُكمل عمله في شركة "جيسوبس" حيث كان رُفع الى وظيفة مدير مشتريات. فاستقال في العام ١٩٧٨ ليكرِّس كل طاقاته لمشاريعه. يقول. أ. مازومدار رئيس شركة "تيل" المحدودة ومديرها التنفيذي، وهي شركة ظلت سنوات تساعد "جمعية البنغال للخدمات": "يُعتبر عمل ميلتون ماكان في حي سابغاشي الفقير تسامياً رائعاً على كل الاعتبارات."

مدرسة للفقراء. كان ماكان شديد التمسك بالدقة، فأدار المنظمة بحزم.

وكانت حدّته تنفجر بسرعة انّى التقى مصادفة عملا قذراً. لا يخفي شيء عن بصره الثاقب. فالصورة المعلّقة بانحراف يجب ان تُسوّى حالا. وهو لاحظ مرة عند دخوله غرفة تدريس أن أرضها لم تنظف جيداً، فأخذ مكنسة ونظفها بنفسه أمام طلاب الصف المنشدهين.

لكنّ له وجهاً آخر أكثر دماثة. وقد رافقته أخيراً في زيارته المدارس. تحلّق الطلاب حوله حالما دخلنا غرفة التدريس. مازحهم ماكان وروى لهم قصصاً، وبعد ذلك وافاهم الى ملعب الكرة الطائرة."

حتى عندما كان ماكان يهتم بشؤون مشاريعه المتمركزة في كالكوتا رغب في مساعدة الاولاد في المناطق الريفية. ففي العام ١٩٧٧، عندما سأله كورت بوركي وزوجته السويسريان اللذان تبنيا طفلا هندياً، كيف تتسنى لهما مساعدته، اقترح عليهما فتح مدرسة في أوستي، وهي قرية صغيرة تبعد ٤٠ كيلومتراً من كالكوتا. واليوم يضم مشروع أوستي ٤٠٠ ولد قروي، وتوسّع ليضم آباراً لمياه الشفة ومركزاً للتطبيب والتدريب المهني. والى إدارة ماكان مدرسة أوستي ومركزها، فهو يشرف على خمسة مشاريع ريفية مماثلة، مموّلة جميعها من الخارج.

انقاذ الجانحين. كانت خطوة ماكان التالية مساعدة الأحداث المحتجزين في سجون الولاية، بعدما قرأ مقالة صحافية روعته وجعلته يزور بضعة سجون. وهو يقول: "راعني ما شاهدت فيها." كان أطفال أبناء ست سنوات محبوسين مع مجرمين عتاة، يرقدون على أرض الزنزانة الباردة ويأكلون رزاً مليئاً باليرقان وقد انتشر القمل في شعورهم والجرب في جلودهم. وفكر ماكان: هذا ليس مكاناً للاولاد.

كان معظم النزلاء الصغار من أسر فقيرة، وقد جنحوا بسبب الفقر وسوء المعاملة. صادِق، ابن الست السنوات، ألقته زوجة أبيه في محطة هواره حيث وجدته شرطة السكة الحديد. ولم يستطع الصبي تذكر عنوان بيت أبيه، فراح يتسكع مستعطياً في الشوارع قبل أن يحط رحاله في السجن. وبابول غوش، ابن الخمسة عشر ربيعاً، جاء من بوروليا بمقاطعة بيهار وكان يشكو نوبات متكررة من فقدان الذاكرة. وخلال احدى هذه النوبات وجده رجال الشرطة متشرداً في الشوارع، ولعجزه عن الاجابة عن أسئلتهم أرسِل الى السجن.

هاتان الحالتان ومثيلاتهما دفعت ماكان الى إعداد مشروع، بتمويل من "أرض البشر" لتحرير الاولاد السجناء وإعادة تأهيلهم. ووافقت حكومة الولاية على الفكرة، وسرعان ما أطلق ٩٣ حدثاً متشرداً أو جانحاً تترجح أعمارهم بين ست سنوات وست عشرة سنة. وفيما عاد ١٧ منهم الى منازلهم، يعيش الباقون (بمن فيهم صادق وبابول) بسعادة في سيشو أوديان، المدرسة الداخلية في رانجيلاباد.

عندما زرتُ سيشو أوديان مع ماكان أحاطنا فوراً صبيان مرحون ثرثارون. وجذب تارون موليك (١٤ سنة) ماكان جانباً وأعلمه انهم جميعهم يطلبون جهاز راديو. وشرح تارون: "لقد اقبل موسم لعبة

الكريكيت ونريد أن نستمع الى التعليق على المباريات." تبسّم ماكان وأحاطه بذراعه قائلا: "انت ترغب في أن تصبح مهندساً، أليس كذلك؟ اصنع الجهاز بنفسك! أنا سأشتري لك القطع." ثم استدار نحوي وأشار بفخر الى قفص كبير للطيور وقال: "لقد بناه أولادي."

خلال جولتنا في المكان لاحظت ان ماكان يدس باستمرار حبوباً في فمه. وهو أقرّ لي لاحقاً في مكتبه بأنه يعاني اختلالا في عينه وارتفاعاً في مستوى الكولسترول وعدداً من الاعتلالات المزمنة الاخرى. وعندما تساءلت عن جدوى ارهاق نفسه هكذا تبسم وأدار لحاظه في أرجاء الغرفة المليئة بملصقات تمثل أطفالا وقال: "هؤلاء الاطفال هم حياتي. لقد منحتهم كل محبتي فبادلوني اياها اضعافاً مضاعفة. ماذا يمكن الانسان ان يطلب اكثر؟"

شانو بيجلاني ■



الحظ

نشأ مايك شميت، نجم كرة القاعدة (بايسبول) في فريق فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا، في مكان هادىء تزينه صفوف الاشجار في جوار دايتون، من عائلة تنتمي الى الطبقة المتوسطة. وعندما كان عمره خمس سنوات تسلق شجرة في فناء منزله الخلفي ولمس سلكاً كهربائياً للتوتر العالي، فصعقه التيار وافقده وعيه، فوقع منهكاً على الارض، وكان لسقوطه الوقع الحسن على قلبه الذي استعاد ضرباته.

يقول شميت: "ما فكّرت قط في أني سأعطى حظاً ثانياً لانه كان يُفترض بي أن اقوم بأمر جلل في حياتي. لكنني عدت بذاكرتي الى ماضيّ وعجبت لماذا ذلك الصبي الصغير المغفل لم يمت. ولربما كان ذلك السبب الذي دفعني دائماً الى السعي الحثيث، لاني لم أرد أن افكر في أني فوّت ذلك الحظ."

ف.ا.

الحياة مثل السيكار!

يروي الصحافي ريناتو جيونتيني هذه القصة عن زيارته للمايسترو الكبير ارثور روبنشتاين:

عندما هممتُ بالرحيل اعطاني علبة من السيكار المفضل لديه، فشكرته وقلت له إنني ساحتفظ بها طوال حياتي.

فرد: "لا، بل عليك ان تدخنها يا صديقي. فكل سيكار منها رائع كالحياة. وانت لا تحتفظ بالحياة، بل تتمتع بها تماما. فليس من سعادة من دون حب ومن دون تمتع بالحياة."

الكَبيس يثير الأحاسيس...

مَنْ يقاوم إغراء مملكة الكبيس وفيها ما فيها من منشطات ومؤثرات ونكهات مميزة؟

الكبيس (١) شيء مجوني. فَكِهٌ وسمين كمغنٍّ صادح في جوقة أوبرا. انه الخيار أصيب بقشعريرة. شذاه مبهرج. وكل قضمة تصدر قَرْشاً كثير العصارة يسمع على بعد ثلاث طاولات. الحدة تجعلك تظن أن ثمة رقصة عنيفة تدور داخل فمك.

الكبيس الاخضر اللامع هو غاية كل انسان. في ألمانيا وهولندا وأسوج (السويد) والولايات المتحدة، معدل ما

(١) الكبيس أو المخلل.



يأكله المرء سنوياً من الكبيس هو أربعة كيلوغرامات.

يحبه المزارعون ورجال المال والفتيات الحسناوات ولاعبو الكرة والاطباء ومنظمو الحفلات ورجال الدولة. الكبيس جوهر الديموقراطية، لا يختص بجنس ولا يختص بمذهب.

قليلون هم المحصَّنون ضد اغواء الكبيس. والمعروف عن الممثل الامريكي المحبوب بيل كوسبي أنه لا يطلب وجبة غداء قبل أن يكون التهم قطعة أو قطعتين من الكبيس الحاد الطعم. والممثلة رينيه تيلور صرخت مرة من غرفتها في ليلة افتتاح: "لا كبيس، لا تمثيل."

مفعول شفائي. قال ليو ستينر أحد أصحاب متجر "كارنيغي" في مدينة نيويورك حيث تباع اللحوم والاجبان والمأكولات الجاهزة الاخرى: "الكبيس رومنطيقي أيضاً. رأيت مرة زوجين يجلسان الى طاولة وأمامهما طاس من الكبيس الحرّيف. راحا يقضمان الكبيس ويغمضان أعينهما، ويغرقان في حديث حميم!"

وبانفعال أقل تشير ليتيشا بالريج الى الدور الذي يؤديه الكبيس المثوّم العاصف في العلاقات بين الناس. تقول هذه المتخصصة بأصول البروتوكول، (٢): "الكبيس المثوَّم أحب الانواع الي. فله وجود قوي في فم الانسان. تفوح رائحة الثوم بقية النهار عندما تأكله ظهراً. وهو يستحق المجازفة لانه يكوّن ألفة قوية بين آكليه."

يقال ان الثوم في الكبيس له خواصّ صحية. وزعم عالم الطبيعة الروماني بليني الاكبر (٢٣ - ٧٩ قبل الميلاد) أنه يشفي من داء الربو. وأثنى الطبيب الاغريقي ابقراط (٤٦٠ - ٣٧٠ قبل الميلاد) ومواطنه الفيلسوف أرسطوطاليس (٣٨٤ - ٣٢٢ قبل الميلاد) على التأثير الشفائي للثوم.

ثلاث طرق. ظهر الكبيس في التاريخ مع بدء زرع الخيار البري في آسيا قبل ألوف السنين. وانتشر الخيار المحب للشمس في قارة تلو أخرى. ولم يمض وقت طويل قبل أن يتصور الناس كيف يحفظون خيار الصيف لفصل الشتاء بصونه في ماء الملح. وأخيراً أضيفت بعض التوابل والافاويه لاعطاء الخيار نكهة مؤثرة. واستمر الطهاة في الاختبار على مر القرون، ينقعون الخيار في الخل ويضيفون اليه مزيداً من الافاويه القوية كالثوم والبصل والفلفل الاسود وحب الخردل والكزبرة. والى اليوم لا يزال الحد الوحيد للتطييب هو مخيلة صانع الكبيس.

ولكن يبقى ثمة معيار للكبيس الكامل. يجب أن يكون قوياً وناضراً هشاً، لأن الحياة قصيرة جداً لاكل كبيس فاتر خائر. يجب أن يكون ذا قشرة رقيقة وله حيوية جمالية اضافة الى اخضراره ومذاقه الذي تتوقع أن يكون مذاق الكبيس الكامل. وهنا يبدأ الجدل، في أربعين نوعاً مختلفاً من الكبيس هنالك لذة في كل مذاق.

(٢) البروتوكول هو نظام التشريفات الديبلوماسية والعسكرية.

ثمة ثلاث طرق أساسية لصنع الكبيس التجاري. التخمير، والتعليب الطازج، والتبريد. طريقة التخمير التقليدية تستغرق اياماً وأسابيع وأشهراً وأحياناً سنتين. ينقع الخيار في الماء المالح، يغسل بالماء لازالة الملح الزائد، يوضع في مرق مالح او مخلل منكّه بالافاويه، ثم يخزن في أوعية مختومة. وكلما طال نقع الخيار في الماء المالح كان المذاق أقوى واللون أصفى من الخيار الحامض.

في تقنية الكبيس المعلّب طازجاً يوضع الخيار المقطوف حديثاً في أوعية زجاجية ويغطس في ماء مالح ويعقم لبرهة وجيزة. وهذه العملية تعطي مذاقاً ألطف وأنقى وأقرب طعماً الى الخيار من عملية التخمير.

عملية التبريد مشابهة لتقنية التعليب الطازج. غير أن الكبيس هنا مبرد بدلاً من أن يكون معقماً. ويعجب المتحمسون لهذا الكبيس بنظافته وبياضه ونكهته وقضمه المثير.

لكل محب للكبيس رأيه الخاص في فردوس الكبيس. "البيتزا" مع كبيس بقل الشبث (٣) هي المفضلة لدى جيم بونين مدير أحد مصانع الكبيس في وودستوك بولاية ايلينوي. ويصرّ ليو ستينر أحد اصحاب مطعم كارنيغي على أن شطائر لحم البقر المعلّب تصبح أكثر اثارة للاحاسيس ثماني مرات اذا ما أضيف اليها الكبيس. ويدعي بيل مور مدير أحد مصانع الكبيس أن ألذ طبق في العالم هو كبيس الشبت مع زبدة الفستق.

من الواضح أنه بالنسبة الى أولئك الذين ينشدون الكبيس الامثل، الهوى هو الحاكم، والقوانين لا تطبق.

باتريشا لندن ■

(٣) Kosher dills

الترقي بالغناء

تعمل جوقة صبيان هارلم، حي الفقراء الزنوج والبورتوريكيين في نيويورك، خارج مبنى مدرسي سابق مهدم، في حي يتفشى فيه مخدر الكوكايين. ومع ذلك كان الفريق نجح غالباً في مهمته، وهي تعليم الشباب ان ينشدوا مثل الملائكة ويتصرفوا مثل الرجال.

مؤسس الجوقة ومديرها والتر تورنبول البالغ ٤٤ عاماً، مصمم على مساعدة كلّ فتى. فاذا واجهت احدهم مشكلة موسيقية او شخصية، يتصدى لها هذا الصادح (تينور) السابق في الاوبرا ولا يستسلم للمعوقات. وفي مدينة حيث نسبة كبيرة من الزنوج الملتحقين بالتعليم الثانوي لا يحصلون شهادات التحرج، يذهب ٩٨ في المئة من شباب الكورس الى الجامعات.

وفي هذا يقول تورنبول: "عرِّف ولداً ابن عشر سنين على مواطن الجمال يبقَ رانياً اليه طوال حياته!"

م.ك. عن "وول ستريت جورنال"

وداعاً يا أكبر ألماسة في العالم

قصة الصراع بين أكبر ألماسة في العالم والرجل الذي فضّل كمال الصنعة على فرادة الحجم

هذا الحجر الغريب الشكل الباهت اللون ينبو عن كثير من أمثاله. ولو قادتك المصادفة الى رؤيته وأنت تتنزه على الشاطىء لمررت به مرور الكرام. فهو أضخم من أن يُقذف منزلقاً فوق الماء، وأخشن من أن تضغطه بقبضتك، وأشحب من أن يحدوك على التقاطه والاحتفاظ به. لكن رجلا حادَّ البصر فطناً - لم يُكشف عن اسمه بعد - التقط الحجر فبات مكتشِف الالماسة الرابعة من حيث الحجم في العالم.

عندما سمع تاجر الالماس النيويوركي مارفين صامويلز أن حجراً من الالماس وزنه ٩٠٠ قيراط قد اكتشف، لم يصدق



الحجر الاصلي الخام.

الخبر. فتجارة الجواهر تكتنفها روايات عن حجار ألماس كبيرة يتبين في نهاية المطاف أنها ليست كبيرة أو ليست ألماساً. غير أن صامويلز الذي يعشق التحدي، طار الى أوروبا ثلاث مرات باحثاً عن الحجر الذي قيل إنه في السوق.

أخيراً، في أغسطس (آب) ١٩٨٤، اشترى صامويلز الحجر الكريم بالشراكة مع "زايل كوربوريشن" وهي شركة في ولاية تكساس تتعاطى بيع الجواهر بالتجزئة (القطاعي). والى العام ١٩٨٥ كان الحجر معروضاً على منضدة مارفين صامويلز في شركـة "بريميير جيم كوربوريشن" في نيويورك وهو يمثل التحدي الاول خلال ٨٠ عاماً لـ"نجمة افريقيا"، الالماسة التي تزن ٥٣٠،٢ قيراطاً وتتصدر جواهر العرش البريطاني في برج لندن.

كيف يبدأ؟ انها فرصة العمر بالنسبة الى صامويلز. وبصفته "صانع" الالماسة سوف يشرف على صقلها ليحولها أكبر ألماسة على وجه الارض، تزن ٥٣١ قيراطاً، أي ٠،٨ قيراط أكبر من "نجمة افريقيا". وفي ذروة الحماسة يتوق صامويلـز الى صنع "جـوهرة تـدخل التاريخ." بيد أنه يعرف أن أمامه لتحقيق هذا الحلم فرصة وحيدة. فغلطة واحدة تُقترف في أثناء الصقل قد تفتّت الحجر. وما كان حلماً قد يتحول كابوساً. إنها بداية ما سوف يكون صراعاً يدوم ثلاث سنوات بين رجل وحجر.

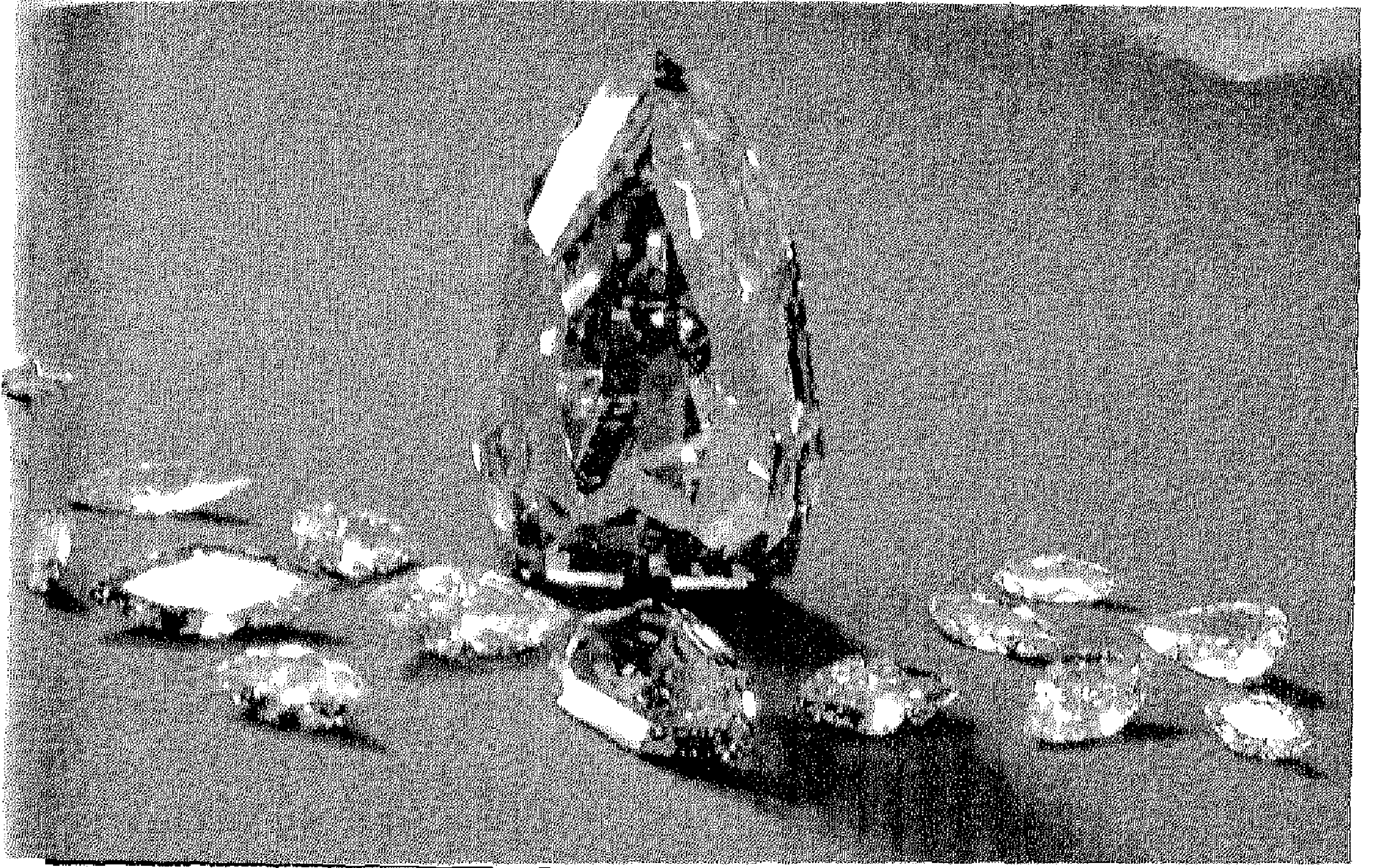
رجا بعض خبراء الالماس أن يُترك هذا الحجر بلا صقل، فيظل أضخم ألماسة خام في العالم. وتاق آخرون الى تشكيله كي يتحقق أفضل ما يكمن فيه من جمال.

ظل صامويلز عدة أشهر يُعمل الفكر في الطريقة المثلى لصقل الحجر الكريم، فصنع نماذج بلاستيكية له وراح يمعن فيها تخطيطاً وتقطيعاً، حتى غدا الحجر كأنه جزء منه. فاندمج الرجل في الحجر وهذا في ذاك، وراح الواحد يعمل في الآخر فيتجاوب معه أو يقاوم.

كان سَلَف صامويلز في تشكيل الحجار الكريمة، جوزف آشِر، درس طويلا الحجر العظيم "كولينان" ذا الـ٣١٠٦ قراريط ومصدر "نجمة افريقيا"، قبل أن يقرر أخيراً شقه شطرين في ١٠ فبراير (شباط) ١٩٠٨. والآن يرنو صامويلز الى حجره بالحماسة نفسها، وما يراه هو كتلة كثيفة خشنة. هناك بضعة سطوح ناعمة تعطي نظرة خاطفة الى داخله الضارب الى الصفرة والذي يبدو لحسن الحظ خالياً من الاجسام الغريبة الدخيلة التي من شأنها أن تحط من قيمة الالماس وتتحكم في خطوط القطع عند الصقل. فكل شيء حسن الى الآن.

غير أن معظم المساحة الخارجية للحجر خشن على نحو مريع، مجدَّر بالعُقد والثقوب والفلوع. والى ذلك يطرح شكله الاساسي مشكلة: فهو ضيِّق في أحد طرفيه وضخم في الطرف الآخر. لا شيء يبدو بيِّناً، فكيف يُبدأ العمل؟

يفضل صامويلز مساراً يعبّر عنه بقوله: "دع حجر الالماس يقودك." وهو يعتقد ان "اتجاه" الجوهرة الخارجة من الحجر مطبوع داخل الحجر: شكل إجاصة أو بيضة أو سطوح اضافية. ويقول لسائليه: "سوف



الألماسة الكبيرة في شكلها النهائي وقد سميت «The Incomparable» أي التي لا تضاهى. وحولها الالماسات التابعة المقصوصة من الحجر الأصلي.

ترونها. فالالماسة ستولّد نفسها، وهذا ما سيحدث."

تحت المنشار. اختار صامويلز لنشر حجره صديقاً قديماً هو جاك سواب الذي يملك مصنعاً لصقل الالماس في قلب الشارع ٤٧ المعروف بشارع الالماس في حي منهاتن بمدينة نيويورك. وضع حجر الالماس البالغ وزنه ٨٩٠ قيراطاً في كيس من البلاستيك ودسّ الكيس في جيبه، واتصل بأحد أبنائه وأحد حراسه ليجوبا الشارع عند مدخل المبنى.

تحتشد في مشغل سواب صفوف طويلة من مناشير الالماس يبلغ عددها ٣٠٠. غير أنها، في معظمها، تصلح لحجار دون ١٠٠ قيراط. ولكي يقطع حجر صامويلز استعمل سواب منشاراً مفرطاً في الكبر، صمّمه خصوصاً لهذه الغاية وصنعه ابنه جين، بحيث يتلاءم مع الحجر ويحميه، كما أمل الجميع.

وفيما كانت الالماسة الخشنة مثبتة بمقبض مع كسائها الجصّي راح المنشار يحز فيها بسرعة ٤٠٠٠ دورة في الدقيقة. وبدأت عملية القطع على مراحل بطيئة وقصيرة الامد. وكانت الادمغة الالكترونية تراقب الحرارة وتتصل بأجهزة انذار تحسُّباً لتبدُّلات مفاجئة.

بدأ سواب وابنه النشرة الاولى على حرف من ٧٠ قيراطاً عبر المنطقة التي دعاها صامويلز صفيحة الالماسة (السطيح الاوسع)، وهما يراقبان تطور الحرارة أكثر من أي شيء آخر. فالحرارة هي علامة الخلل، هي الحمى في الحجر. والشوائب الطفيفة غالباً ما ترفع الحرارة

كلما عالجها المنشار، مولّدة ضغطاً قد يسبّب كسراً. وكل تحوّل مفاجىء في حبيبات الالماس يمكن أن يدفع المنشار في الاتجاه الخاطىء. وفي الواقع كان الرجلان ينشران وفق زوايا بالغة الصعوبة. ويغمغم جاك: "أنا مسرور لان هذه الالماسة هنا، وسأكون مسروراً عندما تعود الى صاحبها."

محاولة وحيدة. فيما كان سواب وابنه ينشران كان سامويلز يجلس في مكتبه للتشاور مع الخبيرة بالجواهر ليندا سالكين والحرفي المتخصص بصقل الالماس ليون كورنيلوث، في حوار شديد التعقيد يراوح بين أخذ وعطاء. تلمّسوا بأصابعهم نموذجاً بلاستيكياً للحجر، نخسوه، حدّقوا اليه، وزنوه، وضعوا له رسماً تخطيطياً، رسموا خطوطاً بالحبر المندي ثم مسحوها. ساورهم القلق من جراء "المجازفة بالحجر." فالشكل الاجاصي التقليدي، المكوَّر باتّساق، سوف يتطلب تشذيب أعداد مرعبة من القراريط في الطرف الضخم للحجر. وهذه خطوة يقاومها سامويلز الذي أعلن مختتماً الاجتماع: "لقد قررت أن أتريّث فترة أطول قبل أن أقدم على اتخاذ قرار." فوافق جليساه من دون تردد على الارجاء، لانهما يعلمان أن لا شيء يزداد كبراً عند القطع غير الثقب.

هذا الاجتماع ستتلوه اجتماعات كثيرة في انتظار أن تكشف الجوهرة عن نفسها أو أن يبرز لها شكل مثالي ما، خالٍ من التصدّعات، متماثل، لا ينقص وزنه عن ٥٣١ قيراطاً.

أزالت مناشير آل سواب الثلاثة عشر ما مجموعه مئتا قيراط من مساحة الحجر الخشنة الطبيعية. والآن يتخيل سامويلز حدأة لوت احدى كتفيها لتلتقط بعض القراريط في مؤخر الحجر. وفي ذلك يقول: "لا أعتقد أن قطعاً كهذا سيكون مألوفاً، مثل شكل الاجاصة مثلا، لكنه بارز يتميز بمظهر خارجي غريب. لماذا لا تكون الجوهرة فذة من كل النواحي؟".

ومع ذلك يظل الشكل تسوية أو قل صفقة بين سامويلز والحجر، بين إصرار الاول على ٥٣١ قيراطاً والواقع المتمثل في شكل الحجر غير المنتظم. وغدا السؤال الآن ما اذا كانت الصفقة ستعقد ما دامت الآفاق لا تتفتّق الا عن فرصة وحيدة للحصول على الجوهرة الخالدة الفريدة التي لا تزن أقل من ٥٣١ قيراطاً. ويفلسف سامويلز ذلك قائلا: "كان في امكان ميكلانجيلو أن يجد قطعة أخرى من المرمر ليحاول تشكيل تمثال آخر لداود لو أخفقت محاولته الاولى. أما أنا فليس أمامي سوى محاولة وحيدة للحصول على جوهرتي."

الالماسة الكبرى؟ اختار سامويلز هاي كيسلر لصقل الجوهرة، وهو رجل متأنق في تصرفه ودقيق كالجراح في حركاته، يكبّ على عمله داخل محله الصغير الذي يفتقر الى النوافذ ويعج بأشياء مركومة بغير نظام. وأمامه دولابان فولاذيان يدوران أمامه كمائدة دوارة وقد علاهما الزيت وغبار الالماس.

ها هو يدفع الالماسة الكبيرة في اتجاه احد الدولابين، فيتلقّف حزام معدني

مشحّم غباره الذي يحك به كيسلر حينذاك وجه الدولاب. وما نراه في هذه العملية ضرب من الاستعانة على حجر الالماس بغباره (عملا بقول الشاعر العربي: "حتى الحديد سطا عليه المبرد") فيما كيسلر يدير أذناً حادة خبيرة للموسيقى الصادرة عن الحجر.

هذا الرجل حذر في عمله مثل الكثيرين من رجال الاعمال. يقول: "الناس يلهجون بذكر هذا الحجر وبه ينوّهون، فأكتفي بهز كتفي غير مبال ولا أنبس ببنت شفة." وهو لم يُطلع حتى زوجته على تكليفه صقل الحجر، لكن عمله يتبعه الى منزله، شاء ذلك أم أبى. يقول: "أستيقظ في منتصف الليل وأسائل نفسي هل أنا سائر في الطريق المستقيم."

بعد كشط الصدوع والفجوات عن سطح الحجر خُفض وزنه تدريجاً الى ٥٨٠ قيراطاً ولما يزل غير بالغ مرتبة التمام. فذُعر صامويلز وأوقف الصقل. وراح يراجع الآراء ويصقل المزيد من النماذج البلاستيكية ثم يحسب الاوزان بأعشار القراريط.

واجهته المعضلة الآتية: هل ينبغي له أن يصنع جوهرة لا تشوبها شائبة ولكن ينقص وزنها – كما بدا واضحاً في هذه المرحلة – عن ٥٣١ قيراطاً وربما عن ٥٠٠ قيراط؟ أم يبذل جهده للحصول على رائعة من ٥٣١ قيراطاً مع بعض الشوائب في سطيحاتها الطبيعية الخشنة وصدع مثل ريشة تحت سطحها المستوي الاكبر؟

في يوليو (تموز) ١٩٨٦ أعلن صامويلز أنه ينزع نهائيا الى "تفضيل الحجم على استبعاد الشوائب." وقال إنه اتخذ قراره لأن "لا أحد يتذكر الرقم ٣" ولذا سيُبدع أكبر حبة ألماس صقيلة في العالم.

كوّة على الذهب. قرر صامويلز استطلاع آراء الزبائن المحتمَلين. وبنتيجة الاقتراحات المقدَّمة نزل وزن الحجر الى ٥٣٤ قيراطاً. وسقط القرار القاضي بعدم متابعة الصقل، وعادت الدواليب تأكل من بلّورات الحجر.

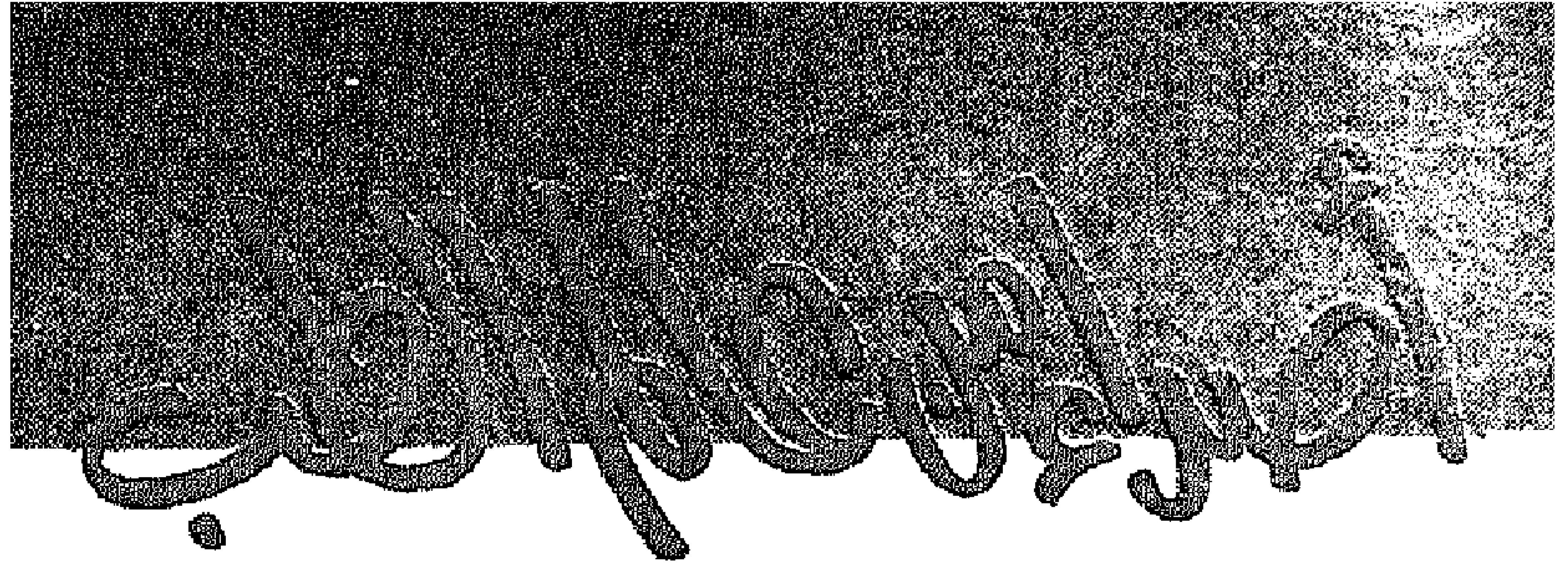
لقد انتصر الجمال والتناسق على الحجم والوزن. وعاد السرور الى قلب هاي كيسلر وهو يعاود العمل في الحجر.

ما ان أطل العام ١٩٨٨ حتى اتخذت الجوهرة شكلها النهائي: ٤٠٧،٤٨ قراريط. ليس هذا تماماً ما كان يُرجى من اكبر حجر ألماس في العالم، لكن صامويلز بدا راضياً تماماً. وهو يقول: "ماذا يهم اذا كانت ثانية الالماسات المصقولة في العالم؟ انها ما زالت أكبر ألماسة غريبة الالوان في العالم وأكبر ألماسة عرضت على الجمهور في أي وقت من الاوقات. أما جوهرة التاج كولينان فقد وُجدت وأهديت الى الملك وأنهت مسيرتها."

يتجه صامويلز الى مكتب خلفي ويعود حاملا صندوقة جواهر زرقاء قديمة. يفتحها ويعرض الالماسة المنجزة.

تستمر في تأمل الجوهرة وتقليبها بين يديك، فتجتذبك اليها وتدعوك الى إنعام النظر ببطء ومتعة الى زواياها ومزاياها، وأعماقها وسطوحها، ووجيهاتها وانعكاساتها. فكأنها تقول لك: "خذ كامل وقتك وتمتّع برؤياي، فسأكون هنا الى الابد."

ب. ف. كلوج ■



مضخة للقلب

استخدمت مضخة للقلب بالغة الصغر في حجم ممحاة قلم رصاص لانقاذ رجل مصاب بقصور في قلبه(١). فقد عمد الدكتور و. هـ. فريزر، من معهد تكساس للقلب في هيوستن، الى ادخال المضخة "هيموبمب"(٢) من خلال شق بسيط في شريان في ساق رجل عمره ٦٢ عاماً أجريت له عملية زرع قلب ونبذ جسمه العضو الجديد. دفعت المضخة صعوداً داخل القلب حيث أمّنت استمرارية الدورة الدموية لمدة يومين، ثم نزعت. ويقول الدكتور فريزر: "لقد أتاحت لنا المضخة الوقت لابقاء المريض في حال مستقرة بطريقة بسيطة، الى أن عملت الادوية على ايقاف النبذ."

رُبطت المضخة التي ابتكرها الطبيب المهندس الدكتور ريتشارد وامبلر من شركة "نيمبس ميديكال"، بسلك يسيّره محرك كهربائي صغير موضوع الى جانب سرير المريض. تدور شفرات صغيرة توربينية (عنفية) بمعدل ٢٥ ألف دورة في الدقيقة، فتسحب الدم من البُطين الايسر عبر أنبوب متصل بالمضخة وتدفعه داخل الشريان الأورطي (الأبهر). والآلة تسيّر الدورة الدموية حتى في حال توقف القلب عن النبض. واذا أثبت المزيد من الاختبارات نجاح المضخة "هيموبمب" ففي الامكان انقاذ حياة الالوف سنوياً كما يقول الاطباء. فقد تكون مثالية في معالجة ضحايا النوبات القلبية الذين أصيبوا بصدمة شديدة وقصور في القلب.

مجلة "نيوزويك"

(١) Heart failure

(٢) Hempopump

حساسية ضد الصراصير

بحسب الدكتور بان كانغ من المركز الطبي في جامعة كنتكي، أن البحث الحديث يبين أن بعض الاشخاص ولاسيما المصابين منهم بداء الربو، لديهم حساسية حيال جلد الصراصير وقشرتها القاسية. فعندما تنفق الصراصير تصبح بقاياها المنحلّة ومُبرزاتها عرضة لان يحملها الهواء، فيتنشقها الناس وتتولد لدى بعضهم حساسية كرد فعل.

ومجرد وجود الصراصير حية في البيت وتنقلها قد يبعثان في كثير من الناس ردة حساسية نفسانية. وبما أن مسبّبات الحساسية هي في الجلود والقشور، فلا يكفي قتل الحشرات بل تجدر ازالتها كجزء من التدابير المعدة لمكافحة الاوبئة. وفي بعض الحالات قد ينصح بحقن المصابين مولّدات مضادات للصراصير مما يخفف من ارتكاس الحساسية.

صحيفة "بست كونترول تكنولوجي"

الجزيرة المنسية

"أعترض، يا سيدي الرئيس!" ويدير الاعضاء الثمانية الآخرون رؤوسهم نحو المعترض، في واحد من أصغر المجالس النيابية في "الكومنولث". في صوته غضب وعلى وجهه أمارات التحدي. ويده المرفوعة غليظة الجلد نتيجة سنوات من ممارسة صيد السمك وأعمال الزراعة، وخنصر يده مفقودة.

إسمه غريغ كوينتال وهو يتحدر من ماثيو كوينتال وفلتشر كريستشين، اثنين من أشهر المتمردين في التاريخ. وكان زميل له في المجلس انتقد عملية



على شاطىء خليج باونتي الصخري أحرق البحارة المتمردون سفينتهم عام ١٧٩٠. أما المرساة التي انتشلت من قاع الخليج فهي باتت لعبة للاولاد

بقعة فاتنة في المحيط الهادىء كانت ملاذاً للبحارة المتمردين
واليوم تكاد تكون منسية من العالم



الاستيلاء على السفينة "باونتي" قبل نحو قرنين.

"إنه يتهمنا بالسرقة! نحن لم نسرق الباونتي!" وينتظر كوينتال تأثير كلماته ثم تتحول التجاعيد في وجهه ابتسامة عريضة تنم عن الفرح.

"أخذناها فقط." قالها بسرور.

ويضجّ الضحك في المجلس الاشتراعي لجزيرة نورفوك، لكن اعضاءه التسعة شديدو الجدية بالنسبة الى الباونتي. خمسة منهم يتحدرون من البحارة البريطانيين الذين "أخذوا" السفينة من الملازم وليم بلاي عام ١٧٨٩. إنهم أبناء بيتكيرن، سلالة صغيرة ولكن مميزة في جنوب المحيط الهادىء، مستقبلها مهدد بالخطر.

تشكل بولينيزيا مثلثاً في المحيط الهادىء الواسع. يقطن ابناء بيتكيرن جزيرتين متباعدتين قرب طرفي المثلث الشرقي والغربي. أما موطنهم الاكثر كثافة سكانية فهو جزيرة نورفوك وهي بقعة خضراء في غرب المحيط الهادىء. وبيتكيرن نفسها تقع على بعد ٦٠٠٠ كيلومتر شرقاً من أرخبيل تواموتو في بولينيزيا الفرنسية، والجزيرة مكان صخري منيع نسجت حوله الحكايات كملاذ للجنود والبحارة المتمردين في القرن الثامن عشر والنساء التاهيتيات الفاتنات اللواتي أحضروهن معهم.

قدوم ونزوح. عام ١٩٥٦ منحت ملكة بريطانيا فكتوريا كل عائلة في بيتكيرن عشرين هكتاراً من الاراضي في جزيرة نورفوك، وهي مكان أرحب قليلا. بدا كأن بيتكيرن الصغيرة ستصبح مكتظة بالسكان وأن نورفوك، الجزيرة التي كانت تستعمل كمنفى والتي تقع على خط العرض ذاته وتتمتع بالمناخ نفسه، أصبحت فائضاً عن حاجات الامبراطورية. جميع سكان بيتكيرن الـ١٩٤ وضبوا أمتعتهم وأبحروا مدة واحد وثلاثين يوماً للوصول الى هناك. وخلال الثمانية الاعوام التالية عادت الى بيتكيرن ست عائلات تضم ثلاثة وأربعين نسمة. وفي نهاية العام ١٩٣٧ كانوا أصبحوا ٢٣٣ نسمة، ثم بدأ عددهم يتضاءل.

وخلال الستينات من هذا القرن ومع تطور وسائل النقل البحري أخذ عددهم يتضاءل بسرعة أكبر. لقد حلت الطائرات النفاثة محل سفن الركاب، وتحولت سفن الشحن سفناً للمستوعبات لا تحيد عن طريقها نحو الجزر التي ليست على خط سيرها. وفقد أبناء بيتكيرن الكثير من أسواقهم السياحية التي كانوا يبيعون فيها منحوتاتهم وصناعاتهم اليدوية الاخرى. والمؤن التي كانت متوافرة سابقاً أصبحت باهظة الاثمان وصعبة المنال. والسفر الى الخارج، بغية الاستشفاء أو الدراسة، أصبح صعباً. وخلال السنوات الثلاث الاولى من الستينات نزح ثلاثون في المئة من السكان.

وفي العام ١٩٨٤ تدنى عدد السكان الى ٤٨ نسمة، أي ما يساوي عدد الذين عادوا من نورفوك قبل ١٢٠ سنة. وإذا كانت جزيرة نورفوك نائية، فإن بيتكيرن اليوم تكاد تكون منسية من العالم.

ذهبت الى الجزيرة على متن "الكبير"، وهي سفينة شراعية ذات صاريين أبحرت

من تاهيتي. بدت بيتكيرن في المدى كأنها أثر رمادي باق من حصن ما. ولعدم وجود مرفأ آمن حملنا حقائبنا وأمتعتنا في مركب طويل قاده أبناء الجزيرة نحونا مع بزوغ الفجر. بقي المركب منتظراً خارج خليج باونتي متحيناً الموجة المناسبة. وجاءت الموجة المنتظرة فاندفعنا متخبطين وانتهينا الى توقف هادىء في محاذاة حاجز بني لمنع تدفق الماء.

هاتف عجيب. إن ستة أجيال أو سبعة من أبناء بيتكيرن كافحت لصعود "تلة المشقات" وهي ممر صعب شديد الانحدار يتعرج وصولا الى قرية آدامز تاون التي ترتفع مئة متر عن سطح البحر. وكنت عزمت على الصعود، لكن طريقاً ترابية عريضة كانت مهدت بانحدار متوسط عبر الجرف، فلم نكن مضطرين حتى الى السير، اذ حُملنا مع أمتعتنا في رافعة جرار كبير ونقلنا الى أعلى التلة.

الى الطرق المشقوقة، تتمتع بيتكيرن بالكهرباء من الثامنة الى الحادية عشرة صباحاً ومن الغروب الى الحادية عشرة ليلا، كما تتمتع بشبكة هاتفية منحتها أياها نيوزيلنده. كل هاتف يدار بذراع يدوية في سلسلة من الضربات على غرار رموز "مورس." وادارة ذراع الهاتف تجعل كل أجهزة الهاتف في الجزيرة ترن: هاتف بن كريستشن له رنة خاصة: "دا - ديت - دا - ديت - دا"، كذلك هاتف مبنى المدرسة: "ديت - ديت - ديت"، وهاتف لين براون: "دا - ديت - ديت - دا." تعمل الشبكة جيداً، مع ميزة خاصة هي أن كل شخص هناك يملك رموزاً هاتفية خاصة. وذات مرة رن جرس الهاتف في منزل توم كريستشن. ومن غير أن ينبس كلمة، سار الزائر بريان يونغ نحو الهاتف، اذ ان "رقمه" هو الذي رن وليس رقم توم، أما من يريد ابلاغ رسالة الى جميع السكان فانه يطلق رنة طويلة، فيرد كل من استطاع الرد.

قلب أدامز تاون مساحة مرصوفة بالاسمنت تسمى "الساحة." في ثلاثة من جوانبها تقوم أبنية ذات طبقة واحدة تظللها الشرفات وهناك مستوصف تقدم فيه ممرضة الخدمات الطبية ويستخدم ستيف كريستشن مثقب طبيب الاسنان كلما احتاج أحد الى اصلاح أسنانه.

وهناك ايضاً مكتبة عامة ومركز للبريد حيث توضع الرسائل على رغم علم الجميع انها قد تبقى هناك لمدة أسابيع حتى تصل باخرة فتأخذها كذلك هناك مبنى المحكمة الذي يستعمل غالباً قاعة عامة، ومكتب سكرتير الجزيرة وهو غرفة مكتظة بالاوراق، تستعمل مركزاً للحكومة المحلية.

أمام مبنى المحكمة تنتصب مرساة من مراسي الباونتي تمّ اخراجها من قاع المحيط عام ١٩٥٧. ولفترة أبقى أبناء الجزيرة هذه المرساة مغطسة بزيت السمك لمنع الصدأ عنها. ويقولون ان تأثير الرائحة في الساحة كان صاعقاً، لذلك يستعملون الآن المينا الاسود كطلاء واق.

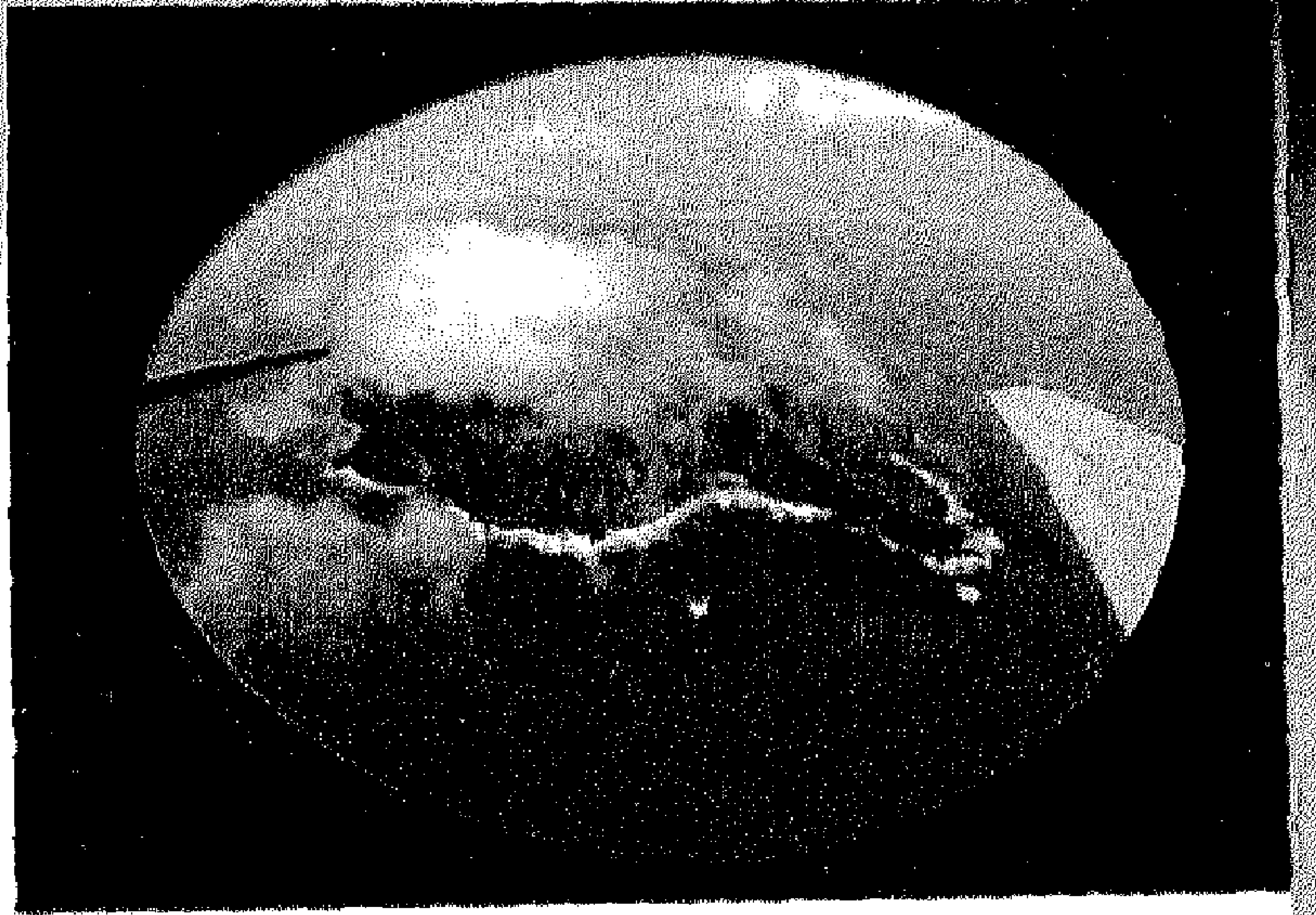
جديرون بالاعجاب. الابنية مدهونة ومنتظمة تعطي انطباعاً كأنها قاعدة عسكرية صغيرة. ولكن على بعد خطوات

تمـر طريق أدامـز تـاون الـرئيسيـة المتعرجة. وما ان تسير على ممرها المغبر في أي من الاتجاهين حتى يتشوش ترتيب الساحة فوراً. تبدو بيتكيرن كأنها تحتضر، فلا عائلات جديدة تقطن البيوت المهجورة، والنمل الابيض يجد طريقه الى الخشب المهمـل، والبيـوت تتـداعى تدريجاً.

لكن أبناء بيتكيرن فخورون بإرثهم، اذ ان دستورهم المكتوب عام ١٨٣٨ ربما كان الاول في الامبراطورية البريطانية (وربما الاول في التاريخ) الذي يعطي النساء الحق في الانتخاب أسوة بالرجال، كما أن أبناء بيتكيرن هم من أوائل الذين جعلوا التعليم إلزامياً.

مارسوا المبادىء الاخلاقية البسيطة وأصبحوا شعباً جديراً بالإعجاب، مزيجاً من طول الأناة الذي يتصف به التاهيتيون

المحيط الهادىء
٦٠٠٠ كلم
أوستراليا
جزيرة بيتكيرن
جزيرة نورفوك
نيوزيلنده





والكد في العمل الذي يتصف به الانكليز. لقد اصبحوا شعباً يتمتع بالمحبة والفخر في علاقاته وفي محيطه.

هل يسمح هذا الشعب بأن يتهدم بيت جار ولا يزال ركامه؟ نعم، بكل بساطة، اذ ليس هناك عدد كاف من السكان لمجاراة التدهور الحاصل. البيوت المهدمة حقيقة مرة يتحملونها بكرامة وقبول، تماماً كما يتعين على المرء أن يراقب شخصاً عجوزاً يحبه يموت ببطء يوماً بعد يوم.

يعمل أبناء بيتكيرن من الفجر الى موعد النوم تقريباً. يصلحون الاشياء ويطبخون ويجمعون الحطب وينحتون قطعاً فنية ويحوكون السلال والقبعات ويزيلون الاعشاب الضارة ويزرعون ويصطادون السمك.



الاعياد والمناسبات الخاصة تجمع سكان بيتكيرن. وهذه الجزيرة التي لا تتجاوز مساحتها ٤٥٠ هكتاراً هي المستعمرة البريطانية الاخيرة الباقية في جنوب المحيط الهادىء. والطريقة الوحيدة للوصول اليها هي ركوب الامواج.

قد يصمم والد فجأة على صنع طائرة ورقية لأولاده، فلا تلبث حمى الطائرات الورقية أن تسري بين الاهالي. وخلال ايام تحلق عشر طائرات ورقية عالياً مع الريح فوق الجزيرة.

صنع بريان يونغ طائرته الورقية من خمسة أعواد خشبية وغلاف بلاستيكي وخيط لصيد السمك وشريط لاصق. طائرته هذه سداسية الجوانب، يبلغ طولها متراً ونصف متر من رأسها الى قاعدتها ويبلغ طول ذيلها سبعة امتار.

وفي منتصف خيط الطائرة لصق علماً نروجياً كبيراً ليرفرف في سماء المحيط الهادىء. هذا العلم يخص كاري، زوجة بريان، وهي واحدة من الدخيلات القلائل اللواتي أصبحن جزءاً من مجتمع بيتكيرن. عندما كانت كاري فتاة في النروج قرأت كتاب "العصيان على متن الباونتي." خلبت هذه القصة لبها فعزمت على مشاهدة بيتكيرن. واستلزم الامر ثلاث سنوات قبل أن يسمح لها حاكم بيتكيرن بالمجيء الى الجزيرة.

مأساة الجزيرة. تتكلم كاري ببلاغة عن أبناء بيتكيرن، قالت لي: "إنهم مميزون. لقد أوجدوا نوعاً من التفاعل في ما بينهم مكنهم من الاستمرار عبر القرون. فهم يعيشون معاً ويضحكون ويمرحون معاً ويساعد بعضهم بعضاً."

هل سيتمكن أبناء بيتكيرن من

الاستمرار كشعب؟ اذا خسرت الجزيرة اثنين أو ثلاثة فقط من رجالها القادرين، فسيكون من الصعب مدّ المجموعة السكانية هناك بأسباب الحياة وفن صنع المراكب الطويلة والاتصال بالسفن القليلة التي تمر من هناك. هنالك كلام حول بناء مهبط صغير للطائرات على منبسط من الارض في أعلى الجزيرة. نظرياً، سيسمح هذا المهبط للسكان الذين نزحوا بالعودة الى الجزيرة، اذ يطمئنون الى امكان المغادرة ساعة يشاؤون. والى ذلك فإن هذا المهبط قد يُحدث حركة سياحية وإن تكن على نطاق صغير، فيؤم الجزيرة بضعة عشر زائراً في أي وقت ليعيشوا مع العائلات هناك.

ولكن الحقائق المالية تجعل المخطط غير محتمل التحقيق. فالحكومات لا تبني مطاراً بكلفة ملايين الدولارات ولا تنشىء خطوط طيران مدعومة مالياً على جزر يبلغ عدد سكانها بضع عشرات. وقد يساعد انشاء خط منتظم للسفن على احياء الجزيرة، لكن مشكلة قلة السكان تبقى هي هي. والرحلة الى أقرب مرفأ تجاري، وهو مرفأ بابيتي في تاهيتي، تمتد ٤٣٥٠ كيلومتراً ذهاباً وعودة.

اذا كان الابقاء على الحياة في الجزيرة مستحيلا، وهي فرضية لا يتقبلها أبناؤها، فسيكون على السكان مغادرتها من جديد. والمكان البديل الذي يبدو أكثر ملاءمة لسكناهم هو نيوزيلندة، حيث انتقل الكثير من أقاربهم في السابق، أو ربما سيقطنون في نورفوك، الجزيرة التي جربها أسلافهم ونبذوها.

إد هاورد ■



فيزياء الاوراق

روى لنا أستاذ الفيزياء في الجامعة أنه ذات يوم وضع أوراقاً على سقف سيارته بينما كان يشحن كتباً وطروداً، فنسي الاوراق تماماً وانطلق بالسيارة.

وعندما أدرك خطأه عاد الى نقطة الانطلاق ووضع أوراقاً أخرى على سقف السيارة وانطلق. ولما أطارت الريح الاوراق توقف ونزل يبحث عن أوراقه العتيقة، فوجدها على بُعد أمتار قليلة.

ا.غ.

الوجه والقفا!

كنت أعِد نفسي بسماع هتافات الفرح يطلقها افراد عائلتي بسبب النعومة والنضارة اللتين اضفاهما على ثيابهم المغسولة جديداً مسحوق جديد ارشدتني اليه الاعلانات. ولكن كل ما حصلت عليه من ابنتي المراهقة كان شكوى صارخة: "لقد ازلتِ بقعة القهوة عن كنزتي الصوفية! فكيف سيتسنى لي الآن ان اعرف مُقدَّمها من مؤخرها؟"

ف.د.

ضغط الدم: الوقاية والعلاج

هل ضغط دمك مرتفع؟
اذا كان الجواب نعم فاليك ما يجب عمله لتلافي هذه العلة التي تقصّر الحياة

معظم الناس تتملكهم الدهشة حين يُظهر التشخيص الطبي ارتفاعاً في ضغط الدم لديهم في حين ليست هناك أي مؤشرات لذلك وهم يشعرون بأنهم بصحة ممتازة. ولكن اذا لم تعالج علتهم فقد تتسبب في سكتة دماغية أو قصور (توقف) في القلب أو مشاكل أخرى في الخطورة ذاتها.

بعد التشخيص الاولي تبرز مشكلة انتقاء أفضل السبل لخفض الضغط. فالاشخاص الذين يشكون من ارتفاع خفيف في الضغط – وهم يشكلون غالبية حالات ارتفاع ضغط الدم – أمامهم عدة خيارات: تغيير نمط حياتهم أو المعالجة بالادوية أو تركيبة من هذين الخيارين. وهناك كثير من أدوية الضغط متوافر في السوق. وفي امكان الطبيب أن يصف بديلا من أحدها اذا تبين أنه يسبب أعراضاً جانبية ضارة. فتشجع ان كنت ممن يشكون من ارتفاع ضغط الدم لان هذا المرض قابل للمعالجة.

عندما تكون المعالجة ضرورية

ان ضغط الدم هو بمثابة ضغط الدم على جدران الشرايين. والرقم الاعلى في فحص الضغط هو الضغط الانقباضيّ الذي يسجله القلب حين ينبض. والرقم الثاني هو الضغط الانبساطي عندما يكون القلب مرتاحاً. وضغطٌ من ١٢٠/٨٠ أو أقل يُعتبر الافضل صحياً.

وبعض الناس هم أكثر عرضة لارتفاع ضغط الدم من الآخرين، وخصوصاً السود والمسنين وأولئك الذين يُظهر تاريخ عائلاتهم اصابات بالعلة. وارتفاع ضغط الدم شائع الى حد يوجب على كل شخص أن يخضع للفحص، اولا في الثالثة من

عمره ثم في سن المراهقة ثم سن البلوغ المبكّر، وبعد ذلك مرة كل سنتين اذا كان الضغط طبيعياً.

عندما تكون قراءة الضغط الانبساطيّ ١٠٤ أو ما فوق - وهذا يعني ارتفاع ضغط معتدلا أو مفرطاً - فان الاخطار أكيدة وبيِّنة. فالقلب يعمل بصعوبة أكثر فيتضخم، والشرايين تملأها الندوب فتضيق وتصبح أقل مرونة وعرضة للجلطات (الخثرات) التي تسبب السكتة الدماغية والنوبة القلبية. وقد يصيب الاذى الكليتين والعينين.

وفي حال الضغط الانبساطي الخفيف (من ٩٠ الى ١٠٤) تبدو المخاطر واضحة لكنها أقل بروزاً. أما التوقعات فهي أفضل مما في حالات الضغط المفرط، كما يقول الدكتور هربرت لانغفورد من المركز الطبي في جامعة مسيسيبي. ويضيف: "ولكن ماذا لو كنت أنت صاحب الحالة الفريدة؟" لذلك، من باب الحيطة، يعمد كثير من الاطباء الى معالجة جميع المرضى الذين يتجاوز ضغطهم الـ٩٠. والمعالجة ليست متساوية. وينصح الدكتور جون لاراغ، رئيس "الجمعية الامريكية لارتفاع ضغط الدم" بالتروي والعناية حين يكون الضغط بين ٩٥ و١٠٤ وليس هناك من دليل على اجهاد في القلب والعينين والكليتين. وهو يجادل في أن بعض الناس يعودون الى ضغطهم الطبيعي من دون معالجة وأن الادوية التي توصف هي في الغالب أخطر من الضغط الخفيف. ولكن هناك خبراء آخرون يبدأون المعالجة في وقت أبكر.

فاذا حدث أن كان ضغط دمك في هذا النطاق التناقضيّ فما عليك سوى البحث مع طبيبك في شأن الخطوات الصحيحة. ولكن تأكد أولا من انك تشكو فعلا من ارتفاع مفرط في الضغط.

ان ثلث عدد المرضى الذين يعانون ارتفاع ضغط الدم في زيارة أولى للعيادة يعودون الى ضغطهم الطبيعي في الزيارة التالية. فضغط الدم يتغير على نحو نموذجي خلال النهار، فيرتفع لدى انفعالنا ويهبط عند الاسترخاء، وربما أسفرت زيارة الطبيب عن ضغط مرتفع.

ومع ذلك فان بعض الاطباء يباشرون وصف الادوية فور التشخيص. لذلك قد يكون كثيرون يتناولون أدوية ضد ارتفاع الضغط من دون حاجة اليها. فاذا أظهر الفحص أن ضغطك ارتفع فجأة فاطلب من طبيبك اعادة الفحص ثانية وثالثة قبل أن يستقر رأيك على مباشرة المعالجة.

تغيير العادات

ان أدوية الضغط الانبساطي الذي يتجاوز الـ١٠٤ هي خط الدفاع الاول. فطبيبك قد يصف لك أدوية لخفض الضغط اذا كان في تايخ عائلتك استعداد للاصابة بارتفاع مفرط في الضغط أو بتلف في الاعضاء أو في الاوعية الدموية. ولكن في حال الارتفاع الخفيف في الضغط قد يكون من الافضل أن تتخذ بعض التغييرات في نمط حياتك. وهنا الخطوات الرئيسية التي يحسن اتباعها:

اخفض وزنك. ان خفض ٤ أو ٥ كيلوغرامات من الوزن، مع الابقاء على هذا الوزن الجديد، غالباً ما كان كافياً

هَل يخفض الكلسيُوم ضغط الدم؟

في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٥ أعلن الدكتور ديفيد ماكارون وزملاؤه الباحثون في جامعة أوريغون للعلوم الصحية في بورتلاند أن تناول ١٠٠٠ مليغرام من مكمّل كلسيوم يومياً يخفض ضغط الدم لدى ٤٤ في المئة من المرضى الذين يعانون ارتفاع ضغط معتدلا او خفيفاً. ومنذ ذلك الحين والجدل لا يزال محتدماً حول استخدام الكلسيوم.

ويرى الدكتور مارفن موزير، أستاذ الطب السريري في جامعة ييل والمستشار الطبي المتقدم لبرنامج "التوعية الوطنية حول ارتفاع ضغط الدم" في الولايات المتحدة، أن "ليس هناك دليل ثابت على أن استخدام مكملات الكلسيوم يخفض ضغط الدم الى حد كبير على المدى الطويل."

أما الدكتور نورمان كابلان من المركز الطبي في جامعة تكساس ساوث وسترن في دالاس فيبدي رأياً اكثر اعتدالا، اذ يقول ان الاكتشافات تدل على أن الكلسيوم يخفض ضغط الدم لدى بعض الناس، وليس له أي تأثير في آخرين، وهو يرفع الضغط في حال فئة ثالثة.

فقبل تناول الكلسيوم لخفض الضغط دقق في الامر مع طبيبك. ويحذر كابلان من أن لا سبيل لك الى معرفة ماذا يفعل الكلسيوم لضغط الدم. ولكن اذا تناولت كميات كبيرة من الكلسيوم على مدى سنوات فانك تتعرض لخطر تكوّن حصى في الكليتين.

لاعادة الضغط الى طبيعته. لكن برامج الحمية التي تنفذ بعجلة وتتبعها تقلبات في الوزن قد تسبب ضرراً يفوق الفائدة.

مارس الرياضة. حتى وإن لم ينقص وزنك فتابع التمرين المنتظم لان من شأنه خفض ضغط الدم. ونظام «Rx» هو وصفة لبرنامج تمرين يشمل السباحة وركوب الدراجة والمشي السريع أو الهرولة لمدة نصف ساعة متواصلة، ثلاثة أيام أو أربعة في الاسبوع.

قلّل استهلاك الملح. استعمل الملح باعتدال. وهذا أمر صعب لأن ٧٠ في المئة من الملح في الطعام تحويه مقوّمات الطبخة قبل أن تصل الى المائدة. ولكن من ٣٠ الى ٤٥ في المئة ممّن يعانون ارتفاعاً خفيفاً في الضغط يقدرون أن يعودوا الى حالتهم الطبيعية من جراء خفض استهلاك الملح الى حد كبير.

جانب الكحول. إن التخفيف من تعاطي الشراب أو الامتناع عنه قد يعيد ضغطك الى مستواه الطبيعي.

امتنع عن التدخين. وان لم يكن التدخين سبباً لارتفاع الضغط فانه مسبب رئيسي لمرض القلب ويجب الامتناع عنه.

احذر العقاقير. بعض الادوية الموصوفة، وبينها عقاقير منع الحمل والستيرويد، قادرة على رفع ضغط الدم. ومن شأن الادوية التي تباع من غير وصفة

أن ترفع الضغط، مثل بعض أدوية الاحتقان والتهاب المفاصل والربو ومحبطات الشهية.

خفف الاجهاد. يقول الخبير بالاجهاد، الدكتور هربرت بنسن من جامعة هارفرد، ان الطرق التقنية التي تولّد استرخاء هي معالجة فاعلة لارتفاع الضغط المعتدل. وفي احدى التجارب جرى تعليم ١٠٠ مريض تحقيق هذا الاسترخاء مرتين يومياً لمدة ٣٠ دقيقة. فاستغنى ٣٠ منهم كلياً عن الدواء، أما الباقون فانخفض ضغطهم الى حد يسمح بتخفيف جرعات الادوية.

وهناك اليوم طرق تقنية كثيرة للاسترخاء تشمل التأمّل والتغذية الاسترجاعية الحيوية (١).

اذا احتجت إلى أدوية

في حال الضرورة تبدأ، تقليدياً، بتناول عقار مدرّ للبول (حبة ماء) أو "حاصر بيتا" (٢) وهو دواء متعدد الفوائد للقلب، بجرعات خفيفة واذا لم يهبط ضغط الدم تزاد الجرعات أو يُجرب دواء آخر. ان المدرّات وحاصرات بيتا وأي دواء آخر يمكن أن تنجم عنها أعراض جانبية كثيرة، كالدوار والتعب والعجز الجنسي والغثيان والصداع والانحطاط والنبض السريع والاسهال والكوابيس والاقدام الباردة. لكن الاعراض الجانبية تصيب نسبة قليلة من الناس ويمكن تفاديها بخفض جرعات الدواء واستهلاك الملح.

ومع ذلك يساور القلق الاطباء من أنك قد تتوقف عن أخذ الدواء اذا شعرت أن معالجة ارتفاع الضغط زادت حالك سوءاً. لذلك يحاول بعضهم تجربة أدوية جديدة مثل مثبطات «ACE» وحاصرات الكلسيوم للقنوات (٣). ومع أن هذه الادوية باهظة الكلفة (حاصر القنوات يكلف ١٨٠٠ دولار سنوياً والمدرات نحو ١٠٠ دولار) فلم تثبت أفضلية استخدامها في منع السكتات الدماغية والنوبات القلبية، انما قد ينجم عنها عدد أقل من الاعراض الجانبية. ويتفق الخبراء على أن معظم الذين يحتاجون الى المعالجة عليهم أن يثابروا عليها طوال حياتهم. ودراسة "فرامنغهام" الشهيرة للقلب التي رافقت ٥٢٠٩ رجال ونساء لمدة ٣٢ سنة تبيّن السبب. فمعظم الذين توقفوا عن تعاطي أدوية ارتفاع الضغط المفرط عاد ضغطهم الى الارتفاع خلال سنتين.

انما تبين دراسات أخرى أن بعض الناس من ذوي العزم يتمكنون من الاستغناء عن الادوية المضادة لارتفاع ضغط الدم. فقد أفادت روز ستاملر من جامعة نورث وسترن في ايلينوي أن ٣٩ في المئة من مجموعة مصابة بارتفاع معتدل في الضغط توقفت عن تناول الدواء بعد أربع سنوات من اتباع حمية تعتمد خفض الوزن وخفض استهلاك الصوديوم والكحول. وحتى المرضى الذين لم يستغنوا عن الادوية كلياً استطاعوا خفض جرعاتهم، وذلك في ذاته انجاز يستحق الجهد كله.

ساندرا بليكسلي ■

(١) Biofeedback

(٢) A diuretic or a beta-blocker

(٣) ACE inhibitors and calcium channel blockers

دَعوا المطالعَة تنير عقولَ أولادكُمْ

روائي معروف يقول
إن المخيلة هي المفتاح الذي يشرِّع الباب على عالم الكُتب

ظننتُ الى وقت قريب أني عرفت الشيء الكثير عن حض الاطفال على القراءة. ألم أكن مؤلف أربعة كتب للاطفال؟ ألم يكن منزلنا مكتظاً بالكتب؟ أولم يكن أطفالنا غارقين غالباً في قراءة قصة ما حتى انهم يتلكّأون عندما ندعوهم الى مائدة الطعام؟

خُيِّل اليّ أن الاطفال يُشدون الى صور الكتب المليئة بالالوان، وأنهم يحبون المنشورات المطبوعة بحروف كبيرة وثخينة، وأنه لا ينبغي للقصص أن تكون طويلة جداً، وهلمَّ جرّاً. ولكن عندما جرّبتُ نظرياتي ضمن عائلتي أخذتني على حين غرة مياه عاصفة وجلاميدُ غادرة.

الصدمة الاولى وجهتها اليَّ ابنتي البالغة ثلاثة عشر ربيعاً. قالت: "لا يا بابا. أنا لا احب الرسوم في الكتب، فهي تفسد تصوراتي."

سألتُ: "وماذا عن الصور الفنية بالالوان؟ لا شك في أنها تحبِّب اليك كتاباً يعجّ بالكلمات."

فتجهم وجهها وقالت: "لا، لا! عندما أقرأ عن غياب الشمس أستمدّ الالوان من كلمات الكاتب، وحين أقلب الصفحة أرى

أن الرسام وضع كل الالوان غير المناسبة."

كذلك لا تحب ابنتي أن يكون قطع الكتاب مفرطاً في العرض. إنها في طور النمو ولا تستمرىء أن يكلمها المؤلفون والناشرون بحروف مطبعية كبيرة.

ولعل ابنتي الاخرى، التي تصغرها بثلاث سنوات، تخالفها الرأي. لكنها، من ناحيتها، تقرأ وقد وضعت لعبتها "سنوبي" بجانبها في الفراش.

سألت ابنتي الصغرى إن كانت لديها أيّ ملاحظات ايجابية من شأنها ان تساعد الاهل على تربية أولادهم. "أسئلة!" أجابت على الفور، ثم أردفت: "عليهم أن يتذكروا وجوب طرح أسئلة. هم عادة في شغل شاغل يملون عليك أجوبة ولا يعطونك أبداً الفرصة لتخبر ماذا اكتشفتَ في كتاب أنت مكبّ على قراءته."

عدت الى السؤال: "أي نوع من الاسئلة؟ أقصد أن الاهل سوف يشعرون بأنهم سخفاء اذا سألوكِ ماذا تعلّمتِ من قراءتك قصة "الخمسة الشهيرين" أو "السبعة السريين" أو ما شاكل ذلك!"

استولت عليها الدهشة وسألت: "لماذا؟ اني تعلمتُ مجموعة أشياء عن بلدان وشعوب أخرى في هذه الكتب. كما استوعبت عدة كلمات جديدة. على الاهل ألّا يتصرّفوا كما لو أنهم يعلمون كل شيء. يتعيّن عليهم أن يزرعوا في نفس الطفل الثقة بأن يخبرهم أمراً جديداً."

فاستفهمت: "وماذا عن المعلمين؟ ألا يطرحون هم أسئلة؟"

أومأت برأسها أن نعم، ثم أضافت: "غير أن الاسئلة يجب ان تُوجَّه ليس مباشرة الى مَن كان جيداً جداً أو ضعيفاً جداً في دروسه. فمن حق كل تلميذ أن يُثار اهتمامُه بالموضوع وبالكتب التي ينبغي لتلاميذ الصف أن يقرأوها."

قلت: "كل هذا ينطبق على مواد العلوم والجغرافيا والتاريخ. فماذا عن الادب واللغة وما شابههما؟"

أجابت ببساطة: "أدخل الدراما في هذه المواد."

وافقت على الفكرة، نعم، لانها صورة حقيقية لما حدث لي في المدرسة قبل زمن طويل: مدرّس الادب المهزول الذابل الذي دأب على أن يكرج بين طبقات الصف ويوزّع علينا أجزاء من النص كي نقرأها بصوت عال فخم. وكان يشترك معنا في القراءة. فيا للساحر الصاخب الذي أبرزه لنا في "ماكبث"، وما أتعس ديسديمونا الذابلة في "عطيل"(*). كنا نتوق الى اكمال صفه بعد قرع الجرس. وكنا نذهب الى مخادعنا ونداوم القراءة الشخصية بهدف أن نتميز في المرة المقبلة اذا طلب الينا المعلّم أن نتنافس في الإلقاء. وتلك كانت الطريقة التي شدتني الى القراءة وشغفتني بها.

اليوم، بعدما تقدم بي العمر، أستطيع القول بما يشبه اليقين ان النص اذا ما قُرِىء بخيال يؤثّر في السامع وينمو مثل محصول فجائي في مخيلات اخرى. فاذا تصرفتم كأهل وقرأتم مع أطفالكم في البيت، أو اذا تصرفتم كمعلمين عندما تشاركون في قراءاتهم المدرسية، تذكّروا أنه ينبغي لكم أن تعطوا القدوة بالتخلّي

(*) "ماكبث" و"عطيل" مسرحيتان لشكسبير.

عن خوفكم من ان تبدوا سخفاء. فكل نص يبدو رتيباً اذا قرأتموه برتابة. ولكن أمسكوه مهما تكن المجازفة، تجدوا أنفسكم مندفعين في مغامرة جريئة.

كل ما انتم في حاجة اليه هو القراءة بخيال وتحرير الكلمة من العقال الذي يشدها الى الانغلاق والانزواء في كتاب. فلكل كلمة تلاوينها، ولكل نبرة ظلالها خلف نطاق الكلمة. وستارة ذهن الولد مفتوحة أمامكم. وهذا الذهن، مثل كل الاذهان، لا حدود له. عليكم أن تلجوه لتستخرجوا أفضل ما عند الطفل بحيث يدأب على استثمار منجمه الذهبي بنفسه في المستقبل.

قد تتساءلون عن نوع الكتب التي ينبغي للولد أن يقرأها. من الواضح أنه يجب عليكم أن تشجعوه على البدء بقراءة ما قد يستمتع به. فكما قال الكاتب والناقد البريطاني صاموئيل جونسون: "يحسن بالمرء أن يقرأ ما تقوده نزعته الى قراءته، لان ما يقرأه كواجب مفروض عليه قلما يأتيه بالنفع الكثير."

في ودي أن أغالي فاضيف أن لا كتاب هو فرض واجب على الطفل الذي علّمته أن يبدأ القراءة بمحبة وخيال. وبالطبع، كان الكاتب الامريكي مارك توين على حق عندما لاحظ في محاضرته حول "اختفاء الادب" ان "الادب الكلاسيكي هو ما يرغب الجميع في أن يكونوا قرأوه ولا أحد يرغب في قراءته." ولكن حتى الكتب الكلاسيكية تفقد رهبتها المرعبة وتغدو حالية ومعاصرة اذا قُرِئَت بخيال.

والخلاصة: لماذا ينبغي للشخص أن يُشجّع على القراءة، خصوصاً عندما تتوافر في هذه الايام ادوات تقنية مساعدة كثيرة؟ الواقع أن الجواب يظل هو نفسه ذاك الذي أعطاه الفيلسوف البريطاني فرنسيس باكون قبل عدة قرون: "القراءة تجعل الرجل كاملا..."

بارتاب شرما ■

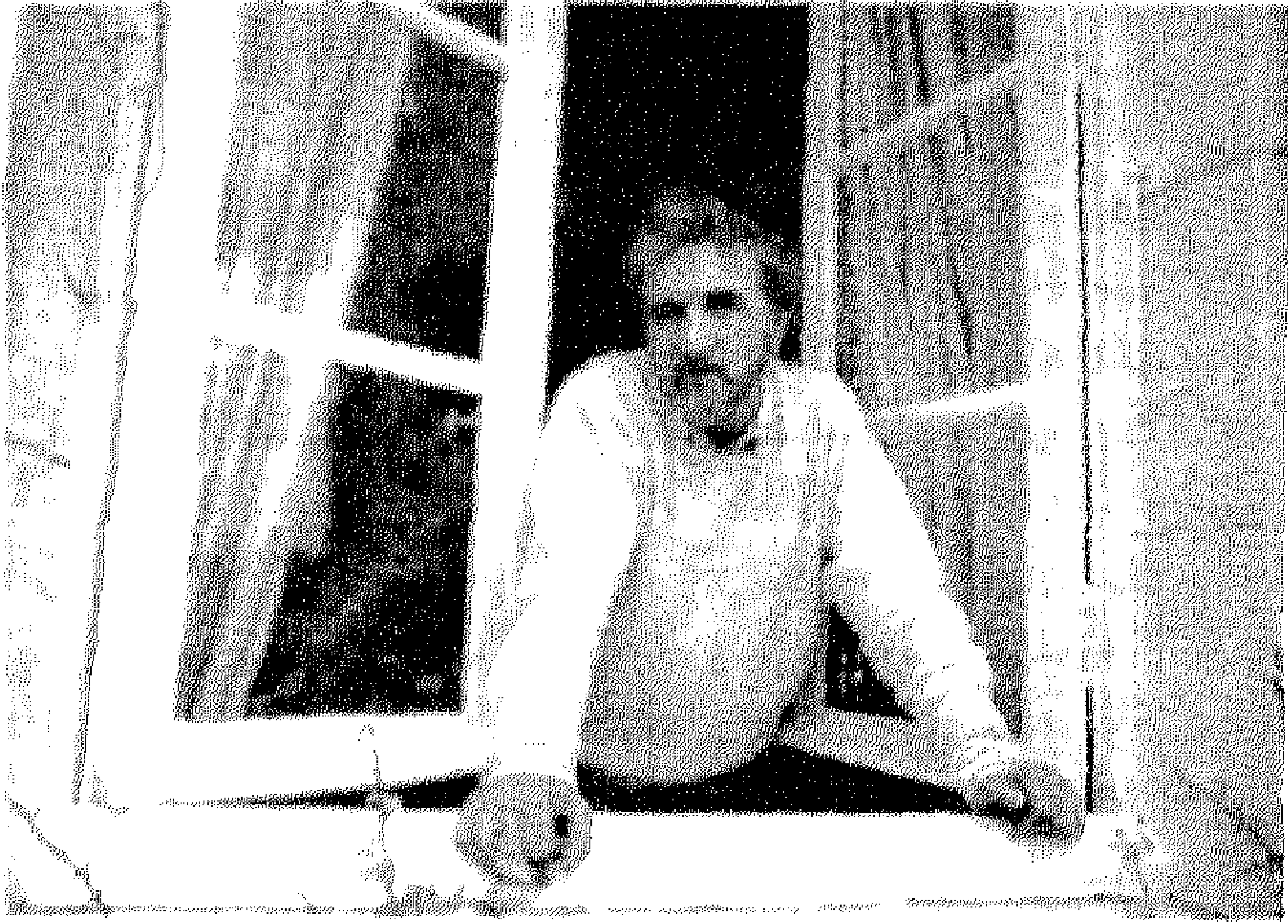
الكاتب (٤٨ سنة) هندي ومؤلف "حكايات سورانجيني" و"الكلب البوليسي رانجا" و"السيد الصغير للفيل" و"الكلب الاعلى." وهو أيضاً إذاعي وكاتب مسرحي معروف.

متطفل ساذج!

في عيد مولد والدتي اشترى افراد العائلة بعض الشجيرات الظليلة كهدية تُغرس في فناء منزلها. ولاني املك سيارة قديمة ينثني سقفها الى الوراء أرسلتُ لنقل الشجيرات. فأنزلتُ ثنيات السقف وتولّى صاحب المشتل تحميل الشجيرات البالغ ارتفاعها مترين ونصف متر، في داخل السيارة التي قدتها تحت ظُلة من الاوراق.

وعندما توقفت امام اشارة حمراء القى علي سائق في الخط المحاذي نظرة عجلى مروّعة وصرخ بي: "يا سيدتي، أليس أسهل عليك ان ترفعي سقف السيارة لتحصلي على بعض الظل؟"

ف.ب.



جان كلود كاريير سيد السيناريو

معظم رواد السينما لم يسمعوا به
لكنه في نظر المخرجين العالميين أحد أبرز كتاب السيناريو

بعد ظهر يوم في مارس (آذار) ١٩٨٨ كنا في منزل ميلوس فورمان في كونيتيكت. انه مخرج تشيكي المولد لافلام قوبلت بالاستحسان مثل "طيران فوق عش الوقوق" و"أماديوس" (١). وكان منذ ثلاثة أسابيع يعمل بجد ومثابرة على سيناريو (٢) فيلمه التالي "فالمونت" (٣) المقتبس من رواية فرنسية كتبت في القرن الثامن عشر بعنوان "الاتصالات الخطرة." وزميل فورمان في هذا المشروع كاتب السيناريو جان - كلود كاريير، وهو فرنسي وسيم أشيب في السادسة والخمسين من العمر وصاحب انجازات رائعة، لكنه ما زال مغموراً.

نرى كلا الرجلين في غرفة الجلوس ونسمع بعضاً من حديثهما الحار. أما

(١) One Flew Over the Cuckoo's Nest; Amadeus

(٢) السيناريو هو نص المسرحية أو الفيلم السينمائي.

(٣) Valmont

بالنسبة الى مراقب طارىء فقد لا يبدو هذان الاثنان زميلين بل خصمين غير مسالمين يصرخ أحدهما في وجه الآخر ويعبس ويأخذ أوضاعاً مسرحية، ثم يثب الاثنان الى العمل ثانية. في الواقع هما صديقان يبتكران نصاً جديداً بأفضل طريقة يعرفانها: التفوه بالعبارات، قولبة النبرات، وتمثيل الرواية مشهداً مشهداً. انها الطريقة التي يؤثر كاريير أن يعمل بها، والتي كانت السبب الوحيد الذي جعل كثيراً من المخرجين العالميين للمسرح والشاشة يرغبون في أن يشاركوه في العمل.

انهما يعملان هكذا منذ سنوات. في العام ١٩٦٣ طلب المخرج الاسباني الكبير لويس بونويل من كاريير أن يشاركه في كتابة "مذكرات وصيفة" (٤). ودامت شراكتهما ثمانية عشر عاماً وانتجت خمسة أفلام أخرى منها "جميلة النهار" (٥) و"سحر البورجوازية" (٦) وهذا الفيلم ربح جائزة أوسكار كأفضل فيلم بلغة أجنبية للعام ١٩٧٢. وأفاد من خدمات كاريير الكتابية للشاشة المخرجون لوي مال وجان – لوك غودار في فرنسا، وفولكر شلوندورف في ألمانيا الغربية، أندريه فايدا وَجْدا في بولونيا. وفي العام ١٩٨٧ عمل هذا الكاتب للمرة الاولى مع المخرج الامريكي فيليب كوفمان ليعدا للشاشة رواية ميلان كوندرا "خفة الوجود غير المحتملة" (٧). كل هذه الجهود المشتركة قادت كاريير الى نجاح عظيم ولكن الى شعبية ضئيلة. هكذا هو قدر الفنان الذي يريد المشاركة في العمل بل يتشوق اليها. وأسلوب كاريير في العمل نادراً ما يكون خطة لبلوغ منزلة نجم أدبي. انه يقول: "لكل كاتب أسلوبه الخاص، وأسلوبي هو العمل مع المخرج."

ماهابهاراتا. كان كاريير في مطلع الثلاثينات من عمره عندما التقى بونويل. حظي بثناء النقاد على روايته الاولى، وشارك في كتابة الفيلم الفرنسي القصير "ميلاد سعيد" (٨) كما شارك في اخراجه والتمثيل فيه، هذا الفيلم الذي نال جائزة أوسكار في العام ١٩٦٢. ومع ذلك كان جديداً على صنع الافلام، في حين كان بونويل البالغ من العمر ثلاثة وستين عاماً حقق انجازات كبيرة ولديه تصور راسخ لما يجب على الكتاب أن يعملوه.

يقول كاريير: "مع بونويل تأتي الكتابة غالباً في النهاية. كل يوم نبدأ تمثيل مشهد. ماذا يحدث؟ من يدخل؟ ماذا يفعل؟ ماذا يقول؟ ثم يذهب هو الى النوم في الثامنة أو التاسعة وأبقى أنا وحدي أحاول كتابة المشهد الذي مثلناه.

عندما يتحدث كاريير عن بونويل الذي توفي في العام ١٩٨٣، فحديثه مزيج من الحب والاعجاب والرهبة: "علّمني أن المخيلة هي قوة نستطيع تنميتها. كل ليلة بعد العمل كنا نلتقي في مقهى ليروي أحدنا للآخر قصة ألفها. القصد الوحيد من ذلك كان تدريب مخيلتنا."

ويشدد كاريير على أن "القصّاصين

---

(٤) Diary of a Chambermaid

(٥) Belle de Jour. وقد نال هذا الفيلم جائزة "الاسد الذهبي" في مهرجان البندقية.

(٦) The Discreet Charm of the Bourgeoisie

(٧) The Unbearable Lightness of Being

(٨) Joyeux Anniversaire

ضروريون للمجتمع تماماً كالخبازين والعمال والفلاحين، لا أكثر ولا أقل. وفي الملحمة الهندية "ماهابهاراتا" عبارة جميلة يقول فيها المؤلف فيازا: "يجب أن تصغوا الى القصص، انها سارة، وبعض الاحيان تجعلكم تشعرون بأنكم أحسن حالا."

ان "ماهابهاراتا" التي هي احدى أطول القصائد في عالم الادب وتتضمن تسعين ألف بيت في ثمانية عشر مجلداً، كانت أيضاً أطول مهمة متتابعة في حياة كاريير. اشترك مع المخرج البريطاني بيتر بروك في العمل على النص الذي وضعه هذا لانتاج الملحمة والذي يستغرق تمثيله تسع ساعات. وقد استغرقت الكتابة الفعلية للاقتباس المسرحي عاماً ونيفاً، لكن قراءة المواد الخام وتنظيمها ومناقشتها مع بروك استغرقت قرابة عشر سنين.

يقول كاريير: "لم أعرف من أين أبدأ. الملحمة ضخمة جداً، والذي ساعدني كثيراً شروع بيتر في السماع التجريبي للممثلين وطلبه مني التمثيل مع كل واحد منهم."

أدرك كاريير سريعاً أن للسماع التجريبي غايتين. ففيما كان الممثلون يمتحنون، كذلك كان الكاتب: "كنت مضطراً الى الدفاع عما كتبت واعطائه حياة اذا ما استطعت، لانك عندما تعجز حقاً عن تمثيل مشهد فهنالك خطأ ما ولا دفاع ممكناً."

ذكاء وفكاهة. يتحدث بروك عن كاريير كشريك مثالي في العمل، فيقول: "انه يتصرف كممثل عظيم أو مصور كبير، يكيف نفسه مع الاشخاص المختلفين الذين يعمل معهم. هو منفتح على كل الادوار التي تتغير بتغير المواد، ينعشها بوجهة نظر مقنعة وقوية جداً."

ويضيف: "هنالك ارتباط قوي بين نوع العمل ونوع الشخص. انه رجل نهضة، شغوف بالحياة في كل أشكالها. وهو في الوقت ذاته منضبط جداً، منظّم تنظيماً عاليا، ذو عقل موسوعي. هو الآن يعمل على كتاب عن الطبيعة النووية. أمامك رجل يؤدي عملا ضخماً ويسافر كثيراً ويعيش حياة نشطة."

كتابة السيناريو، كما يمارسها كاريير، تتضمن كبح الذاتية والغرور. وذلك ما فعله عندما أخذه بونويل في رعايته، ومن هناك دخل العالم الصغير الضيق لنخبة صانعي الافلام في أوروبا.

اشتهر كرجل يستطيع انتاج كتابة خيالية حسنة فيما هو يخضع أسلوبه لحاجات المشروع وطلبات مخرج قوي.

ولما كان معظم الافلام يدين للمخرج أسلوباً وانشاء، فلا يمكن المرء أن ينظر الى فيلم كاريير ويقول: "هو كتبه،" ولا أن يشير الى المشاهد الخاصة ويقول انها جميعاً من إبداع كاريير. ومع ذلك فهنالك قواسم مشتركة قوية في أعمال كاريير. أحدها الذكاء: الذكاء التحليلي في فيلم "عودة مارتان غير" (٩) الذي عمل عليه مع المخرج دانيال فيني، والذكاء الضابط الهادئ في فيلم "الطبل" (١٠) الذي اقتبسه هو والمخرج فولكر شلوندورف من

(٩) Le Retour de Martin Guerre
(١٠) Le Tambour

قصة غنتر غراس الشهيرة. وهنالك قاسم مشترك آخر هو الفكاهة أدى دوراً مهماً في الافلام التي كتبها مع بونويل.

يقول كاريير: "هنالك فرق كبير بين الكتابة كروائي والكتابة كمؤلف مسرحي أو سينمائي. ان ما تتطلع اليه في القصص هو اتصال حميم بشخص واحد على حدة، هو القارىء. ولكن عندما تكتب لمسرح أو لفيلم تذهب كتابتك عبر عملية معقدة لتصل الى الحضور الذين يراقبونها كمجموعة. الرواية هي نهاية شيء ما، أما السيناريو فهو بداية."

ابن مزارع. ولد كاريير في "كولومبيير – سير – اورب،" وهي قرية في مقاطعة لانغدوك جنوب فرنسا. وكان الولد الوحيد لمزارع فقير.

وما زال منزله في كولومبيير – سير – اورب، لكنه يعيش غالباً في منزل باريسي جميل ذي فناء وجنائن مؤنسة. زوجته نيكول رسامة ومصممة ديكور. وابنتهما ايريس منتجة ومخرجة لأفلام قصيرة. وكاريير الذي كان الاول في أسرته يتلقى دراسة عليا، هو الآن رئيس "المؤسسة الاوروبية لفنون الصورة والصوت" في باريس وهي مدرسة تعلم التلاميذ الصغار فنون صناعة الافلام.

يتحدث كاريير بلهفة عن ورشات الاخراج والكتابة التي يديرها: "أقول لتلاميذي: "لنجلس في دائرة،" فيفعلون، انهم صغار جداً. أقول: "سنبدأ، كما نبدأ دائماً، بسكون خشوعي." وأجعل الوقت يمضي، دقيقتين أو ثلاثاً من السكون (هنا يضحك فرحاً). لا أحد يقول كلمة. انه لوضع مرهب جداً. لكنه ليس سكوناً فارغاً. أوضح لهم: "انه سكون غني. انه ليس رقاداً، انه استيقاظ وترك الابواب مفتوحة." الآن ينطق أحدهم."

مصارع ثيران. نعود الى منزل ميلوس فورمان. انه نهار طويل آخر لفورمان وكاريير ومساعدتهما الامريكية الشابة آن غيوري التي كانت هناك لاسداء النصح الى الرجلين الاوروبيين حول استعمال اللغة الانكليزية المعاصرة. لم ينته فورمان وكاريير بعد من مشروع كتابة النص السينمائي الذي يجب أن يكون جاهزاً للتصوير قريباً في فرنسا. هذه مشكلة حقيقية، لكن الحقيقة الاكثر استعجالا تكمن في سير العمل – مبارزة حيناً وأغنية مشتركة حيناً آخر. أما اليوم فهي مبارزة، أو هكذا بدت للشابة.

تقول آن وهي تضحك: "ما لا يعترف به جان – كلود هو أنه يعمل كمصارع ثيران. خلال خمس دقائق يكون في كل زاوية من الغرفة بهذه الفكرة أو تلك، يعمل على هذا النحو أو ذاك حتى ينهك المخرج. وأخيراً يصل الى ما يريده حقيقة اذ يقول: "أو نستطيع أن نفعل هذا." عند ذاك يكون المخرج مضطرباً جداً بحيث يرد: "هذا صحيح."

ويعلّق كاريير بصدق ساحر: "ولكن، يا آن، ما لم تقوليه هو أنني عندما أعمل كمصارع ثيران لا أعرف ما هي الفكرة الفضلى. أنا احاول اثارة مخيلة المخرج فحسب. ميلوس هو سيصنع الفيلم."

بعد أيام قلائل في كونيتيكت يعود كاريير الى فرنسا. وقبيل بدء الانتاج،

يعقد وفورمان اجتماعاً أخيراً حاسماً لتنقيح مخطوطتهما. بعد ذلك يصبح الفيلم للمخرج وتبدأ فترة انفعالات مختلطة للكاتب.

يقول كاريير: "هنالك دائماً بعض الحزن لدى بدء كل تصوير، عندما يُعلن أن السيناريو انتهى. في تلك اللحظة ثمة حركة نشطة. يأتي الممثلون للتمرن على أدوارهم، تتوهج الاضواء، ينغمس المخرج في العمل. ولكن علي أن أذهب. عندئذ يشعر الكاتب بحاله الاساسية: الوحدة."

هنا يخفض كاريير صوته ونظراته، ولكن ترتسم على شفتيه ابتسامة ويغمر عينيه نور جديد: "اذا ما كان الكاتب محظوظاً كفاية وجيداً كفاية وممتلئاً طاقة كفاية، فسينطلق للعمل على فيلم آخر راوياً قصة أخرى."

جو مورغنسترن ■

الزواج محك... النساء!

ظللت مدة عشر سنين تقريباً زوجة لرجل واحد. ولم يكن ايّ منا متأكداً من ان في وسع ايّ كائن بشريّ ان يعيش خلال رحلة العمر الطويلة هذه مع شريك اكثر خُروناً وعناداً وشراسة من شريك عمره. ومع ذلك تدبّرنا امورنا بالتي هي احسن.

يبدو كثير من الناس ميالين الى الاعتقاد ان على الزوجين ان يسعيا الى الحلول الوسط وان يتغيّرا قليلا ليظلا على قيد... الزواج. لا شيء ابعد من الحقيقة. فاول محك للزواج هو الأمان. تشعر بالامان عندما تعرف تماماً ماذا سيهم الشريك بقوله او فعله في اي وقت محدد. وعلى سبيل المثال، لو كان زوجي يقطع بشق النفس شريحة لحم بضلعها، لم تحمّر الا قليلا، ثم يلتهمها بسرعة – بدلا من ان يعرض قطعة منها امام ناظريه، رانياً اليها كما لو كان مشتبهاً به في جريمة قتل وقائلا: "أتعتبرين هذه مقلية كفاية؟"

هنالك كل تلك المرات عندما كنت اشتري ثوباً جديداً لمناسبة خاصة وكان زوجي يلقي نظرة خاطفة على بطاقة السعر بين النفايات، ويقول دائماً: "هل انت في حاجة الى ثوب جديد؟" ملمحاً مرة اخرى الى التمييز بين سد الحاجة عند الرجل وتلبية الرغبة عند المرأة. وهنالك ايضاً تلك الجملة الرائجة: "تبدين جميلة من دون تبرُّج" التي كان يُطلقها زوجي فيما اكون منهمكة في وضع اللمسات الأخيرة على عينيّ بعد خمس دقائق من جزمه بأنه كان يتعين علينا ان نكون في السيارة. فيأتي جوابي الحتمي: "المكان الوحيد الذي قصدته في حياتي من دون تبرُّج هو غرفة الإبلال في المستشفى."

اعرف كل خصوصيات مزاجه وهو يعرف كل نزواتي. واعتقد أن هذا هو سر الزواج الناجح. يعجبني في الرجل ان يكون جديراً بأن يُعوَّل عليه، وزوجي لا يخيّب ظني في هذا المجال. فمثلا اضع على الطاولة قصعة من سلطة خس دخيل ثم اتراجع الى الوراء وأعد الى خمسة، فيسأل زوجي بارتياب: "ما هذا الطعام؟" وينقض عليه بالشوكة.

فيمتلىء قلبي سعادة.

أ.ك.



المقالات العلمية والطبية المتخصصة تجذب جانباً كبيراً من قراء "المختار". رصاً على الدقة العلمية، وتنويراً للقارىء المتعطش الى المعرفة، نعمد الى ادخال سيرات اضافية تظهر في الحواشي أو من النصوص.

هنا بعض كلمات وردت لها شروح في داد السنة الماضية (١٩٨٨). وقد وضع ام كل منها أربعة تفسيرات، واحد منها حيح. وعلى القارىء أن يختار التفسير ذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة حصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

. ماراتون: مصارعة – سباق في لعدو – حبل – اسمنت.

. مونولوج: قصة قصيرة – إخراج – كاهة – مشهد مسرحي يؤديه ممثل احد.

. سمّور: حيوان فرائي – سنجاب – طواط – فأر.

٤. إنفلونزا: حصبة – جدري – نزلة وافدة – كزاز.

٥. سنة ضوئية: هجرية – كبيس – ٣٦٥ يوماً – مسافة يقطعها الضوء في سنة.

٦. آيدز: طاعون – فقدان المناعة المكتسبة – خَرَف – سرطان جلدي.

٧. هيروغليفية: كتابة تصويرية – أرقام رومانية – أسطورة – آثار.

٨. مترو: قطار تحت الارض – متحف – معلّم – قائد فرقة موسيقية.

٩. ايبيريا: الهند – آسيا الصغرى – جزر القمر – اسبانيا والبرتغال.

١٠. مقراب: مجهر – تلسكوب – ميزان البناء – مغنطيس.

١١. فيزيولوجيا: علم الأحياء – فيزياء – علم وظائف الاعضاء – تدليك.

١٢. لازانيا: طبق اسباني – طبق يوناني – طبق فرنسي – طبق ايطالي.

١٣. بيع التجزئة: بالجملة – بالدَّيْن – بكفالة – بالمفرّق.

١٤. إربيان: قريدس – أرنب – عشب طيّب – ذئب.

١٥. أنزيم: هرمون – نواة – خميرة – حَمْض خلوي.

١٦. ديموغرافيا: تخطيط الدماغ – دراسة احصائية للسكان – مسح الاراضي – إنماء.

١٧. يونيو: تموز – كانون الاول – أيلول – حزيران.

١٨. عقدة: وحدة قياس للسرعة البحرية – مرساة – مقياس للعمق – سَفَر ليلة.

١٩. أبقراط: فيلسوف روماني – شاعر هندي – طبيب يوناني – كيميائي فينيقي.

٢٠. طماطم: بطاطا – بطيخ أحمر – بندورة – شمّام.

٢١. ذُكاء: برج الجدي – الشمس – نجم الصبح – البدر.

٢٢. باثولوجيا: هندسة الطرق – تاريخ العالم القديم – علم النفس – علم الامراض.

٢٣. أشابة: خليط معادن – صدع – حجر كريم – تلوّث.

٢٤. شيزوفرينيا: شذوذ – اعتزال – فُصام – داء المفاصل.

٢٥. "بينيلوكس": المجموعة الاوروبية – حلف وارسو – الكومنولث – بلجيكا وهولندا واللوكسمبور.



١ . ماراتون (marathon): سباق في العدو الطويل.

٢ . مونولوج (monologue): مشهد مسرحي يؤديه ممثل واحد.

٣ . السمّور (sable): حيوان كثيف الذيل صغير الرأس يعيش في غابات سيبيريا ويُطلب لفروه الثمين.

٤ . الانفلونزا (influenza or flu): النزلة الصدرية الوافدة. وهي مشتقة من الكلمتين العربيتين "أنف العنزة".

٥ . السنة الضوئية: المسافة التي يقطعها الضوء خلال سنة، وتقدر بـ٩،٦ تريليون كيلومتر.

٦ . آيدز: داء فقدان المناعة المكتسبة (acquired immune deficiency syndrome (AIDS)

٧ . الهيروغليفية: الكتابة التصويرية القديمة، وخصوصاً كتابة كهنة مصر القدماء.

٨ . المترو (metro): نظام قطارات تحت الارض.

٩ . ايبيريا: شبه جزيرة تضم اسبانيا والبرتغال.

١٠ . المقراب: التلسكوب (telescope) وهو منظار يقرّب الاجسام البعيدة.

١١ . فيزيولوجيا (physiology): علم وظائف الاعضاء.

١٢ . لازانيا: طبق ايطالي يضم معجنات وخضراً وصلصة بندورة (طماطم) وجبناً ولحماً.

١٣ . بيع التجزئة: بيع بالمفرّق أو "القطاعي" وليس بالجملة.

١٤ . الاربيان (shrimp): القريدس، وهو حيوان بحري يؤكل.

١٥ . أنزيم (enzyme): خميرة، وهي بروتيين مختصّ يعجّل التفاعلات الكيميائية الحيوية في الجسم.

١٦ . ديموغرافيا (demography): الدراسة الاحصائية للسكان من حيث المواليد والوفيات والصحة والزواج وسوى ذلك.

١٧ . يونيو: شهر حزيران.

١٨ . العقدة (knot): وحدة قياس للسرعة البحرية تساوي ميلا بحرياً في الساعة، والميل البحري يساوي ١٨٥٢ متراً.

١٩ . أبقراط (Hippocrates): طبيب يوناني (٤٦٠ ق.م. - ٣٧٠ ق.م.) يلقب "أبا الطب". والأطباء المتخرجون يقسمون "يمين أبقراط" قبل مباشرة ممارسة المهنة.

٢٠ . طماطم: بندورة (tomato).

٢١ . ذُكاء: اسم عَلَم للشمس.

٢٢ . باثولوجيا (pathology): علم الامراض.

٢٣ . أشابة (alloy): خليط من معدنين أو أكثر.

٢٤ . شيزوفرينيا (schizophrenia): داء الفصام، وتسميه العامة "انفصام الشخصية".

٢٥ . "بينيلوكس" (Benelux): ثلاث دول هي بلجيكا وهولندا واللوكسمبور. والكلمة مركبة من الحروف الاولى لأسمائها الاجنبية.

المستوى

٢١ - ٢٥ : ممتاز

١٤ - ٢٠ : جيد جداً

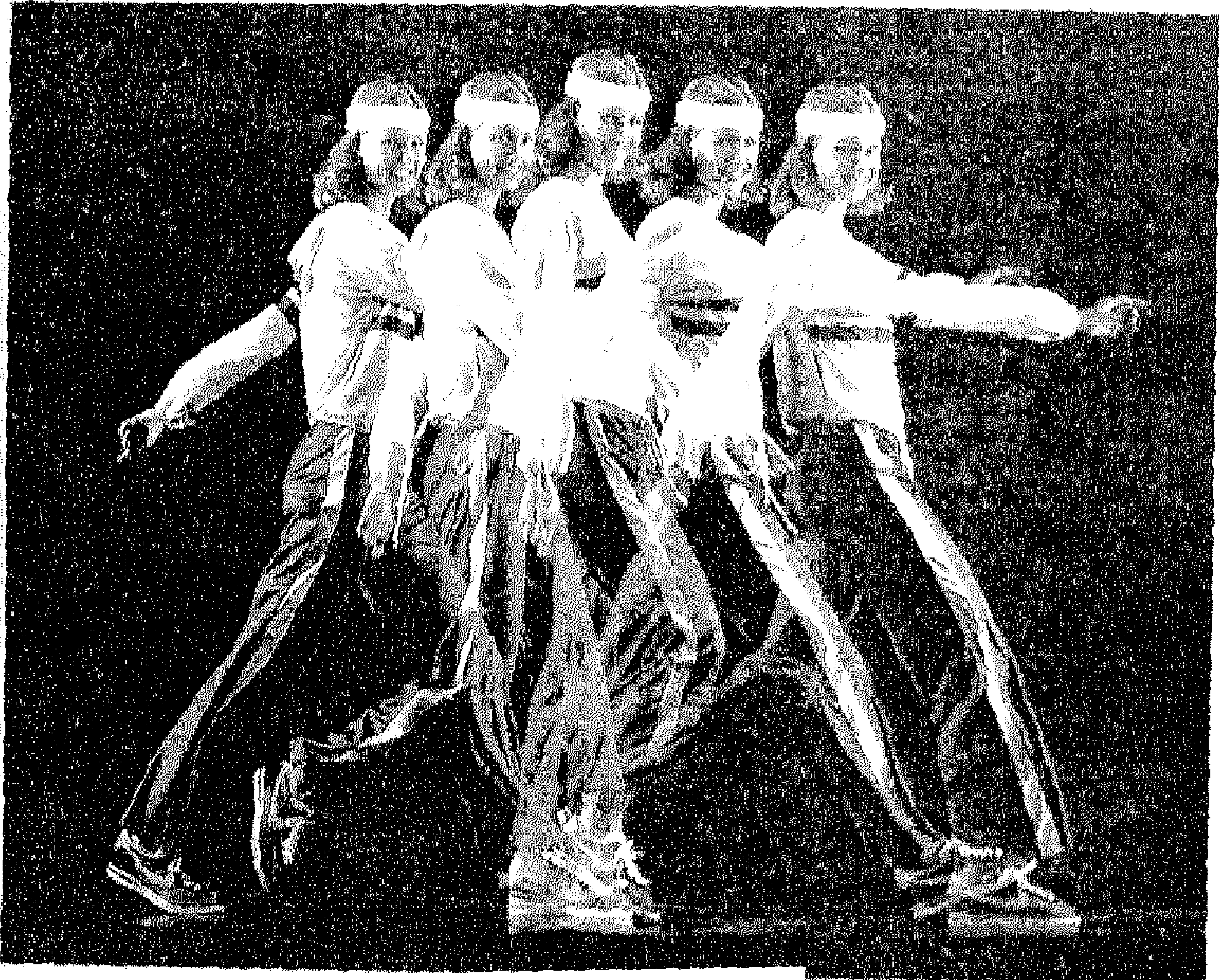
٩ - ١٣ : مقبول

مشوار ساعة يخفض الوزن ويُطيل العُمْر

المشي ساعة واحدة يومياً كفيل بأن يذيب سمنتك الزائدة ويزيل همومك

□ أرادت دوريس (٥٥ عاماً) أن تفقد بعض الوزن. كذلك كانت رغبة زوجها (٥٣ عاماً). فاعتزم الزوجان اختبار برنامج للمشي. ولم تمض ستة أشهر حتى كانت دوريس خفضت وزنها ١٥ كيلوغراماً وزوجها ٢٢ كيلوغراماً. وهما لا يزالان يمارسان المشي ويحبانه.

□ هيلين طالبة في معهد للتمريض. كانت تعود الى البيت مرهقة بعد نهار طويل في المعهد، لتجد في انتظارها ساعات طويلة من الدرس في المساء. فأقنعتها احدى صديقاتها بأن تؤدي بعض التمرين مهما تكن مرهقة. وبعد رجوعها من جولة على القدمين ذات عصر دهشت لما شعرت به من قوة. وتعتبر



Condensed from «Fitness Walking for Women,» copyright © 1987 by James M. Rippe, M.D., published by Perigee Books, a division of the Putnam Publishing Group, New York, N.Y.
Photo: Philip Leonian

هيلين المشي تحدياً لا واجباً، وهي تتطلع الى هذه النزهات بفارغ الصبر.

وانها لحقيقة واضحة. فالتمرين يعزز نوعية الحياة. وتدل الدراسات الحديثة على أن الاشخاص الذين يتمرنون بانتظام تطول أعمارهم. وقد أظهرت دراسة تتبّعت العادات الصحية لـ١٧ ألف طالب متخرج في جامعة هارفرد في كامبردج بولاية مساتشوستس لمدة ١٦ سنة، أن الافراد الذين اعتادوا التمرين كانوا أقل تعرضاً للنوبات القلبية، فضلا عن أنه طرأ تحسن كبير على صحتهم اجمالا وطالت أعمارهم. وقد أفاد متخرجو هارفرد أن تمرينهم الاكثر ممارسة كان المشي. وكلما زاد المشي زادت الفائدة. فقد اكتشف الباحثون أن الرجال الذين مشوا ١٥ كيلومتراً في الاسبوع انخفض خطر موتهم المبكر ٢١ في المئة بالمقارنة مع الذين مشوا أقل من خمسة كيلومترات.

وهناك فائدة أخرى للمشي وهي تدنّي الضغط. وأظهرت الدراسات ما يعرفه الاشخاص النشطون من طريق الاختبار، وهو أنه على اثر التمرين يشعر المرء بقلق اخف ويزيد تفكيره صفاء. قالت احدى النساء: "لن يفوتني التنزه وقت الغداء مهما حدث. انه ينقي ذهني ويضع الاشياء في أبعادها الصحيحة."

لا يُعرف بالضبط لماذا يحدث ذلك. لكن المشي هو على رغم كل شيء عمل يحرّك معظم عظام الجسم والعضلات الرئيسية. والتمرين المعتدل يسبّب تغيرات نفسانية وحياتية كثيرة يبدو أنها تؤثر في المزاج وتزيد من الشعور بالهناء.

حمية وتمرين. أهمية المشي كوسيلة لخفض الوزن لم تعطَ حق قدرها. وقد تدهش حين تعلم أنك اذا مشيت بسرعة لمدة ٤٥ دقيقة يومياً أربع مرات في الاسبوع لمدة سنة، فقد تفقد ثمانية كيلوغرامات، بشرط ألا تزيد ما تتناوله من طعام. وسيزداد نقص الوزن اذا اقترن التمرين بخفض معتدل في الوحدات الحرارية.

من الطرق السهلة لخفض الوزن أن تخرج وتمشي يومياً في وقت الغداء. والمشي مفيد خصوصاً اذا كنت مفرط البدانة، لان النشاطات الاكثر قوة، كالركض، قد تكون قاسية على عظامك ومفاصلك.

الى أي حد يساعد المشي السريع على انقاص الوزن؟

أظهر عدد من الدراسات مبلغ التغيير الذي يحدثه التمرين في سياق خطة لانقاص الوزن. وشملت احدى الدراسات ٢٥ امرأة زائدات البدانة وُزّعن على ثلاثة برامج بقصد خفض طاقاتهن الحرارية بمعدل ٥٠٠ وحدة يومياً. فكانت منهنّ "مجموعة حمية" خفضت استهلاكها الغذائي ٥٠٠ وحدة حرارية يومياً من دون تغيير في التمرين المنتظم. و"مجموعة تمرين" حرقت ٥٠٠ وحدة حرارية يومياً من طريق الرياضة، من دون تغيير في استهلاك الطاقة. و"مجموعة حمية وتمرين" خفضت استهلاكها الغذائي ٢٥٠ وحدة يومياً وحرقت ٢٥٠ وحدة بالتمرين. فاللواتي كن في المجموعتين الاولى والثالثة فقدت كل منهن ٥،٤ كيلوغرامات فيما فقدت كل من اللواتي ضمتهن الثانية ٤،٨ كيلوغرامات. ولكن في المجموعتين اللتين اعتمدتا التمرين حدث انخفاض ملحوظ في دهن الجسم اكثر مما في المجموعة التي اتبعت

كيف تمشي؟

يجب أن يكون المشي، في الدرجة الاولى، اختباراً حسياً مبهجاً، وتكون في الطريق ألوان غنية تسرّ الرؤية وأبنية جميلة تلفت النظر. وكلما انسجمت أحاسيسك مع قدميك ازدادت نزهتك متعة. فزقزقة العصافير وخرير المياه وحفيف أوراق الشجر وأصوات الناس الفرحين هي الانغام البهيجة التي ترافق نزهة جميلة. وعبير أزهار الربيع وأريج القهوة الطازجة والدخان المتصاعد من مواقد الحطب ما هي الا روائح عطرية مفاجئة أثناء المشي.

وفي الامكان القيام بنزهات مثيرة في المدن والقرى والضواحي والمناطق البرّية. فخطط طريقك لكي تكون المحطات التي تمر بها مشوّقة تجتذبك.

ان المشوار الجيد يستغرق أكثر من ٣٠ دقيقة، لأن هذا هو الحد الادنى الذي يلزم الجسم للاسترخاء والتمتع. ويجب أن يتم المشي بخطوات سريعة. لكن ذلك لا يعني أنه لا يمكنك، أثناء مشوار طويل، التلفت حواليك أو التقاط أشياء تجذب انتباهك أو الجلوس برهة للتحادث.

وأهم من كل شيء أنك خلال نزهة مشي حثيث لا بد وأن تشعر بالحيوية والراحة.

From America's Greatest Walks, by Gary Yanker and Carol Tarlow,
© 1986 by Walking World (Addison — Wesley)

الحمية وحدها، فضلا عن أن مجموعة الحمية أظهرت نقصاً غير مستحبّ في أجزاء الجسم الخالية من الدهن.

هناك دراسة نشرت عام ١٩٧٩ تقدم دليلا آخر على تأثير التمرين في نقص الوزن، وقد شملت الدراسة مقارنة بين ثلاث مجموعات، اعتمدت الاولى الحمية فقط والثانية التمرين فقط والثالثة تركيبة من الحمية والتمرين. فخسر كل واحد من مجموعة الحمية خلال الاسابيع الثمانية الاولى ما معدله ٣،٢ كيلوغرامات، وخسر أفراد مجموعة التمرين ٢،٧ كيلوغرام، وأفراد المجموعة المختلطة ٥،٩ كيلوغرامات.

متعة لا تزول. المشي، كبقية التمارين الحيهوائية (١)، يؤدي ثلاث خدمات رئيسية تساهم في خفض الوزن: انه يحرق الوحدات الحرارية، ويساعد في الحفاظ على معدل الأيض (٢) خلال الراحة، ويخفض الدهن محافظاً على كتلة العضل.

لكي تفقد نصف كيلوغرام من وزنك عليك حرق ٣٥٠٠ وحدة حرارية زيادة على ما تستهلك. لذلك، لكي ينقص وزنك نصف كيلوغرام في الاسبوع عليك خفض ٥٠٠ وحدة حرارية يومياً. وأحد السبل لتحقيق ذلك هو المشي ٢٥ كيلومتراً في الاسبوع بمعدل خمسة كيلومترات يومياً في خمسة أيام أو ٣،٥ كيلومترات يومياً على مدى سبعة أيام. فهذا يحرق بين ١٠٠٠ و٢٠٠٠ وحدة حرارية في الاسبوع تبعاً لسرعة مشيك ولوزنك. وفي الامكان خفض الوحدات الحرارية الباقية — ٢٠٠

(١) Aerobic exercises

(٢) Metabolism

الى ٤٠٠ وحدة - بسهولة بالامتناع عن تناول وجبات خفيفة أو دهنية.

وهناك خرافة تقول ان التمرين ينشط القابلية ويزيد تناول الطاقة الحرارية مما يُبطل فوائد التمرين. ولكن هناك بعض أدلة على أن النشاط الجسدي المنتظم والمعتدل قد يساعد على ضبط الشهية. ففي دراسة لعمال المطاحن تبين أن أقلهم نشاطاً استهلك نحو ٥٠٠ وحدة حرارية يومياً زيادة على زملائه ذوي النشاط المعتدل.

ان معدل الأيض الاستراحي يدل على الطاقة التي يحرقها جسمك أثناء الراحة. وهو يتدنّى كلما تدنى استهلاكك للطاقة، فتحرق عدداً أقل من الوحدات الحرارية. وقد يكون تدنّي معدل الايض الاستراحي أحد الاسباب التي تُبلغك نقطة استقرار خلال اعتمادك الحمية، فتتوقف عن فقد الوزن مع أنك لا تزال تأكل أقل. ويدل بعض الابحاث على أن التمرين يساعد في الحفاظ على ارتفاع معدل الايض الاستراحي لدى اتباع الحمية.

ولكي يتسنى لاي نوع من التمرين زيادة الفوائد الصحية على المدى الطويل، تقتضي ممارسته على نحو متواصل طوال الحياة. وهنا تبرز أفضلية المشي على بقية النشاطات التي توفر فوائد أكثر في المدى القصير. والذين يمارسون المشي نادراً ما يتوقفون عنه بسبب الاصابات الشائعة التي يتعرض لها سواهم من المتمرنين. ويتابع المشاة رياضتهم سنة بعد سنة لأنها تنطوي على متعة لا تزول.

آن كاشيوا وجيمس ريب ■

هدايا الزواج

ساهمت مع زوجي في احياء حفلة زواج احد الاصدقاء، ورحنا نراقب الزوجين السعيدين يفتحان هداياهما اللطيفة. ولدى مشاهدتنا طواقم من ادوات المطبخ والطناجر والصحون وحاويات الملح والبهار علّق زوجي بالقول: "لقد حصلا على كل ما يلزمهما للطبخ، ولكنهما يحتاجان فعلا الى هدية من محل سمانة." فاجبت ان "قسيمة طعام جاهز لمدة سنة قد تكون هدية افضل." فحبكت النكتة مع زوجي وقال: "صحيح، ولكن أليس في كل ذلك تأجيل لما لا يصلح للأكل؟"

ج.ب.ف

عامل على راحته

كان يوماً صيفياً حاراً وقد بدأ زوجي لتوّه عملا جديداً كسائق جرافة في شركة بناء. وكان عليه أن يدير الآلة متبعاً اشارات يدوية يعطيها عامل على الارض. وبعدما خفض شفرة الجرافة ورفعها مراراً تلقى أخيراً الاشارة بأن الوضع صحيح. حينئذ جلس العامل في ظل الشفرة.

ش.ك.



ثقوب الـ"غروبير" تختفي

يعتقد علماء سويسريون أنهم اكتشفوا سر خسارة جبنة "غروبير" ثقوبها. وكانت هذه الظاهرة لوحظت منذ العام ١٩٨٠، وتبين آنذاك أن عينات شائعة من الغروبير نقصت ثقوبها بنسبة ١٥ في المئة عن عدد ثقوب عينات مماثلة فحصت قبل عشر سنين.

وأعلن الاتحاد السويسري لمنتجي الاجبان أن الخبراء كانوا يتتبعون هذه المسألة بقصد اجراء تحسين مستمر في طرائق التعقيم. ولا يقتصر التحول هنا على تدمير الجراثيم المضادة بل أيضاً على تدمير تلك التي تولد غازات تكوّن الثقوب في أثناء انضاج الجبن.

وتقول ليزبث ستاهلي المتحدثة باسم الاتحاد: "مع أن غياب الثقوب لا يحدث أي فرق في الطعم والجودة، فسيفتقد الزبائن رمزاً بصرياً عزيزاً على قلوبهم."

صحيفة "فايننشال تايمس"، لندن

بيوت من القش

شركة "ستراميت الدولية" للبناء هي شركة عائلية بريطانية ظلت خمسين سنة تشجع الناس على بناء بيوت من القش. وقد باعت الصينيين آلتين لصنع ألواح من القش بمبلغ مليون جنيه استرليني.

تملك الشركة ١٢ مصنعاً عاملا في أنحاء العالم. هناك يضغط القش ويحمّى حتى يرشح منه صمغ، ثم تصنع منه الواح عازلة جداً يمكن استعمالها بدل القرميد (الآجر) أو الخشب أو الاسمنت.

في السنوات الاخيرة حازت شركة "ستراميت الدولية" نجاحاً ملحوظاً في تزويد البلدان النامية في الاقاليم الحارة مواد مصنعة لبناء المنازل، يمكن تشييدها في بضعة أيام. وهي تمتاز برخصها وبقدرتها الشديدة على العزل الحراري. ويكلف منزل مساحته حوالى ٨٠ مترا مربعا نحو ألف جنيه استرليني.

صحيفة "ايكونومست"

شهداء في القفير

في صحارى جنوب شرق الولايات المتحدة وامريكا الجنوبية وافريقيا واستراليا يخزن نمل الشهد مَنّاً، اي نسغ النباتات او السائل العذب الراشح من جسم الأرَقة، عندما يكون وافرا، ويستهلكه خلال الفصل الجاف. وفي كل عش يُختار بضع مئات من النمل العامل كخزائن حيّة للطعام. ويعلف النمل الجاني النمل العامل بالقوة اذ باستطاعة معدته أن تنتفخ حتى يصبح بحجم حبّة البازيلاء، اي حوالى ثمانية اضعاف حجمها الطبيعي. وقبل ان يبلغ نقطة الانفجار، يتدلى النمل الحامل الزاد من سقف حجرة على عمق عدة امتار تحت سطح الارض، تماما كما يتدلى القديد المدخن.

وعندما يهدد الفصل الجاف جماعة النمل بالجوع يتوجه الى المزاود الحيّة التي تطعمه مَنّا تتقيؤه من معدتها الى أن تفرغ. بعد ذلك تتقلص المزاود الحية وتموت، فتطرح خارجا كأي إناء عادي.

ف.ب.د.

حذار! الادوات والمواد المألوفة في مرأبك قد تشكل خطراً عليك وعلى أولادك

المَرأبُ أخطرُ مَكان

تخيل أن في منزلك معملا صغيراً مشحوناً بالمتفجرات وبأدوات صناعية خطرة ومصادر طاقة مميتة. يبدو أن في هذا الكلام بعض المغالاة، لكن الحقيقة أن هذا "المعمل" هو مرأبك.

ففي كل سنة تتسبب الحوادث المنزلية في مقتل عشرات الالوف من الناس وتلحق الضرر بالملايين. ويقع الذنب في كثير من هذه الحوادث المؤسفة على المعدات الحديثة والمواد التي نحتفظ بها كيفما اتفق في مرائبنا باعتبارها أشياء عادية لا خطر منها.

ولكن في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٧ في احدى ضواحي شيكاغو، أوقع ثلاثة أطفال صفيحة وقود كانت محفوظة في مرأب منزلهم. وحدث أن سقطت أداة من يد أحدهم على أرض الاسمنت أطلقت شرارة اشعلت ناراً هوجاء في المرأب. وأصيب طفلان بحروق بالغة ما لبثا على اثرها أن فارقا الحياة. أما الطفل الثالث فاقتضت معالجته بتطعيم الجلد وبالجراحة التقويمية.

وفي خريف ١٩٨٧ كان رجل في ويسكونسن يقطع الحطب في فناء داره. فألقى بمنشاره الآلي على الارض وهو لا يزال دائراً، لكي يدفع جذعاً. وعندما عاد ليلتقط المنشار داس غصناً أطار المنشار الدائر في وجهه فأصيب بجرح بالغ امتد

Illustration: Barry Phillips

من فمه الى اذنه، وكسرت له أربع أسنان وتدلّت شفته السفلى. وتطلبت معالجته ١٨٠ قطبة للجرح وجراحة عصبية ومعالجة شاملة للأسنان.

يقول ديفد كاسويل مدير "برنامج السلامة المنزلية" في الولايات المتحدة: "ان مرائبنا قد تكون فعلا أشد خطراً من المصانع، اذ تكمن فيها مجموعة مخاطر أكثر تنوعاً، فيما يندر وجود أصحاب منازل (خلافاً للعاملين في المصانع) يتفهمون الوضع ويتخذون الاحتياطات الضرورية للسلامة."

وقد عمدت احدى لجان السلامة، استناداً الى المعالجات التي أجريت في أقسام الطوارىء في المستشفيات، الى تحديد عدة أخطاء تهدد الحياة والاوصال:

ان جزازات العشب والمناشير الآلية تشكل ثنائياً قاتلا يتسبب سنوياً في حوادث لمئات الالوف من الناس تقتضي معالجتها في المستشفيات. والى ذلك فان آلات تشذيب الاسيجة ونفخ ورق الشجر تتسبب في ألوف الاصابات الاخرى.

معظم حوادث جزازات العشب النموذجية ينتج من انزلاق اليدين أو القدمين تحت شفرات الجزّازة، واشتعال الوقود، والانفجارات المفاجئة. ومن النصائح المفيدة أن تلبس سروالا طويلا وثياباً مشدودة جيداً الى جسمك وأحذية متينة الدوس. نظف مرجة العشب من الحصى والاوساخ قبل مباشرة الجزّ. افصل شمعات الاشتعال قبل مباشرة صيانة الآلة، وتمهل حتى يبرد المحرك قبل أن تصب الوقود لكي تتجنب اندلاع حريق بفعل شرارة.

يرى خبراء السلامة أن المناشير الآلية هي أخطر الادوات في المنزل. ويقول الدكتور بيتر توسانت من فورت كنت بولاية مين، الذي عالج عشرات من اصابات قاطعي الخشب: "ان المنشار الآلي خطر الى حد يوجب حظر استخدام الهواة له."

اذا اقتضى الامر ان تستخدم منشاراً آلياً فليكن من الطراز الحديث، لان ميزات الوقاية الحديثة - كالكوابح التي توقف سلسلة المنشار بسرعة عند الارتداد الخلفي، وواقيات الانف، وقضبان الهداية الواطئة الواقية من الارتداد - خفضت الاصابات بنسبة كبيرة. والى ذلك، البس ثياباً واقية وضع نظارات واقية وسدادات للاذنين وقبعة صلبة. يقول الدكتور توسانت: "ان كلفة هذه الاشياء تقارب ثمن المنشار. وبهذه الكلفة يمكنك استخدام عامل محترف، وهذا ما أنصح به في الدرجة الاولى."

ان قلة من الناس تسمح بوجود ديناميت في منازلها. لكن كثيرين لا يبالون بوجود صفيحة وقود في منازلهم. الخبراء يعتبرون الغازولين (البنزين) خطراً بمقدار المتفجرات القوية. فقد يتسبب اشتعاله فجأة في الاصابة بحروق وربما في الوفاة.

واذا أخذت الرطوبة في الاعتبار، فان

بخار الغازولين يلتهب حين يشكل ما بين ١،٤ و٧،٦ في المئة من حجم الهواء الاجمالي. وقد يشتعل الغازولين حتى حين يكون باب المرأب مفتوحاً. وكثيراً ما يكون المرأب موضع جهاز تسخين الماء والشعلة الدائمة قد تلهب بخار الغازولين. لذلك يقترح الخبراء خزن الوقود في وعاء خاص مقفل باحكام وحفظه في سقيفة أو بناء منفرد.

ان مرائبنا تقوم غالباً مقام المتجر لعدة مواد سائلة خطرة. فالدهان ومرقّق الدهان والزيت والورنيش وبطاريات السيارات المستعملة تشكل مخزناً من المتفجرات والمواد السامة. حتى السائل المنظف لزجاج السيارة يشكل خطراً لانه يبدو كشراب منعش، ويشربه الاولاد أحياناً.

ويندر أن تجد مرأباً لا تخزن فيه مبيدات الحشرات وأدوية الرش.

على اصحاب المنازل الاقفال على كل المواد السامّة خشية ان تصل اليها أيدي الاولاد، وحفظها في أوعيتها الاصلية التي تحمل ملصقات تعلن محتوياتها.

الأبواب.

غالباً ما يستخدم المرأب كمحترف منزلي للاشغال. وبابه يشكل أول الاخطار. يبلغ وزن الباب قرابة ٣٠٠ كيلوغرام وقد يسحق القدم. لكن مفاتيح الابواب الاوتوماتيكية هي الخطر الحقيقي. فكم من الابواب سقطت في الوقت الخطأ فقتلت أولاداً او جرحتهم، الى ان طُلب من الشركات أن تُدمج دارات كهربائية تفتح الباب اذا اعترضه عائق وهو يقفل.

وهناك عشرات ألوف الاصابات سنوياً ناتجة من أدوات الورشات المنزلية كالمناشير الآلية والمطاحن والصاقلات وسافحات الرمل. انتبه الى ضرورة وصل كل الآلات التي تعمل بالطاقة، بالارض، ما لم تكن مضاعفة العزل. حافظ على نظافة منطقة العمل. لا تنزع أبداً حواجز الشفرات الواقية، ولا تشتغل بأي آلة قبل قراءة الارشادات. ولا تلبس ثياباً فضفاضة قد تعلق أطرافها بالآلات.

السلالم أيضاً قد تؤذي أولئك الذين يحاولون اتمام العمل بطريقة مختصرة، اذ يجب تركيزها على أرض مسطحة متينة لا تغرق فيها قائمتا السلّم او تنزلقان. انتعل حذاء ذا نعل جافّ. ولا تمل الى الجانبين ولا تقف على الدرجة العليا.

والسبب الذي يحدو عمال السقوف والدهان على استخدام السلالم الخشبية هو كونها عازلة تحول دون الموت بالصدمة الكهربائية. ان معظم سلالم الالمنيوم في مرائب المنازل هي موصلة للكهرباء.

الكهرباء.

الكهرباء مصدر رئيسي لحوادث النار في المنازل. ويقضي ألوف الناس سنوياً بالصدمات الكهربائية لمجرد لحظة إهمال.

ويعرف عمال الكهرباء والمهندسون أن جسم الانسان موصل مثالي للكهرباء. فمجرد ثلث أمبير، الذي يكاد لا يكفي لاضاءة مصباح كهربائي عادي، قد يصعق أو يوقف نبض القلب.

ولشدة تحسّس الخبراء للاخطار تراهم مهووسين بالسلامة في منازلهم. فأحد

المهندسين لا يبدل سلك الوصل في مفتاح الكهرباء ما لم يقطع الخط الرئيسي، غير مكتفٍ باقفال مفتاح الدارة (١) وبعد ذلك يفحص الاسلاك بواسطة فاحص للدارات.

ان الوسيلة الفضلى لتجنب الصدمات الكهربائية هي في ابدال مآخذ التيار (٢) في الجدران أو قاطعات الدارات بتجهيزات كهربائية واقية تدعى "المعيقات الارضية للتيارات الجانحة" (٣) التي تقطع التيار الكهربائي خلال جزء من الثانية اذا اكتشفت تياراً سارياً الى الارض يشكل طاقة قادرة على احداث صدمة.

يقول بات بنتز من "الجمعية الامريكية الوطنية لأصحاب المصانع الكهربائية"، مشيراً الى الصدمات الكهربائية التي تسببها مشذّبات الاسيجة والمثاقب الكهربائية، ان المعيقات الارضية يجب أن تكون حتماً في جميع المرائب. ويدهش لأن عدداً كبيراً من الناس يتجاهل الوخز الخفيف الذي يأتيهم من المعدات الكهربائية. وهو يقول: "عندما تشعر بالوخز فانك على وشك الاصابة بصدمة كهربائية."

اذا كان عليك أن تستخدم أسلاك تمديد للادوات الكهربائية، فيجب التأكد من أن قوة تحمّل السلك للتيار تعادل قوة تحمّل الآلة للتيار أو تتجاوزها. لا تشغل الآلات الكهربائية وأنت منتعل حذاء رطباً. ولا تدخل مرأباً رطباً أو مغموراً بالماء اذا خشيت أن يكون أحد الاسلاك الكهربائية على تماسّ بالماء.

يقول الدكتور ديفد كاسويل: "ان النباهة تحول دون كثير من الالم." ويعرض اقتراحين:

اولا، قم بجولة تفتيشية في مرأبك أو قبوك أو محترفك. انتبه الى نقاط الخطر كصفائح الوقود ومبيدات الحشرات والاشياء التي قد تُقلب.

حاول ان تتفحّص المكان بعيني طفل فضولي. ويقتضي ألا يكون لاولادك وصول اليه. ولكن، اذا دخلوا المكان، فهل يكونون بأمان؟

ثانياً، إعمل كخبير. اقرأ الارشادات واتبعها لدى استخدام الادوات والمنتجات، وقاوم اغراء العمل بطريقة مختصرة. احتفظ بمطفأة للحرائق جاهزة. وخطط لعملك لكي تكون الاداة المناسبة جاهزة لديك في الوقت المناسب.

ان العمل في الهواء الطلق هو أحد الامور التي يتمتع بها مالك المنزل. فلا حاجة الى التخوف من الحوادث الخطرة اذا اتبعت سبل الوقاية البسيطة، فلا يبقى منزلك كأنما هناك حادث متربّص سيقع فيه في أي وقت.

لاري فان غوثم ■

(١) Circuit breaker

(٢) Wall Outlets

(٣) Ground fault circuit interrupters

يستطيع معظمنا ان يسامح وينسى، غير اننا لا نريد ان ينسى غريمنا اننا سامحنا.

إ.ب.

استعمال أجود المقوّمات. توفير الخدمة الكاملة. اهتمام بالتفاصيل. هذه هي طريقة أحد ابرز الطهاة في العالم

طبّاخ عالمي

غابت الشمس بأشعتها الذهبية غارقة في سماء استوائية رائعة في منطقة ياموسوكرو في شاطىء العاج حيث ستقام في فندق فخم حفلة استقبال ومأدبة عشاء لخمسمئة مدعوّ، بينهم بعض أبرز شخصيات البلاد. وفي باحة الفندق المحاذية للمسبح

غاستون لونوتر يعرض قطع شوكولاته وطبقين من ابتكاره. فوق: تحفة متقنة من ثمار البحر. تحت: قطع خيار رتبت في شكل سمكة عملاقة.

وضعت طاولات مغطاة بشراشف كتانية بيضاء وعُرضت عليها المأكولات المغرية كالكركند وأنواع السلطة و"الباتيه" والسمك والحلوى. وراح غاستون لونوتر، وهو أحد أشهر متعهدي المأكولات في العالم، يبتسم كالعمّ المحبّ وهو يعتمر قبعة الطهو البيضاء. انه اختار بنفسه أصناف المأكولات وأشرف على تحضيرها ثم طار بها من العاصمة الفرنسية باريس.

وما إن أشعل أحدهم صفاً من المصابيح المسلّطة على الطاولات حتى هجمت أسراب بعوض تعدّ بالملايين وحوّلت الشراشف الكتانية والمأكولات كتلة قاتمة تصدر أنيناً وطنيناً. فصرخ لونوتر آمراً: "أطفئوا هذه المصابيح وارفعوا الطعام عن الطاولات."

وهبّت مجموعة من العمال لتنفيذ الأوامر. فأطفئت المصابيح وأخليت الطاولات من كل طعام خلال عشر دقائق. لكنها ما لبثت خلال خمس عشرة دقيقة أخرى أن تألقت بالمأكولات المحفوظة التي أحضرها لونوتر للحالات الطارئة، وقد غلفت أطباقها بالنايلون الشفاف. وأثار الطعام المعروض على ضوء الشموع شهية الضيوف واتفق الجميع على أن الطعام والخدمة كاملان.

فماذا كان منتظراً من غاستون لونوتر غير ذلك؟

بالنسبة الى غاستون، كلّفت هذه المأدبة كلها عمل يوم واحد. فهو عائد الى باريس في اليوم التالي، وربما طار بعد غد الى طوكيو أو لندن او اورلاندو في فلوريدا. ذلك بأن هذا الرجل الهادىء يتربع على عرش مملكة تجارية عالمية مؤلفة من عشرة متاجر "لونوتر" و٢٦ مخزناً تعمل بموجب امتيازات خاصة و١٣ مركزاً للانتاج تدر كلها دخلا نقدياً يتعدى ٢٥٠ مليون فرنك فرنسي (٤٠ مليون دولار) سنوياً. وتؤمن مؤسسته أكثر من ألف نوع من المأكولات، تراوح بين وجبات صغيرة يمكن تسخينها في المنزل لعشاء رومنطيقي ومآدب عشاء ضخمة لعشرة آلاف شخص.

وتحضّر متاجر لونوتر كعكاً للأعراس، وبجعات جليدية ترتفع ثلاثة أمتار لحفلات الاوبرا، وتموّن رحلات استجمام في البحر الأبيض المتوسط، كذلك سباق "لومان" للسيارات ومعرض "لوبورجيه" للطيران في فرنسا.

خباز عتيق. لونوتر الانيق والنشيط هو اليوم في سنه الثامنة والستين، لكنه لا يزال الرجل ذاته الذي فتح محلا متواضعاً لبيع المعجنات في بلدة صغيرة بمقاطعة النورماندي الفرنسية قبل خمس وأربعين سنة. فهو لا يزال يعمل كخباز: يستيقظ مع الفجر ويخلد الى النوم قرابة الحادية عشرة مساء. ويصرّ دائماً على استعمال أجود المواد والاهتمام بالتفاصيل.

وبحكم وظيفته كمدير لمؤسسة عالمية، عليه أن يكون بائعاً وديبلوماسياً وممولا في آن. إلا أنه يبقى مشغوفاً بقدرته على اختراع أطعمة شهية. وفي سبيل تحقيق هذه الغاية بنى لونوتر في منطقة مناسبة قرب فرساي مركزاً سماه "بليزير" (١) لتحضير نماذج من الأطعمة،

(١) plaisir بالفرنسية تعني المتعة.

وهو يستخدم فيه ٨٠٠ موظف. وفي هذا المركز تلاحق الادمغة الالكترونية البضائع والسلع المشحونة لتمكين العمّال من معالجة عشرة أطنان من الطعام يومياً.

أول ما تلاحظه وأنت تدخل المبنى، الروائح التي تذكّرك باسواق في الهواء الطلق، ذلك بان المسؤول الاول عن المشتريات، واسمه إيف لوتلبيه، اشترى البضائع الطازجة هذا الصباح. وهو يؤدي وظيفته هذه منذ ثلاثين عاماً، فتراه يستيقظ يومياً في الثانية صباحاً ويذهب الى سوق الخضر والفاكهة واللحوم في "رونجيس" جنوب باريس، حيث ينتقي أفضل البضائع الطازجة.

كما تلاحظ أن أعلى صوت تسمعه في مركز التحضير هو الصوت البشري. ففي بليزير يحضّر الطعام بالأيدي الا في ما اقتضى استعمال خفاقات البيض وآلات فرم اللحم العادية. في احدى الغرف تقشر الايدي الماهرة الخضر، وفي غرفة اخرى تأخذ العجينة أشكالا مختلفة لخمسة وعشرين نوعاً من الخبز. وفي أمكنة أخرى تحشى البندورة (الطماطم) وتلمّع أفخاذ الذبائح ويغزل السكر في أشكال فنية.

هنا ترى عشرة رجال رزينين يتذوقون بضعة أنواع من الشوكولاته الخالصة فيصنفونها ليقرروا أياً منها يلائم سكاكر لونوتر وحلواه. وهناك تجد مختبراً لتجربة الأصناف الجديدة، مثل طيور الكيوي النيوزيلندية وشراب القيقب الكندي، لابتكار أطباق فرنسية شهية.

صياد المعجنات. في وسع الطهاة الانتساب الى مدرسة لونوتر للطهو لتعلّم تحضير بعض أنواع الأطعمة في مطابخهم، مثل "كعكة بليزير" المحضّرة من قشدة الفانيليا والشوكولاته المخفوقة والمغطاة بالكاراميل. ولكن عليهم أولا التحلي بالجدية، فطلاب مدرسة لونوتر محترفون أو سيصبحون محترفين. ثم إن المقررات الثمانية والثلاثين تكلف غالياً (ستة آلاف فرنك فرنسي لخمس وثلاثين ساعة أسبوعياً) ويقضي الطالب معظمها في الاعمال التطبيقية المكثفة.

تعطى الدروس بالفرنسية والانكليزية والألمانية. ولا يحوي الصف أكثر من عشرة طلاب. وفي أسبوع واحد سجلت أسماء طهاة من مطاعم فرنسية بلغ مجموع نجومها ١٢ في دليل "ميشلان" السياحي(٢) فضلا عن متدربين أتوا من سلسلة فنادق انكليزية، وطاه من مطعم ياباني في كاراكاس بفنزويلا، وصاحبة مطعم في مدينة برث الاوسترالية. وكانت هذه تتصل بمساعديها يومياً لاعطائهم آخر الارشادات.

الدقة هي مفتاح السر، وهي تكمن في صحة القياس وفي حركات اليد العفوية التي يكتسبها الطالب من ساعات التمرين المتواصلة. تشكل هذه الدقة جزءاً من إرث عائلة لونوتر منذ تسلم غاستون وأخوه مرسيل مسؤولية اعالة العائلة وهما لا يزالان قاصرين بعدما ساءت صحة والدهما. فبدأ غاستون في سنه الثانية عشرة يعمل متدرباً في محل لبيع المعجنات. وكان المتدربون آنذاك يعيشون ويعملون في غرف مظلمة تحت الأرض، فيأكلون بقايا الطعام حاصلين

(٢) Guide Michelin

على قليل من المكافآت. ومع ذلك يقدّر غاستون النظام والقواعد التي تعلّمها.

عندما بلغ غاستون الثالثة والعشرين من عمره كان يدير محلا لبيع المعجنات في بلدة بونتودمير النورماندية. وسرعان ما بات الناس يجتازون كيلومترات ليتذوقوا الحلوى المصنوعة من الزبدة الطازجة والقشدة والبيض التي أحضرها غاستون من مزرعة العائلة التي يديرها أخوه مرسيل. وكان غاستون ليقضي بقية حياته يخفق البيض لتحضير "الكرواسان" وفطائر الخوخ لو لم تحضه بعض القوى على بسط جناحيه وتحقيق أحلامه. ومن هذه القوى زوجته الباريسية كوليت التي لم تقدر أن تفهم لماذا يرغب أحدهم في العيش خارج باريس. أما القوة الأخرى فبرزت من موقع بلدة بونتودمير قرب دوفيل وغيرها من المصايف الساحلية الأنيقة. فاكتشف بعض المصطافين لونوتر، بل رأوا أن في امكانهم اصطحابه في رحلاتهم لصيد البط والحجال علّه يأتيهم بأشهى المعجنات والحلوى التي تذوقوها في حياتهم.

توسيع الاعمال. كان سيلفان فلوارا بين هؤلاء الصيادين، وهو الرئيس السابق لإذاعة "أوروبا ١". فألحّ على غاستون كي يفتح محلا في باريس. وبعدما استكشف غاستون المنطقة الباريسية وجد أن معظم الخبّازين والطهاة يحاولون خفض تكاليفهم من خلال ابدال الزبدة بالسمن واستعمال النكهات الاصطناعية والمواد الكيميائية الحافظة. فشعر بأن الساحة خالية لطاه لا يستعمل إلا أجود المقوّمات.

وعام ١٩٥٧ اشترى غاستون محلا صغيراً لبيع المعجنات في شارع أوتوي الواقع في الدائرة السادسة عشرة الأنيقة في باريس. وما لبث أن ضم المحل المجاور، ثم المحل العلوي، ووظف اثني عشر شخصاً.

ولما ذكر فلوارا لغاستون أنه يبحث عن طاه جديد يحضر مأدبة كبيرة تقيمها إذاعة "أوروبا ١" تقليدياً في ليلة الانتخابات، قال غاستون انه سيهتم بالأمر. فرد فلوارا: "إنك لمجنون! الاهتمام بهذه المأدبة يعني تحضير الطعام والشراب لألفي شخص. وأنا أشكّ في قدرتك على تدبير أمور أكثر من عشرين شخصاً." فما كان غاستون إلا أن أجابه: "إن لم يُجمع ضيوفك على نجاح المأدبة فلا تدفع لي فرنكاً واحداً."

منذ تلك المأدبة الموفقة أحرزت مؤسسة لونوتر نجاحاً متواصلا. ففتح الفرع الاول عام ١٩٦٠، والمخزن الممتاز الاول عام ١٩٧٥، وراحت مراكز الانتاج تتكاثر. وفتح لونوتر بمعاونة طاهيين شهيرين هما بول بوكوس وروجيه فرجيه مطعماً في مدينة الملاهي الشهيرة "عالم ديزني" في ولاية فلوريدا الامريكية. ولاقى هذا المطعم نجاحاً باهراً. وعام ١٩٨٥ أصبح لونوتر عضواً في مجموعة تجارية تدير سلسلة من الفنادق والمطاعم، منها "سوفيتل" و"فري تايم." وفتحت له هذه العضوية باباً على موارد مالية كبيرة وخبرات واسعة في التسويق.

مأدبة في أمريكا. مع أنه لم يعد لغاستون متسع من الوقت كي يعجن

بيديه أو يخفق البيض، فلا تزال أفكار جديدة للطهو تدور في رأسه ولا يزال يتساءل إن كانت هناك طريقة لتحسين أطباق معقدة شهيرة، كالبط المحضّر مع قلوب الخرشوف (الأرضي شوكي) المهروسة . وما إن يجد لونوتر طريقة جديدة للطهو حتى يدونها في دفتره الصغير ثم يراجعها ويعطيها لابنته سيلفي التي تحاول تطبيقها في مطبخها الخاص ليذوقها زوجها وأولادها. فإذا وافقوا عليها وأحبوها تدخلها سيلفي في كتاب تؤلفه مع والدها.

يختلف لونوتر عن سائر الطهاة الذين يبقون طرقهم سرية. فهو لا يفهم لماذا لا يجوز له أن يخبر انساناً عادياً طريقة تحضير طبق لذيذ. لكن معظم العارفين يوافق على أن غاستون يضفي نكهة لذيذة على أطباقه فيصبح تناولها خبرة ممتعة.

وغالباً ما تفيده هذه المتعة التي يوفرها طعامه. ومثال على ذلك ما حصل عندما همَّ لونوتر بالسفر الى وادي نابا في ولاية كاليفورنيا لتحضير مأدبة لأربعمئة شخص يتم خلالها ترويج نوع جديد من سيارات "رينو". وكان عليه أن يأخذ معه أربعين مستوعباً (كونتينر) محشوة بألذ المأكولات المبردة التي صنعها بوصفاته الخاصة ووصفات بوكوس. وذات صباح من شهر سبتمر (أيلول) اكتشف أن رحلته الجوية ألغيت بسبب إضراب موظفي شركة "آير فرانس". فحاول أن يتدبر شركة أخرى، واتصل بالأمريكية «TWA» فرد عليه صوت نسائي غير مبال قائلا انه يستحيل حشره مع حاوياته في أقرب رحلة الى نيويورك. ولكن ما إن عرفت الموظفة انها تخاطب غاستون لونوتر شخصياً حتى صار الجواب: "ما الأمر يا سيد لونوتر؟ انني أسكن عند المنعطف قرب متجرك ولا استطيع العيش من دون قوالب الحلوى التي تحضرها. بالطبع سيكون هناك متسع على متن الطائرة."

وكان هناك متسع فعلا. إلا أن المحرك احترق فوق المحيط الأطلسي فاضطرت الطائرة الى الهبوط في لندن وتخلف غاستون عن موعده مع الوسيط الامريكي في نيويورك ثم لاحظ، كما يفعل دائماً، أن علبة من شوكولاته "لونوتر" تفعل العجائب عندما يتباطأ المضيفون وموظفو الجمارك. وأخيراً وصل غاستون الى وادي نابا متأخراً تسع عشرة ساعة.

وكان مقرراً أن تبدأ المأدبة بعد نصف ساعة. لكن نصف ساعة لا يكفي لتحضير الخبز المخصص لحساء الكمأ الذي اشتهر به بوكوس. فقد كان الخبز ملتصقاً بعضه ببعض ويصعب فصل قشرته عن لبّه وتحميصها في الفرن. انما بفضل تنظيم لونوتر الصارم قدّم الحساء متأخراً عشرين دقيقة فقط.

وحققت المأدبة نجاحاً باهراً، فتقبل غاستون تهانيء الجميع بهدوئه المعتاد. قال إن تحضير المأدبة هو في منتهى السهولة ما دام المرء يستعمل أجود المقوّمات ويهتم بأدق التفاصيل.

روبرت فرنيك ■

ما يُعتبر اجراً عادلا رهن بما اذا كنتَ ستدفعه ام ستقبضه.

«فلكرو» في كل مكان

قطعتان متكاملتان تغنيان عن المسامير والازرار والغراء



المضيف التلفزيوني ديفيد ليترمان يقفز بالـ"فلكرو" على الجدار.

جورج دو ميسترال مهندس سويسري وجد نفسه مرة في وضع شائك. فذات يوم في الاربعينات عاد من نزهة في الغابة وهو يلعن أشواك العليق التي التصقت بسرواله وبكلبه. ونزع بعض الشوكات وفحصها تحت مجهر، فاكتشف أنها تتألف من مئات الكلابات الدقيقة التي تمسك بأي شيء يمكن ثنيه أو عقده. واستنبط دو ميسترال من ذلك طريقة لحياكة النايلون بحيث تمسك ألوف الكلابات الدقيقة في قطعة بألوف الانشوطات في قطعة أخرى. ودعا النتاج الجديد "فلكرو" (١).

(١) Velcro. والكلمة مشتقة من كلمتين فرنسيتين هما «velour» أي "مخمل" و «crochet» أي "حبكة".

واليوم تُسمع فرقعة قطع الفلكرو في كل مكان لدى نزع ثنياتها بعضها عن بعض، اذ يحلّ هذا اللاصق بديلا من الازرار والسحابات واللاقطات الاخرى. وهناك جيوش ألغت بعض الازرار في ثياب افرادها وباتت تستخدم الفلكرو في جيوب البزّات النظامية. ولكنه في اثناء القتال قد تعني فرقعة الفلكرو الموت للجندي اذا كشفت موقعه. لذلك هناك اتجاه الى تطوير نوع من الفلكرو لا يحدث صوتاً.

ان فريق الابحاث في شركة "فلكرو" الامريكية (٢) وهي فرع من الشركة التي تصنع اللاصقات الاصلية، خفض فعلا مستوى الفرقعة بنسبة ٩٥ في المئة. والتقنية الجديدة ما زالت سرية، ولكن لا بأس ان علمت أن ٦٠ في المئة من الصوت ناتج من الكلابات و٤٠ في المئة من الانشوطات.

والاستخدام العسكري للفلكرو دليل آخر على أنه نتاج ذو شأن. يقول ماني كاردينال نائب رئيس المبيعات في شركة "فلكرو" الامريكية: "يظن كثيرون خطأ أن ملصقنا ليس سوى أداة صغيرة بسيطة. ولكن هل تستخدم أداة صغيرة بسيطة في المكوك الفضائي الامريكي؟"

كان على كل مكوك اكثر من ٦٥ ألف سنتيمتر مربع من الشريط. وكانت رزم الطعام مثبتة بنيلون فلكرو. وكان رواد الفضاء أحياناً يثبتون اقدامهم على الارضية بلاصقات "أسترو – فلكرو" (٣) المصنوعة من أنشوطات "تيفلون" وكلابات "بوليستر"، وقَفَاها مصنوع من الزجاج الليفي (فيبرغلاس). وفي شركة "فلكرو" يخالجك شعور بأن برنامج الفضاء الامريكي ما هو الا وليد الابحاث التي تمت على الفلكرو.

ويستخدم الفلكرو في أماكن لا تخطر على بال. ففي الدبابات يعمل كسلسلة وعجلة مسنّنة للمساعدة في ادارة برج المِدفع الرشاش. وفي المحطات النووية تُمسك به البطانيات العازلة الملفوفة حول أنابيب الماء الساخن. وترتبك مهنة الطب في غياب الكلابات والانشوطات. (ماذا كان أهل الطب يستخدمون سابقاً لإطباق طرفي الرباط المستخدم لفحص ضغط الدم؟ المسامير؟)

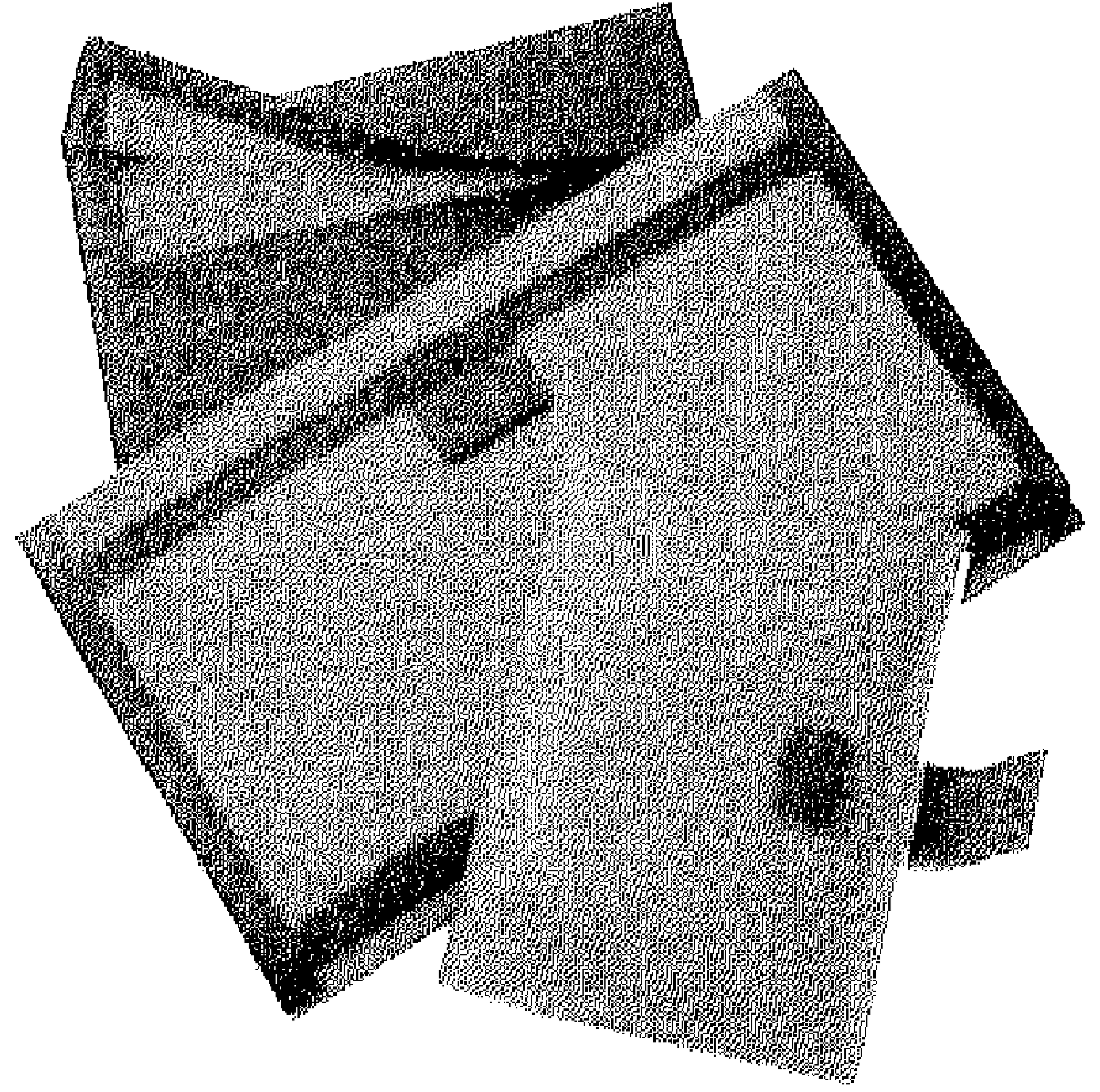
لقد استولى الفلكرو على خيال الناس. يقول ريتشارد كول نائب الرئيس المهتم بالتسويق: "نتمتع بشعور ودي هائل من المستهلكين... وإن اتهمنا الناس أحياناً بأننا نحول دون تعلّم الصغار كيف يربطون أشرطة أحذيتهم."



Photos: Courtesy Velcro USA, Inc.

(٢) Velcro USA

(٣) Astro — Velcro



ويتلقى كول أسبوعياً كومة من الاقتراحات لاستعمالات جديدة لمنتجات الشركة. ويقول: "لقد حققنا معظمها، مثل حلقات المفاتيح وحافظات الاقلام وعلاقات الصور ومحافظ النقود. ومن الاقتراحات ما يتضمن تصاميم مفصّلة، ومنها مجرد خربشة سريعة باليد."

ان فلكرو القياسي له قوة قصّ (٤) تبلغ نحو كيلوغرام في السنتيمتر المربع، أي ما يعادل قوة طن واحد في كل ١٣٠٠ سنتيمتر مربع. وللبرهان عن قوة فلكرو قدم المضيف التلفزيوني ديفيد لترمان عرضاً على شبكة «NBC» هو أشهر مجازفة تلفزيونية تخصّ منتجات فلكرو. فهو ارتدى ثوباً فضفاضاً مصنوعاً من "كلّابات" ووثب من منصة بهلوانية (ترامبولين) الى جدار مكسوّ بأنشوطات لكي يختبر امكان التصاقه بالجدار. فنجح.

لبعض منتجات فلكرو قوة قاصّة تعادل سبعة كيلوغرامات في السنتيمتر المربع. وقد استخدم مهندسو فلكرو الكلابات والانشوطات بطرق شتى في سيارة "بونتياك ٦٠٠٠" لربط القماش بالمقاعد وتثبيت السقوف والبطاريات وأنابيب الوقود والاطارات الاحتياطية. وجرى اختبار فلكرو كأداة للربط على حاجز اصطدام (٥). وبعدما اختبرت السيارة بقيادتها مسافة ٨٠ ألف كيلومتر تبين أن البرغي الذي استخدم في تركيز حاجز الاصطدام ارتخى، أما الحاجز فلم يتزحزح سوى مليمترين. فخلافاً للبراغي، تزداد الكلّابات والانشوطات قوة حين تتعرض للاهتزاز.

وتجري شركة "فلكرو" الامريكية مفاوضات مع احدى شركات السيارات الثلاث الكبيرة ("جنرال موتورز" و"كرايزلر" و"فورد") لتركيب سيارة بالكلابات والانشوطات. وهناك فريق أبحاث يقوِّم احتمال استخدام الفلكرو في سطوح أجنحة الطائرات (٦) مما يخفف مقاومة الهواء ويساعد في الطيران.

وتثبت هذه السطوح عادة في أماكنها بواسطة ١٤ ألف مسمار مبشم من التيتانيوم. والفكرة الآن هي ابدال بعض هذه المسامير بكلّابات وأنشوطات من الفلكرو.

وماذا يبقى؟

ان كل مادة قابلة لأن تُغزل خيوطاً دقيقة تمكن حياكتها كلابات وأنشوطات. اذاً لماذا لا يُنتَج فلكرو صالح للاكل؟

جوديث ستون ■

---

(٤) قوة القص (shear strength) هي القوة التي تشد قطعتين متوازيتين في جهتين متعاكستين.

(٥) Fender or wing

(٦) Wing fairings





أعشابٌ تطيِّبُ الطعَام

أضفي نكهة وشذا على أطباق مائدتك وراقبي وجوه الضيوف

النبتة العجيبة تنمو في زاوية مُشمسة من حديقتنا. أوراقها المعقوصة الخضر تعطي شراباً وشاياً وصباغاً للصوف، وتسكّن لسعات الحشرات، وتُزكي نَفَس آكلي الثوم. الطهاة يستعملون غصيناتها - نيئة أو مجلّدة أو مجففة أو في شكل هلام - لإضفاء نكهة على الطعام وتزيينه. والبستانيون يزرعونها تحت الورود لابعاد الآفات. ويزعم الريفيون أنها تزيل الكلف والنمش.

ما اسم هذه النبتة العجائبية المتعددة الاستعمالات؟

علماء النبات أطلقوا عليها اسماً لاتينياً طويلا هو "بيتروسيلينوم كريسبوم"(١) لكنّ عامة الناس يعرفون اسمها الشائع: البقدونس. وهي واحدة من الاعشاب الكثيرة التي تجعل الحياة أكثر سهولة وصحة واستهناء.

---

(١) Petroselinum crispum

Photo: Heather Angel

عرف أجدادنا قيمة الاعشاب واستخدموها أدوات مُساعدة في الطبابة والتجميل والطبخ. لكنّ انتشار العقاقير المسجلة ومستحضرات التجميل وزجاجات الصلصة سدل عليها ستار الاهمال. وولّى الى غير رجعة زمن كانت فيه دكاكين العطارين لا تخزن غير النعناع والقصعين والبقدونس والصعتر.

في أيامنا تبيع مزارع الاعشاب شتولا أو بذوراً أو أعشاباً ميبّسة. والمخازن الكبرى ومحلات الاطعمة تخزن الآن أصنافاً من الاعشاب، بلدية أو مستوردة، موضّبة على نحو جذّاب.

يقول غوردن تايلور احد مديري "جمعية الاعشاب": "تحتاج الاطعمة الجاهزة غير الحِرّيفة الى أعشاب تعطيها نكهة. والناس الذين يرتابون بالمواد المضافة لإضفاء النكهة على السلع التجارية، أخذوا يعودون الى الاعشاب، أي الى الطريقة الطبيعية لجعل الاكل مستطاباً."

إن في الاعشاب لسحراً، والدليل هو الطبخة الجيدة التي تتوسلها. فبضعة غُصينات من الطّرْخون تطيّب الفرّوج المجلّد الذي لم يذق في حياته القصيرة عشباً أو حشرات أو ديداناً.

ثمة باقة من أعشاب المؤونة تعطي اليخنة والمرق مذاقاً لذيذاً، قوامها الصعتر والبقدونس وورق الغار، ترُبط حزمة أو تُغلّف بنسيج رقيق بحيث يمكن نزعها بنظافة. وفي وسع المرء أن يزرع الاعشاب المستخدمة في الطبخ، مثل النعناع والحبق والقصعين والبقدونس والصعتر، على عتبة نافذة المطبخ المشمسة. وتزهر شجيرة غار في حوض على مقربة من مدخل البيت.

مهما تكن حديقتك صغيرة فانها تظل تتسع لمسكبة من الاعشاب. فمتر مربع حسن التخطيط يكاد يكفي لانتاج تشكيلة الاعشاب التي تحتاج اليها الاسرة في كل وقت، مثل الثوم والقصعين والشمرة والطّرخون والنعناع. ولكن تنبّهي الى النعناع فهو يمتد على حساب غيره، ولكي تمنعيه من غزو النباتات الاخرى عليك ان تعزليه بغرز ألواح اردوازية أو بلاستيكية ثخينة في الارض حول جذوره.

المكان المثالي لمسكبة عشبية هو قرب المطبخ حيث تستطيع ربة البيت قطف ما تشاء، مهما تكن حال الجوّ. ويجب أيضاً أن يكون مُعرّضاً تماماً للشمس، لأن معظم هذه الاعشاب متوسطية المنشأ، ولئن تكن تأقلمت مع مناخ أبرد فانها تفضل الدفء والتربة الحسنة التصريف.

بعض الاعشاب جميلة جداً وفي وسعك أن تنميها حتى بين أزهارك. فالشمرة ذات الاوراق البرونزية تتألّق سحراً في الأصباح الندية، والقصعين المذهّب والمرقّش جدير بمكان لائق في أي ممشى، وشتلات الصعتر القزمة والمتعددة الالوان تشكّل بساطاً أرضياً ممتازاً لإعاقة نمو الاعشاب الضارّة.

تظل النباتات المعمّرة، كإكليل الجبل والصعتر والغار، محتفظة بأوراقها في الشتاء الا اذا كان قارساً كما في البلدان الباردة. ويعيش الشرفيل (البقدونس الافرنجي) الذي تُصنع به عجة البيض ويُطيّب به الحساء، في مكان غير معرّض

للزمهرير، وهو يحتاج الى وقاء من زجاج أو نايلون في الاماكن الاكثر برودة. وكذا الامر بالنسبة الى معظم أنواع البقدونس، علماً أن النوع المنسوب الى مدينة هامبورغ، بأصوله اللحيمة التي يحلو مذاقها في الحساء، يتحمل كل شتاء مهما قسا.

تستحق بعض الاعشاب شعبية أكثر. فالحُمَّيْض الفرنسي ينمو في كل مكان، وله أوراق قابلة للمضغ ومخمِدة للعطش يُصنع منها أطيب أنواع الحساء: افرميها واطهيها من دون غلي في الماء مع بصل وإكليل جبل، وأضيفي حليباً وبيضة مخفوقة.

تغلى أزهار لسان الثور بالسكر لتزيين الكعك، أما أوراقه التي لها طعم الخيار فتضفي نكهة على المشروبات الصيفية وأنواع السَّلَطة. ولسان الثور حَوْليّ(٢) لكنه ينثر بزوره بوفرة تأميناً لغلة السنة المقبلة.

تُزرع الكزبرة ليس فقط لاوراقها بل أيضاً لبزورها. لا تجنى البزور قبل أن تنضج، فلها اذذاك رائحة كريهة، بل ثابري على تنشقها الى ان تستكمل نكهتها التابلية. جَفِّفيها على طبق، وبعد ذلك استخدميها في الصلصة والمخلل.

كثير من أعشاب الطبخ التي تنمو في العراء تموت في الشتاء، لكنَّ معظمها، لحسن الحظ، يسهل حفظه إما بالتجليد وإما بالتيبيس. اقطفيها عندما تكون يانعة ملؤها النكهة.

لتجميد الاعشاب ارزميها قطعاً صغيرة في رقاقات المنيوم أو قطع سيلوفان، ودوِّني اسمها عليها قبل أن توضبيها في كيس بلاستيكي. وإذا أردت حفظها مدة طويلة، أسقطيها دقيقة في ماء مغلي وبرِّديها بسرعة تحت المياه الجارية وجفِّفيها قبل تجليدها.

أما اذا رغبت في تيبيس هذه الاعشاب فمدِّديها خارجاً في صناديق مفتوحة أو على أطباق في خزانة مهوأة أو في أي مكان آخر دافىء ومعرض للهواء. قلبيها يومياً حتى تجفّ تماماً وتصير هشة ثم انزعي عنها اوراقها.

اخزني الاوراق في آنية محكمة السَّد وسجلي اسم العشبة وتاريخ خزنها. لا تستعملي قوارير زجاجية شفافة الا اذا كنت تنوين حفظها في مكان مظلم، لان الضوء الساطع يفسد الشذا. واذا خزنت الاعشاب قبلٍ أن تجف تماماً فانها تتعرض للتعفُن، لذا تفحصي الاوعية طوال عدة أيام لعل عفونة تظهر على الزجاج، وإذا اقتضى الامر ضعي محتواها مجدداً في مكان دافىء. فالاعشاب المجفَّفة يجب تظل سليمة وصالحة للاستعمال حتى الموسم المقبل.

ثمة طريق مختصرة تقودنا الى الاعشاب اليابسة. استخدمتُها يوم أتت زائرة معجبة بمسكبتي العشبية تطلب مني صعتراً يابساً. فقلت لها وأنا أقطف بعض الافنان: "ليس عندي الا صعتر ناضر، ولكنِ انتظري لحظة فقط."

اصطحبتها داخل المطبخ ووضعت الصعتر في ورق نشّاف داخل فرن الـ"ميكروويف" ذي الموجة الكهربائية البالغة الصغر(٣) وأدرتُ التيار. وبعد ثلاث دقائق قدمت اليها صعتراً مجففاً.

(٢) النبات الحولي موسمي يعيش سنة واحدة.

(٣) Microwave

الطرخون سيد الاعشاب التي تُجفَّف بهذه الطريقة البالغة السرعة. فملء كوب من أوراقه المجرَّدة من سويقاتها يغدو جافاً حتى التفتت في دقيقتين أو ثلاث دقائق. ويحتاج اكليل الجبل الى ست دقائق يُسحن بعدها في مطحنة بن أو يُدق في هاون البهارات. ويعالج فرن الميكروويف أوراق الشمرة الريشية التي تفقد نكهتها اذا جُففت بطرائق أخرى.

تقليدياً، يتألف مزيج الاعشاب الجافة من مقدار واحد من المردقوش وآخر من الصعتر واثنين من القصعين، ولكن يمكنك تغيير نسب هذه المقادير لتحصلي على مزيج يوفِّره لك ما في حديقتك من أعشاب.

يتعين عادة استخدام الاعشاب بكميات قليلة، ولكن في امكانك أحياناً أن تجربي مقادير كبيرة. ولقد جرّبتُ مرة وصفة للكاتبة البريطانية اليزابيث ديفيد الخبيرة بفن الطهو.

قطفتُ دزينتين من سويقات الشمرة ودزينة من غصينات الصعتر وبضع أوراق غار ووضعتها في طبق تحميص. وضعت فوقها أربع شرائح متبلة من لحم البقر، ورششت عليها ثوماً مفروماً وقليلا من الزيت، وتركتها تنتقع في المادة العشبية المنكّهة عدة ساعات. ثم وضعت الطبق على المشواة، وسفعتُ الشرائح برفق من الجانبين حتى اسمرَّت، ثم طهوتها في قدر محكمة السد ضمن فرن معتدل الحرارة. بعد أربعين دقيقة رفعت غطاء القدر وراقبت وجوه ضيوفنا عندما انبعث منه الاريج اللذيذ.

إنها لمناسبة يقدّر فيها المرء سحرَ الاعشاب.

جيفري لوسي ■



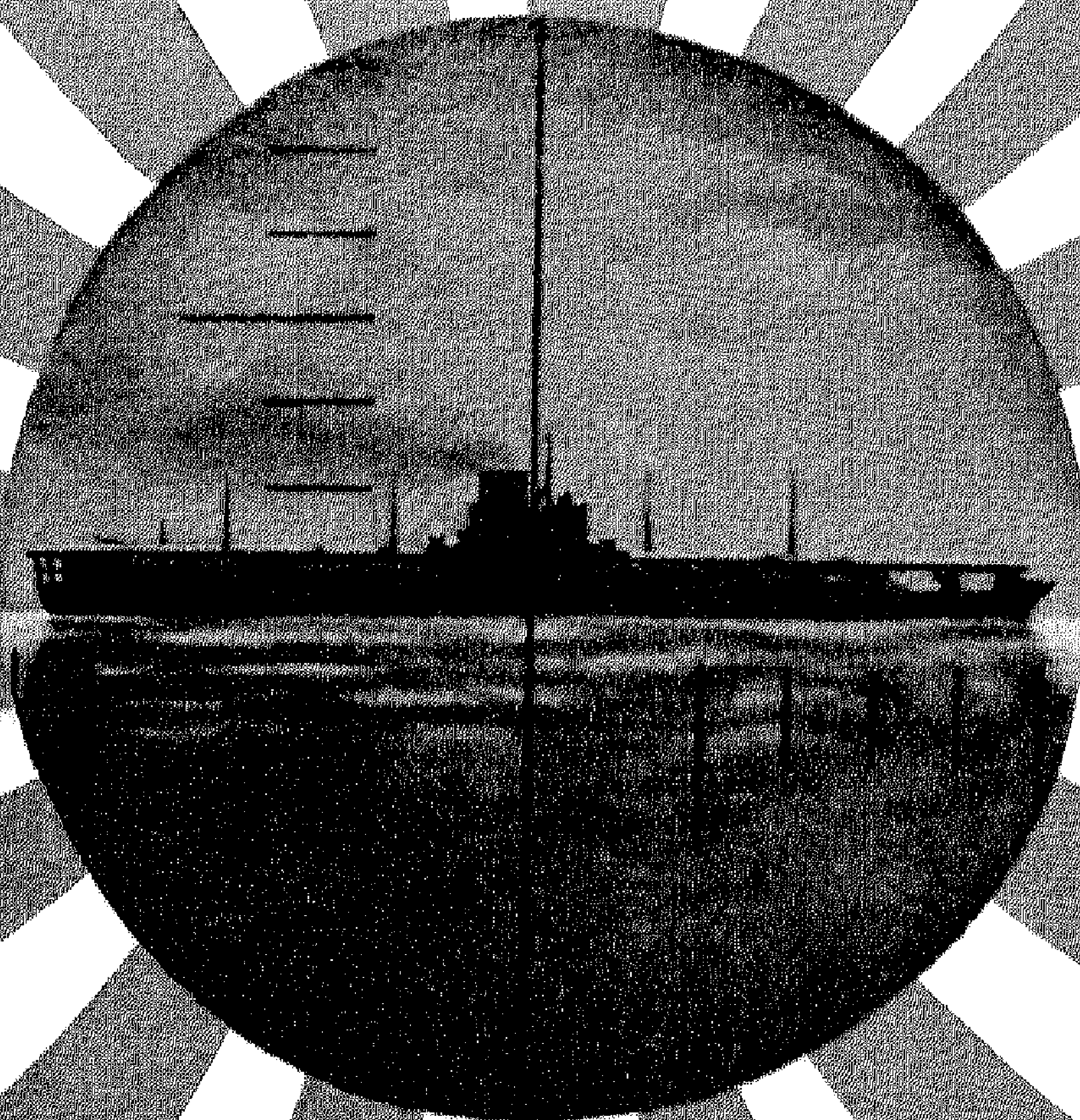
طالب رومنطيقي

كنا نتناقش ذات صباح في الشعر الرومنطيقي ونحاور الاستاذ حول الوشائج المتينة التي ربطت الشعراء الرومنطيقيين بالطبيعة. وسألنا الاستاذ أن نشارك في تقديم خبرات مماثلة من حياتنا الشخصية.

أخذ الكلام طالب تشيلي، فأخبرنا عن زيارته الاخيرة لوطنه بعد غياب سنتين. كان مشوقاً للعودة الى منزله وأسرته وشاعراً بالحنين الى الوطن فيما طائرته تجتاز جبال الانديس. وأخذته رعشة الفرح وهو يصف المشهد الذي تمتّع به من كوّة الطائرة: جبال مهيبة وأودية خضراء وشطآن متألقة. وغمر الانفعال صوته لدى استعادته المشاهد البانورامية الأخّاذة لبلده الحبيب.

وعندما انتهى ران صمت طويل على الحضور. وحينئذ تنحنح المدرس وقال مرتبكاً: "حسناً، أظن أن لا مجال بعد هذا لاروي لكم قصتي المثيرة عن السنجاب الذي شاهدته يجمع حبوب البندق هذا الصباح."

س.ع.



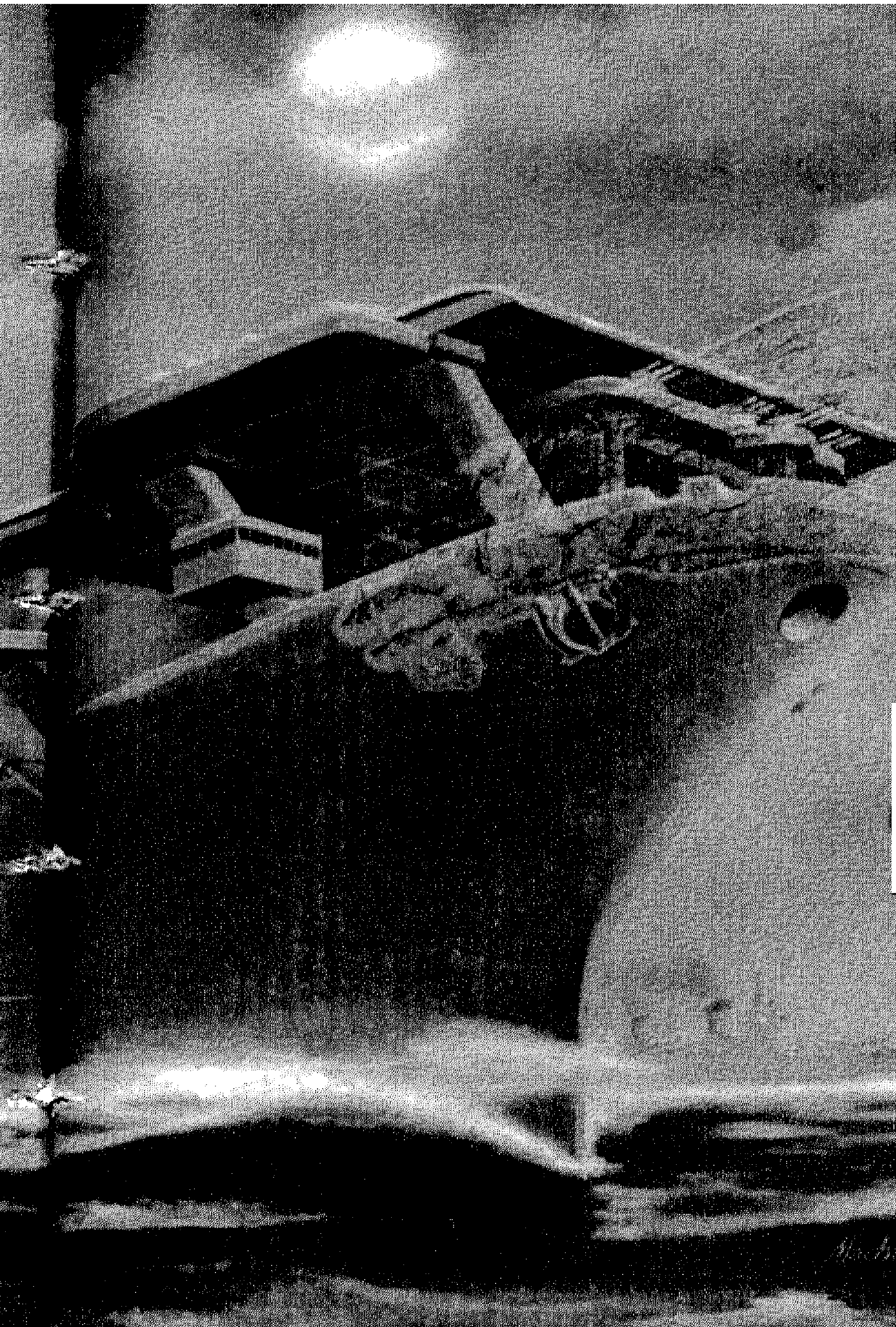
كتاب الشهر

شينانو

ملحمة بحرية من الحرب العالمية الثانية

ملخص من كتاب

بقلم الكابتن جوزف ف. انرايت ومشاركة جايمس و. ريان



كانت "شينانو" أكبر حاملة طائرات عائمة. سفينة حربية بالغة الضخامة والقوة أمل اليابانيون أن ينتزعوا بها النصر من أشداق الهزيمة ابان الحرب العالمية الثانية.

لكن غواصة أمريكية اسمها "آرشر - فيش" اكتشفتها فيما كانت تجوب مياه العدو في المحيط الهادىء.

وأعقبت ذلك مواجهة ملحمية.

وهنا، على ألسنة امريكية ويابانية شاركت في تلك المعركة، القصة الآخاذة لتلك الملحمة.





شينانو!

وردت التعليمـات المرمـوزة على الغواصة "آرشر ـ فيش" في ٢٧ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٤. وهي تنص على طوافها المياه قبالة خليج طوكيو، جنوب جزيرة هونشو وغربها.

ما استقبلت اذناي من قبل رسائل لاسلكية بمثل هذه الحفاوة. وقد ابلغنا ان القاذفات "ب ـ ٢٩" الأمريكية لن تغير على مدينة طوكيو خلال ٤٨ ساعة. واذ لم يكن من غواصة أمريكية في المنطقة سوى غواصتنا، فقد كنا مخولين ان نسرح وحدنا كيفما شئنا على مساحة مترامية الأطراف من مياه العدو. وقد اختتمت الرسالة اللاسلكية بهذه العبارة: "صيداً سميناً!"

إنه تحول محظوظ في طواف رتيب، إذ كانت مهمتنا الاساسية إنقاذ الغرقى من الطيارين الذين يسقط اليـابانيـون طائراتهم من طراز "ب ـ ٢٩". وإيقاف الغارات يعني قدرة "آرشر ـ فيش" في اليومين المقبلين على صيد فريستها، وهذه هي المهمة التي صممت من أجلها.

كل من على متن الغواصة عازم على الفوز بتنويه مشرف في المعركة، وأنا في الطليعة. إذ يندر أن تبرز فرص اخرى للغواصات البحرية. وكنت في السنة الماضية اضعت فرصة لا تعوّض لإغراق حاملة طائرات يابانية في هذه البقعة. واني لسعيدُ الحظ، إذ لاحت لي فرصة أخرى.

وكنت محبطاً في الآونة الاخيرة، إذ فقدت زوجتي وإبني ذا السبعة الأعوام. كما توفيت أمي في شهر اغسطس (آب) من ذلك العام في داكوتا الشمالية، إثر نزف دماغي مباغت. وقد دأبت على التفكّر في أدائي الهزيل حين كنت رباناً للغـواصة الأمـريكية "ديس" العـام الماضي. وكان والداي سافرا في القطار لحضور الإحتفال بإنزال "ديس" إلى المياه. ولم أتمالك نفسي عن فكرة ساورتني: إن أمي قضت قبل أن تفتخر بي.

بدأ يومنا الأول عادياً بعد التعليمات الجديدة. أبحرنا ٩٣ كيلومتراً شرقاً وراقبنا مداخل خليج طوكيو بمنظار "بريسكوب" (١) فيما جبل فوجي يلوح في الافق. ولم نسجل أي اتصالات.

رادار الغواصة متوقف عن العمل. وقد أكد لي الملازم جوزف بوزا، وهو ضابط الرادار، أن العطل طفيف وسيفرغ من اصلاحه قبيل الغسق. أما الآن، وقد غطست الشمس غرباً فبدأت همومي تعتمل في ذهني. ينبغي أن نطفو على السطح لشحن البطاريات، لكن تنفيذ ذلك في الظلام من دون رادار يعني أن نكشف أنفسنا للعدو ونحن معصوبو الأعين.

ومع ذلك أصدرتُ الأوامر بالعوم في الخامسة والثلث. ولفتنا العتمة بسرعة فيما قسم المراقبة يتبصّر الافق. وإزاء الحاحي الذي لم ينقطع على الرادار، كانت اجابات الملازم بوزا هي ذاتها: "سيجهز عما قريب." لم يقنعني كلامه، فعزمت على البقاء على منصة القيادة مترصداً.

في السابعة والنصف أعاد الفنيون تجميع الرادار، ولكن لزمتهم ساعة إضافية لاختباره. في غضون ذلك حسبت أن ثمة اشارات أرسلت منبئة باكتشاف موقعنا. وحاولت أن أهدئ طبعي الايرلندي الحار في الرذاذ القارس المتطاير وهواء الليل المنعش.

في الثامنة والنصف مساء ناداني بوزا من خلال الكوة المفتوحة: "يا كابتن، لقد أنهينا الاصلاحات."

سلمت بصحة كلامه وفي لحظات، بعد تركيب الرادار، أبصر حرس الغواصة جزيرة اينامبا خارج خليج طوكيو. وقد أبلغ مضمون الرؤية الى بوزا الذي رد أن الرادار لم يتبينها.

زاد حنقي إذ أخبرني بوزا أنه سجل اتصالاً عند الدرجة ٣٠. أخبرته بفظاظة أن الجزيرة تقع على زاوية من ٦٠ درجة وأن محمل الرادار في وضع خطأ، على ما يبدو. وهممت غاضباً: "أصلحه!"

قال عبر الكوة: "حاضر، حاضر يا سيدي." وما لبث بوزا أن ناداني: "يا كابتن، جزيرتك تتحرك."

وفي ثوان هتف أحد المترصدين: "تماس! شكل أسود يبعد نقطتين من ميمنة الغواصة."

ثبتّ منظاري، مزهواً، على نتوء طويل منخفض في الأفق، وأصدرت أمري: "تقفّوا الأثر!" آملاً أن أحصل على رصد تقريبي لمسار الهدف. وخلال ثماني دقائق حددنا سرعة الهدف بـ٣٧ كيلومتراً في الساعة، متجهاً جنوباً غرباً، لكنه متعرج في سيره. لو أمكن "آرشر ـ فيش" استكشاف خط السير والإبحار في موازاته، بصرف النظر عن التعرج، لتمكنا من الانسلال إلى الأمام وسبق الهدف واتخاذ وضع إطلاق النار.

ها قد بدأنا نمسك بطرف الخيط. التفتّ إلى الملازم جون آندروز، ضابط متن الغواصة وأصدرت اليه اوامري: "جون، أبحر بالسرعة القصوى،" أي بزيادة سرعتنا لتبلغ نحو ٣٣ كيلومتراً في الساعة.

وفيما "آرشر ـ فيش" بمقدمها البديع

(١) البريسكوب (periscope) أو منظار الأفق يستخدم في الغواصات والمتاريس.

تشق العباب بيسر، شعرت بذهني مدوماً كأنه في اعصار. ما العمل؟ فكرت في الغــوص إلى عمـق يبلغــه منظــار البريسكوب، لأننا في وضع هجومي من الدرجة الأولى، في حال استمرار الهدف في مسراه الحالي.

ذهني يمور منقباً، مقلباً أوجه الفكر، نابذاً الاحتمالات. ثمة أمور كثيرة لا نزال نجهلها.

السفينة اللغز

حاملة الطائرات اليابانية العظمى "شينانو" تبحر بين الجزر البعيدة عن الشاطىء، والقمر منير يوشك أن يكون بدراً يتربع في السماء على ارتفاع ٣٥ درجة. انها ليلة مثالية لرحلة الـ٩٠٠ كيلومتر التي توشك الحاملة أن تنطلق فيها بسرية مطلقة. بدت "شينانو" والمدمرات الثلاث "هاماكاز" و"يوكيكاز" و"ايسوكاز" حولها كحوت أملس يزيد سرعته كاشحاً ثلاثة دلافين متقافزة.

على منصة القيادة في "شينانو" يقف القبطان توشيبو آهبي، أحد الخريجين الـلامعين في الأكاديميــة اليابــانية البحرية، وهو ضابط مقاتل تزينه أوسمة كثيرة.

لكن الاحتياطات صارمة. لم تظهر "شينانو" ومواكباتها أي أنوار ملاحية. وفي أرجاء الحاملة تفتيش مستمر للتأكد من انعدام أي إضاءة داخلية ترى من بعيد. والمثول أمام المحكمة العسكرية مصير كل من لا يغطي ضوءاً على الوجه الصحيح.

وكانت الاجراءات الأمنية المشددة والسرية التامة أحاطت "شينانو" منذ البداية. إذ أن اليابانيين، إثر قصفهم القاعدة البحرية الأمريكية "بيرل هاربر" في ٧ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٤١، أعادوا النظر في برنامج بناء سفنهم. ولدى ادراكهم تفوقهم البارز في البوارج الحربية أوعزوا بإبطاء بناء الباخرة "شينانو"، احدى المدرّعات التي لا تقهر من مرتبة "ياماتو". وكان العمل فرغ من بناء شقيقتيها "ياماتو" و"موساشي".

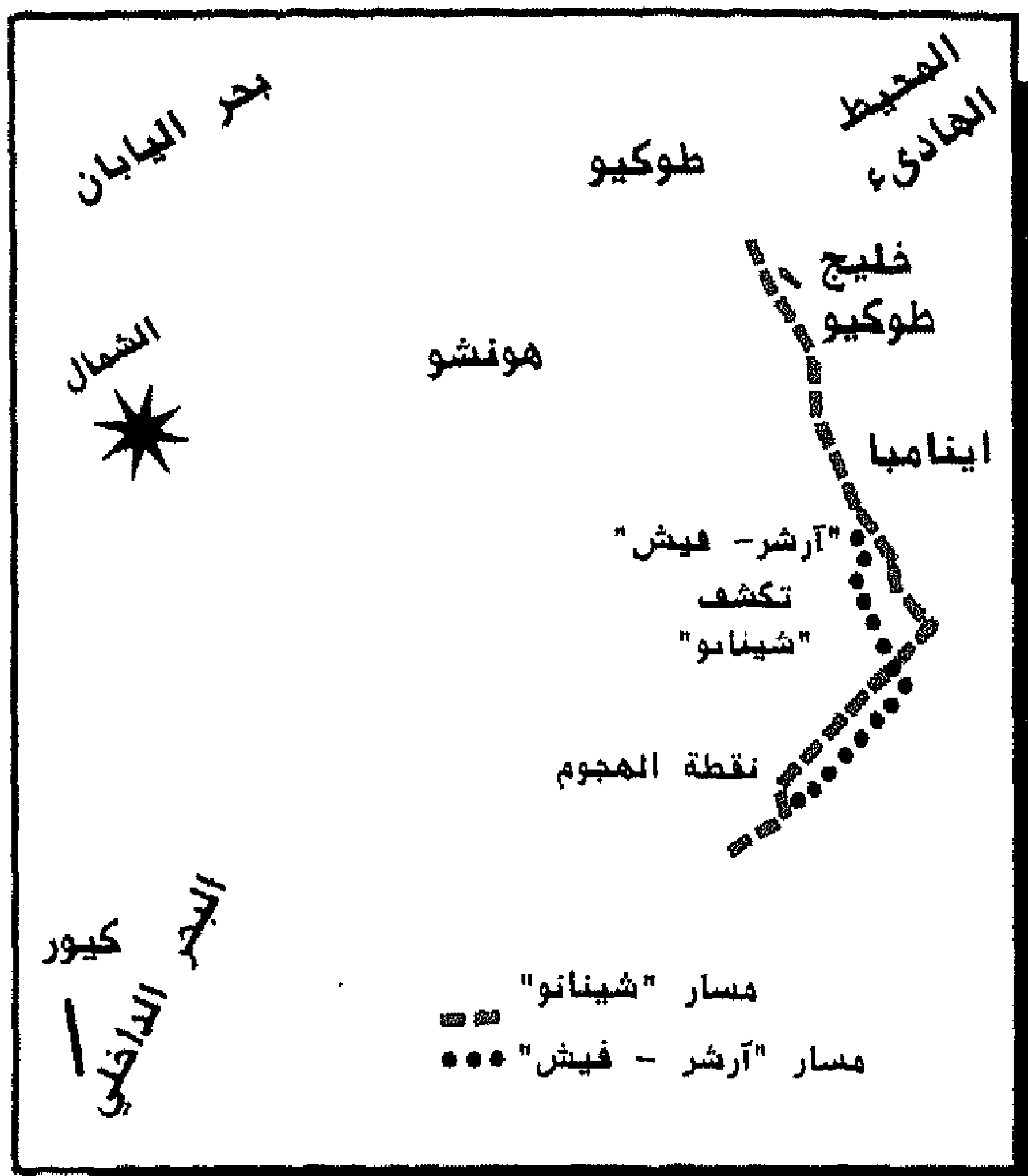
ثم انقلب التباطؤ فجأة اسراعاً بعد ستة أشهر من جراء هزيمة اليابان في معركة ميداوي في يونيو (حزيران) ١٩٤٢. وقد ألحّ المخططون الحربيون على تحويل "شينانو" فوراً من بارجة كبيرة إلى حاملة طائرات عملاقة.

حُجز ألوف البنائين العاملين عليها في ساحة المجمع تحت تهديد بالحبس أو الاعدام إذا ما تلفظ أحدهم بحرف عن وجودها.

ركزت خطط التحويل على تصفيح الباخرة بالدروع. وقد زُودت نتوءات كبيرة تحت خط الماء للتخفيف من الأضرار عبر تفجير صواريخ الطوربيد قبل بلوغها الهيكل الأساسي.

كما كانت "شينانو" حسنة التجهيز لتحمل هبوب العواصف. وبلغ وزن الفولاذ المركب على سطوحها الحاملة للطائرات، اضافة إلى مواد وقاية أخرى، ١٧٧٠٠ طن، ووزن الماء المنزاح بنزولها ٧١٨٩٠ طناً. وفي العام ١٩٤٤ كانت "شينانو" اكبر حاملة طائرات على وجه الأرض.

في نهاية العام ١٩٤٤ تدهورت حال اليابان في الحرب. وحين ذاعت النتائج



وقد نجحت الجهود في ابقاء بناء "شينانو" طيّ الكتمان، إذ لم يرد ذكرها في "دليل التعرف"، الصادر عن البحرية الامريكية. وكانت أخواتها الثلاث معروفة منذ عهد طويل، لكن قوات الحلفاء كانت تجهل كل شيء عن الحاملة العملاقة، حتى عند إبحارها من خليج طوكيو ليلة ٢٨ نوفمبر (تشرين الثاني).

اما الآن وقد بلغت "شينانو" البحر المنسرح فقد نبه ضباط المراقبة على متنها المراقبين الخمسة والعشرين إلى البقاء يقظين. فقد تكون الغواصات محومة حولها مترصدة تنتظر مهاجمتها من مكمن وهي في

الفاجعة لمعركة خليج ليت في أواخر اكتوبر (تشرين الأول) مارس القادة الحربيون اليابانيون ضغطاً لاتمام "شينانو". فعمل البناؤون جاهدين في اعداد الحاملة لانزالها الى البحر.

وضعت "شينانو" رسميا في الخدمة في ١٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٤. وزينت منصة القيادة فيها لوحة مؤطرة للأمبراطور هيروهيتو.

وقرّ القرار آنذاك على نقل "شينانو" حالاً إلى مسافة ٩٠٠ كيلومتر من منطقة طوكيو - يوكوسوكا حيث كان من المتوقع شن غارات جوية واسعة النطاق، إلى مناطق أكثر أمناً في كيور في البحر الداخلي. هناك يتم تجهيزها وتزود العدد اللازم من الطائرات المقاتلة والقاذفة القنابل.

رحلتها البحرية البكر.

هجر القبطان آهبي مقعده في ميمنة المنصة فوق سطح الطيران. وظل واقفاً على قدميه يتلقى التقارير الواردة.

"سيدي، لقد اكتشفنا راداراً معادياً. إن الموجة وسرعة الذبذبة تشيران إلى ان مصدرهما غواصة أمريكية. لا اتجاه محدداً."

أطبق القبطان آهبي فكيه: "ما الساعة؟"

- التاسعة عشرة والربع يا سيدي.

همهم القبطان آهبي كأنه يحدث نفسه: "هل بلغ حمق الامريكيين درجة ظنوا معها أن في وسعهم استعمال رادارهم - وإن لفترات وجيزة - من دون أن نأخذ علماً بوجودهم؟"

بعد لحظات اتجه القبطان آهبي إلى

الملاح ناكامورا قائلاً: "يقيني أن ثمة سرب غواصات معادياً ينتشر حول شينانو. لا ريب في أن الغواصة التي اكتشفنا رادارها تنوي أن تشكل طعماً يغرّر بمدمراتنا الواقية لشينانو ويبعدها."

إقتفاء ومطاردة

جلستُ على منصة "آرشر - فيش" مستغرقاً في التفكير. وراقبت من خلال منظاري النقطة السوداء في الأفق تتشكل ببطء. ما هي؟ لكم وددت أن تكون بارجة كبيرة!

تابعنا جمع المعلومات عن الهدف الغامض. لقد عرفنا إلى الآن مسراه العام وسرعته، لكننا في حاجة إلى معطيات أخرى قبلَ أن نفكر في هجوم ما.

راقبت والملازم سيغموند (بوب) بوبزنسكي الشكل يلوح طويلاً منخفضاً في الأفق. لا منصة ولا صوار يمكن تبينها بعدُ، على رغم البدر المنير.

أخيراً اجترأت على البوح بحدسي: "أظنها ناقلة نفط يا بوب. هذا ما يدل عليه الشكل."

"اوافقك الرأي يا كابتن."

نادانا بوزا من برج المراقبة وأخبرنا أن الفريق العامل على جهاز الرادار التقط إشارة لامعة صغيرة إلى يسار الهدف. وأضاف: "انها تجري بسرعة. لعلها حامية مواكبة."

اتفقت وبوب على أن الرؤية في الليل واضحة، لذا ينبغي أن نفكر في هجوم من سطح الماء.

قلت مفصحاً عن خططي: "أولاً، سننسحب من مسارنا متجهين غرباً، مما سيضع الهدف مسامتاً للقمر. وهذه الغيوم الداكنة فوق اليابسة إلى الشمال الغربي من شأنها أن تحجب غواصتنا عن نقاط مراقبة العدو."

في هذه الاثناء كان ضابط رادارنا يمشط دائرته في نطاق ٣٦٠ درجة كل بضع دقائق، لتأمين عدم تسلل أي عدو بقصد هجوم مفاجىء.

أوجست خيفة من السماح باستعمال الرادار بحرّية اذ نكون على مقربة من العدو. وكنت مدركاً أن ذلك مخالف لمبادىء البحرية. لكني مضطر إلى معرفة الشيء المبحر هناك.

حسبت أن السفن اليابانية اكتشفت الاشارات التي أطلقها رادارنا. أغلب الظن أن اليابانيين على معرفة بوجود غواصات معادية في هذه البقعة قبالة هونشو. انها منطقة شهيرة سهلة الاكتشاف وعرضة لهجوم الغواصات الأمريكية منذ باكورة حرب المحيط الهادىء.

في العاشرة الا ثلثاً مساء نادى البحار اروين ستيوارت المعروف بحدة بصره ليلاً، من نقطة مراقبته على المنصة: "يا ملازم آندروز، تلك السفينة تشبه حاملة طائرات."

تدخّل بوبزنسكي مقاطعاً: "يا كابتن، انها حاملة طائرات حقاً، لا ريب في ذلك، لا ريب."

ثبتّ منظاري على الهدف. يا سعدنا! بدلاً من ناقلة نفط ها نحن على موعد مع بارجة كبيرة تدنو منا. كنت منشرح الصدر. ينبغي أن نوقع بهذه العدوة.



أفراد طاقمنا في حاجة إلى انتصار. وأنا أهفو إليه أيضاً. ذكرياتي تراودني عن أيام أمضيتها قبطاناً للسفينة "ديس" الأمريكية قبل عام. لقد أضعت فرصة كبرى آنذاك إذ اتبعت التعليمات الحربية الموحدة بحذافيرها عوض الاصغاء إلى حدسي. كنت قبلاً في هذه المنطقة قبالة خليج طوكيو، حين أرسل قائد أسطول الغواصات في المحيط الهادىء ايعازاً سرياً إلى "ديس" مبيناً موقع حاملة طائرات يابانية ضخمة ومسارها وسرعتها. كانت في حوزتنا معلومات

وافية عن العدو، أو هذا ما غلب على ظني.

وإذ اتجهنا صوب الموقع المسمّى، أبلغني الملاح أن التيار "كوروشيو" يجري بنصف سرعته المعتادة. وبسبب هذا التغير الاستثنائي، حسب قوله، ستظهر الحاملة على مسافة ١٧ كيلومتراً من الموقع الذي حددته أجهزة الاستخبار. إذاً ينبغي أن نجري تعديلات طبقاً لذلك.

شعرت في سريرتي بأن الملاح محق. ولكن هبه أخطأ؟ لم أشأ أن أكون الرجل الذي سيخبر قائد الاسطول بأننا لم نلتزم تعليماته. ودفاعاً عن رتبتي في البحرية، توجهت إلى الموضع المحدد لي. لكن الحاملة ظهرت على بعد ١٧ كيلومتراً تماماً، بعيداً عن مرمى مدافعنا.

وإني عانيت من ذلك القرار أشد المعاناة. أما الآن، وبصفتي قبطان الغواصة "آرشر ـ فيش"، فقد أدركت أن التفكير الجامد ليس السبيل إلى النجاح في سلاح الغواصات. وعرفت حق المعرفة أن الأوسمة والميداليات في المعارك ينالها الجسورون، أولئك القادرون على اتخاذ قرارات فورية حازمة.

وإذ عاينت وبوب الشكل الضخم البارز في الأفق، شاهدنا ثلاث مدمرات تواكبه. وكلانا يعرف أن الشروع في هجوم على بارجة حربية تحميها عدة سفن هو التهور في ذاته.

فرصتنا الوحيدة في إصابة الحاملة هي في مواصلة الابحار بالسرعة القصوى في مسار موازٍ للعدو، داعين أن يبدّل الهدف مسراه المتعرج في إتجاهنا.

طقطقت حبات مسبحتي القابعة في جيب سروالي الكاكي المبلل المتغضن، وهي هدية أمي إليّ أيام صباي، راجياً أن يتم التحول المطلوب.

لقد مرت ساعة بحالها على تحديدنا موقع حاملة الطائرات، وشرعنا في الغوص ببطء خلفها. المحركات الأربعة في غواصتنا تزودنا الطاقة القصوى لبلوغ سرعة ٣٥ كيلومتراً في الساعة. بدا أن النصر يتعمد أن يفوتنا. فمن المنصة التي أجلس عليها لمحت الحاملة منسحبة. استمطرت عليها اللعنات.

أمسكت بسياج المنصة فيما غواصتنا البالغ طولها ٩٥ متراً تندفع إلى الأمام محاولة أن تبقى على مسافة ضاربة. أخذت أفكر في قبطان الحاملة. من تراه يكون؟ وكنا استعملنا رادارنا مراراً خلال ساعات. لا شك في أنه مدرك حضور "آرشر ـ فيش." إن نقاط المراقبة في أقرب مدمرة قادرة على اكتشافنا. لم لا يبالي بنا؟

أيقظني من سرحاني صوت بحارنا المراقب الحاد البصر سيتوارت: "يا كابتن، احسب أن المدمرة الكبرى في سبيلها إلينا." ليس في ذلك شك. فنحن نرى الحاملة والسفن المواكبة كألعاب بالغة الصغر في ضوء القمر. اليابانيون يتخذون وضع الهجوم!

ومن دون حركة واحدة تضيع الوقت أصدرت أمري: "نقاط المراقبة في الأسفل: استعدوا للهجوم!"

هيكل "شينانو" الفولاذي يجوب المحيط الهادىء في سكون. حركتها

انقذاف وئيد مهدهد من مقدم السفينة إلى مؤخرها. وعلى منصة القيادة ينهمك الملاح ناكامورا ومساعده انساين تاداشي ياسودا في رسم خريطة تبدل مسار السفينة. ياسودا ما زال حديث العهد على تحمل مسؤوليات كهذه. انه خريج جديد في الاكاديمية البحرية، وهو مقرّب من القبطان آهبي، وقد وُهب ذهناً متقداً وتمالك نفس عجيباً.

ناكامورا أيضاً ينفذ مهماته رابط الجأش. لكنه مثل كثيرين من أفراد طاقم السفينة، يخشى عدم وجود مجاز آمن. وهو على علم بأن القبطان آهبي قلق إذ طلب ارجاء موعد الابحار.

وورد في الالتماس الذي رفعه القبطان آهبي إلى القيادة العليا للبحرية الامبراطورية أن "شينانو"، بسبب التعجيل في إنجاز بنائها، تنقصها قطع لمراجلها. إذ ان ثمانية مراجل فقط من أصل أثني عشر مرجلاً عاملة، مما يعني خفض السرعة القصوى من ٥٠ كيلومتراً إلى ٣٧ في الساعة. كما أن آهبي ذكر أن غالبية الحجيرات المانعة للهواء في الحاملة، وعددها ١١٤٧، لم تُفحص، وأن عدداً من بحارته لم يتلقَّ تدريباً كافياً.

لكن ما يدعو إلى الاستغراب أن طلب آهبي رفض فوراً. ومنذ ذلك الحين تطيّر أفراد طاقم السفينة وتوجسوا شراً.

بعد ذلك وردت على القبطان آهبي أنباء مقلقة. إذ أن الغواصة اليابانية "إ - ٣٦٥" أنجزت دورية دامت ٥٠ يوماً في المنطقة وأبلغت عن رؤية أفواج من الغواصات الامريكية، بينها جوّابات في أسراب من ست أو سبع.

كما أن مركز القيادة أبلغه أن جميع أسراب الطائرات المتوافرة منهمكة في مهمات قتالية، أي لا غطاء جوياً لأغلى الحاملات اليابانية!

رأى آهبي أن سلوك مجاز مجرد من الغطاء الجوي صباحاً هو عمل جنوني. فطائرات الاستطلاع الأمريكية قد تعثر على "شينانو" فترسل اشارات لاسلكية إلى أسراب طائرات الطوربيد لمهاجمتها والقضاء عليها.

ولتفادي ذلك قرر آهبي أن تندفع "شينانو" جنوباً عند الغسق نحو مياه عميقة الغور. إن العبور ليلاً يستغرق وقتاً أطول ويؤدي إلى نقطة أبعد في البحر.

لكن القبطان آهبي يركن إلى سرعة "شينانو" الفائقة لسبق الغواصات العدوة. ونهى آهبي ايضاً عن استعمال رادار "شينانو" أو أي رادار آخر في السفن المواكبة لها، اجتناباً لاكتشافها. وعوض ذلك تتصل السفن في ما بينها بأنوار الاشارة. كما أمر بأن تظل السفن المواكبة متيقظة وقريبة جداً من "شينانو"، وألا تتحول عن مراكزها استجابة لأي مكيدة.

اعتدل ناكامورا في وقفته أمام خرائطه وقد نال منه التعب قليلا، لكنه أحس بالغبطة إذ عرف أن "شينانو" ستكون في غضون ساعات مبحرة بأمان في مضائق البحر الداخلي.

في تمام الحادية عشرة إلا ربعاً ليلاً أزّ الجرس الطنان في هاتف الاتصالات ناقلاً رسالة من منصة المراقبة. فانكمش إنساين ياسودا متخوفاً.

"أنا ناظر نقاط الرصد يا سيدي. لقد

شاهدنا جسماً مجهول الهوية إلى ميمنتنا."

هرع القبطان آهبي إلى مقدم المنصة وقال: "أجل، ها هو، على بعد نحو ١٥ أو ١٦ كيلومتراً أتراه؟"

أجاب ناكامورا: "يبدو كسفينة صغيرة يا سيدي."

قال إنساين ياسودا متحزرا: "لعلها غواصة يا سيدي. فخطوطها تشبه خطوط الغواصات."

سأل ضابط الاتصالات: "أنطلق النار يا سيدي؟"

أجاب القبطان آهبي: "لا تطلقوا شيئاً! وإلا تأكد لهم أننا بارجة كبيرة. لعلهم لم يشاهدونا."

برج المراقبة يغلفه صمت تقطعه بعد دقائق صرخة من أحد المراقبين:

"يا كابتن آهبي! المدمرة ايسوكازا! لقد تركت موقعها، وهي تندفع بأقصى سرعة صوب السفينة المجهولة."

المناظير كلها تنفتل في اتجاه مقدم الحاملة. "ايسوكاز" ليست في وضعها الصحيح أمام "شينانو" على شاشات الرادار. انها تمخر العباب وترسل أثراً على سطح الماء مطبقة على الجسم الدخيل. أقل من ثمانية كيلومترات تفصل بينهما. مدافع "ايسوكاز" من عيار ١٣ سنتيمتراً يمكنها أن تقصف على بعد ضعفي تلك المسافة.

النوارى

أمرت بإخلاء المنصة ونقاط المراقبة في الأسفل، باستثناء ضابط متن الغواصة، في حال اطلاق المدمرة المندفعة النار نحونا. إذ كلما قل عددنا في القسم الأعلى انخفض عدد الاصابات.

ركزت منظاري على المدمرة. يا لسرعتها! سألت: "ما المسافة يا جون؟"

- أقل من تسعة كيلومترات.

أدركت أنٍ لدي لحظات لأتصرف. عنّ لي الغوص أولاً. ولكن إذا أصدرت الأمر بالغطس فسيدرك قبطان المدمرة هويتنا. لعله في شك من أمره الآن، ظاناً أننا قارب صيد. ولذا، على الارجح، لم يطلق النار. وإذا ما غطسنا فإننا يقيناً نخسر كل فرصة لأن نغدو في وضع يمكّننا من مهاجمة الحاملة، وذلك بسبب سرعتنا المخفوضة.

قررت أن أبقى على سطح الماء، وألا نغطس إلا إذا ما بادرتنا المدمرة باطلاق النار. وفي حال حدوث ذلك تستدير "آرشر - فيش" ٩٠ درجة مبتعدة، وتطلق ثلاثة صواريخ طوربيد أمامية على السفينة المقتربة، ثم نغطس في المياه راجين أن نصيبها مباشرة. فثمة غواصات أمريكية أخرى سجلت اصابات بهذه الطريقة. ولا جدوى من المطاردة على سطح الماء، إذ إن المدمرة ستدركنا تواً فتفجّرنا مدافعها في لحظات وتتناثر غواصتنا قطعاً.

حافظنا إذاً على مسارنا. وتشبثت والملازم آندروز بقضبان المنصة فيما "آرشر - فيش" تجري في خط مواز لمسار الحاملة. اندفعت المدمرة أقرب فأقرب كأنها تنوي دكّنا. وراقبناها وهي تدنو بأقصى سرعتها كي تسحقنا وترسلنا إلى قاع المحيط. وكنت متنبها إلى وجوه تحدث من خلال الكوة المفتوحة.

الرجال يصغون إلى أوامري كي يعملوا بمقتضاها فوراً. الأمر بالغطس ينفذه الملازم كازنز في غرفة التحكم. ومن ثم يهبط ضابط متن الغواصة بسرعة إلى برج المراقبة. وأتبعهما أنا بعد ضمان إقفال الكوة فيما تباشر "آرشر ـ فيش" الغوص إلى الملاذ في المياه العميقة. كنا على قابي قوس من تلك اللحظة. المدمرة المعادية قد تجري فوقنا في دقائق. لِمَ لمْ تطلق النار؟

صرخت: "استعد يا جون. استعد للهبوط إذا ما استمرت في الاقتراب. أسرع!"

كنت مستطاراً فرحاً كصبي في قطار سريع بمدينة الملاهي. انه زمن محفور في ذاكرتي لا يمحي. أنا وجون وحدنا على المنصة نتمسك بالقضبان الزلقة بفعل رشاش الماء ونحافظ على مواطىء أقدامنا. "آرشر ـ فيش" تجري بسرعتها القصوى عبر المياه السوداء بلون الحبر مخططة بنور القمر. والسفينة المعادية تجهد لتجعلنا في قبضتها.

فجأة، على مسافة بعيدة، لمع ضوء أحمر على رأس شراع الحاملة بارقاً عبر البحر. ما الداعي إلى ذلك؟ تساءلت متعجباً. لم أر قط بارجة حربية ترسل أنواراً في الليل. انطفأ النور ثم أضاء عشر ثوان لينطفىء ثانية.

صحت في جون: "أظنه يأمر المدمرة باطلاق النار."

وقبعت منتظراً الومضات الرهيبة والرذاذ، ولكن ما من شيء.

صرخ آندروز: "انها تستدير يا كابتن. انها تستدير مبتعدة عنا."

لم أصدق ما سمعت. المدمرة تبتعد من دون طلقة واحدة من مدافعها.

"لا أفهم ما يجري يا كابتن. لا شك في أنها سفن يابانية. نحن نعلم أنها غادرت خليج طوكيو. لعلهم رأوا أننا لا نستأهل الضرب."

قلت: "هذا أغرب ما رأته عيناي."

أصغيت إلى الرجال وهم يثرثرون بارتياح في الاسفل. ما العمل الآن؟

جاء تقرير من الكوة المفتوحة: "كابتن، الحاملة تغير مسارها. المدى يزداد. لقد استدارت ٣٠ درجة إلى اليسار. الاتجاه الآن ١٨٠ درجة."

قلت: "أوعز إلى المراقبين بأن يعودوا إلى مراكزهم." وإذ حملقت في الهدف من فسحة المحيط، كان شكل ظله متبدلاً بسبب المسار الجديد. كان يصغر وينأى إلى الأفق الجنوبي. وتلاشت المدمرات في أضواء الليل.

ارتقى بوبزنسكي أعلى الغواصة استجابة لأوامري. ولبثنا ساكنين لهنيهات محدقين إلى السفن وهي تبعد عنا أكثر فأكثر. لا سبيل إلى اللحاق بالحاملة في مسارها الجديد، فهي تجري بسرعة فائقة.

أملنا الوحيد أن يكون مسراها الجنوبي الغربي، البالغ نحو ٢١٠ درجات والذي سلكته منذ رأيناها، هو المسار العام، وأن يكون الهدف من تبدّل اتجاهها الابتعاد عنا.

وقر رأينا على أننا إذا ما بقينا مقتفين المسار العام للحاملة، مفترضين أنها ستسلكه في نهاية المطاف، لاستطعنا اعتراضها.

نظرت من الكوة الامامية إلى البحر الفسيح. الحاملة تكاد لا ترى حتى عبر المنظار. لقد غابت عن الانظار وابتلعتها الظلمة بسرعة. تساءلت خائباً عما إذا كنت سأراها مرة أخرى.

"شينانو" التي لا تقهر

ثبت القبطان آهبي نظره على المدمرة "ايسوكاز" الهاربة مزبداً إذ وقف على منصة المراقبة في "شينانو". لقد شدد على الحذر وجاءت تعليماته محددة: لا يقعنّ أحد في شرك أمريكي فيندفع في اشتباك بمفرده. كيف تجرأ قبطان المدمرة على عصيان الأوامر تاركاً "شينانو" من دون حماية؟

سأل الملاح ناكامورا والالحاح ملء صوته: "أنشير اليها بأن ترجع إلى موقعها يا سيدي؟"

أجابه القبطان آهبي: "انتظر لحظة. هل تستدير؟" كان القبطان وضباط الاركان والمراقبون يحدقون إلى "ايسوكاز" من خلال مناظيرهم. لم ينبس أحد بكلمة.

سأل ناكامورا: "أتظنها السفينة نفسها التي كانت ترسل اشارات رادار يا سيدي؟"

- من دون شك. لقد بقيت عائمة على رغم أن قبطانها يعرف تماماً أنها مرئية لنا. انها طعم بلا ريب. وهي تسعى إلى استدراج حامياتنا لمهاجمتها فيما تقترب الغواصات الأخرى إلى شينانو من تحت الماء.

"يبدو أنها نجحت في مسعاها يا سيدي."

لم يحر القبطان آهبي جواباً، وأبقى منظاره مثبتاً على "ايسوكاز" وهدفها بالتناوب. وقد تساءل لماذا لم تعمد المدمرة، المتحرقة الى مطاردة السفينة المعادية، إلى اطلاق النار. واستنتج أن "ايسوكاز" عازمة على صدم الغواصة.

التفت القبطان آهبي إلى الملاح قائلاً: "يا ناكامورا، أشر إلى ايسوكاز بأن تعود حالاً إلى مركزها الصحيح."

تلقى إنساين ياسودا أوامر القائد ونقلها. وفي الأعلى ومض نور اشارة أحمر. وعلى بعد ١١ كيلومتراً لبى مدير دفّة "ايسوكاز" الأمر بادارة الدفة إلى أقصى اليسار.

راقب القبطان آهبي عابساً انكفاء "ايسوكاز" ودنوها من المسار الذي يعيدها إلى موضعها السابق عند ميمنة "شينانو"، ثم خاطب ناكامورا ثانية: "ستستمر شينانو في مسارها على ١٨٠ درجة حتى اصدار أوامر أخرى. إذا كانت تلك غواصة عدوة فسنخلفها وراءنا. انها ستجري بسرعة ٣٥ كيلومتراً في الساعة في حدها الأقصى، وإذ تبلغ سرعتنا ٣٧ كيلومتراً في الساعة فسنسبقها عما قريب."

رد الملاح: "مفهوم يا سيدي."

وعندما قصد القبطان آهبي مقدّم المنصة في نوبة مراقبة بمفرده، لم يساوره قلق في شأن أي غواصة معادية وجدها. كان يهدف إلى تفادي انقضاض سرب من الغواصات المغيرة. ولتأكيد ثقته هذه استعاد في باله أحاديث شتى مع نائب قائد الاسطول كيجي فوكادا، المصمم الياباني الاشهر للسفن. وهو

طمأنه إلى أن اغراق "شينانو" قد لا يكون مستحيلاً لكنه صعب التنفيذ. فقد أخذ مصمموها كل احتمال في الحسبان كي يجعلوها لا تغرق. ما من غواصة تستطيع منفردة الاجهاز على "شينانو".

قرابة الحادية عشرة والثلث ليلاً أبلغ مناوب الحراسة في غرف محركات "شينانو" أن محمل عمود الادارة أفرط في سخونته على نحو خطر. واتخذت اجراءات طارئة للاصلاح، بينما غسل المحمل بخرطوم من ماء البحر. لكن ذلك لم يجدِ، فأرغمت الحاملة على خفض سرعتها. عندئذ بدأت حرارة المحمل تتدنى. وإذ بلغ القبطان آهبي أن "شينانو" عاجزة عن الابحار بسرعة تفوق ٣٣ كيلومتراً في الساعة ريثما يتم اصلاح المحمل في حوض السفن، هزّ رأسه باشمئزاز. الآن في وسع أي غواصة مترصدة ان تجاري "شينانو" في سرعتها.

مراقبة وانتظار

دأبت على تمرير منظاري بلا طائل على مشهد البحر المتلاطم بحثاً عن أثر للسفينة التي نستهدفها. ابتهلت ثانية راجياً أن يكون بوبزنسكي مصيباً إذ قال ان الحاملة ستدور في آخر المطاف عائدة إلى مسارها العام على ٢١٠ درجات.

ورداً على أفكاري أبلغ عن شكل ظليل في النور الأحمر المنبعث من برج المراقبة: "يا لسعدنا أيها القائد! الرادار يشير إلى أن الهدف بدّل من مساره جذرياً، قاصداً الغرب."

بعد هنيهة أخبر الملازم آندروز أن الحاملة هي في مجال الرؤية ثانية. سددت منظاري فرأيتها مع حاميتها. ووددت أن أصيح جذلان.

هبطت إلى برج المراقبة، وبوب خلفي. رحنا نذرع الارضية جيئة وذهوباً كأسدين في قفص. تفحصنا الخريطة محاولين تخمين مقاصد الحاملة لكي تقطع مسافة كبيرة من مسارها العام يجب الا يبقى مسلكها متعرجاً لوقت طويل، إذ انها آنئذٍ قد تدنو منا في أي حين.

مرت الدقائق ومنتصف الليل يدنو. لو أنها استدارت إلى مسارها لكنا في موضع مناسب لمهاجمتها.

عقارب الساعة تشير إلى منتصف الليل تماماً. يوم جديد يطل: الاربعاء ٢٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٤. والحاملة الملعونة لم تستدر بعد. ارتقيت المنصة منهكاً وحدقت إلى الحاملة. ان قيض لنا أن نهاجمها، فلا بد لها من أن تخفف سرعتها بمقدار ملموس او تستدير في اتجاهنا. وددت لو أنها تفعل أحد الأمرين، أو أن تبدل مسارها. وسوى ذلك ما علينا إلا أن نراقب وننتظر.

رذاذ ماء بارد يبلل وجهي ويدفعني إلى تركيز انتباهي. وجدت أننا نتخطى اتجاهنا بضع درجات. اما أن نكون زدنا سرعنا واما أن الهدف أبطأ سيره لعل التيار ذو سرعات متفاوتة تؤثر على السفينتين على نحو مختلف، إذ لا يعقل أن تعمد حاملة في منطقة ملأى بالغواصات المعادية إلى خفض سرعتها قصداً.

الفرصة مؤاتية على بعد نحو ١٥ كيلومتراً. الحاملة في مرمى مدافعنا. لكن ذلك شبيه برشق عشبة على فيل. علينا

أن نقرّب "آرشر ـ فيش" كفاية لاطلاق صواريخ الطوربيد. هذا ما سيجعل الفرصة واقعاً.

أفول القمر متوقع في الخامسة والدقيقة السابعة فجراً. وإذ يحدث ذلك أفقد النور الذي يخوّلني الهجوم بمساعدة البريسكوب. بعد ذلك ستنير السماء شمالاً اشارة إلى قرب بزوغ الصبح، فنضطر إلى الغوص كي لا نرى.

الانعطاف

في الثانية والربع من صباح الاربعاء ٢٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٤ كانت حاملة الطائرات اليابانية "شينانو" مبحرة إلى الغرب. وقد مضى عليها في رحلتها البكر ما يزيد على ثماني ساعات. وقف القبطان آهبي متسمراً على المنصة. تفكر موسوساً في أن الغواصة الأمريكية قد تكون في أي مكان.

لو أن في مستطاعه اكتشاف اشارات رادارها، لبقيت طافية ولما شكلت خطراً على "شينانو"، إذ ستتمكن نقاط المراقبة لديه من تحديد مكانها قبل أن تبلغ مرمى الطوربيد بوقت طويل. لكن إذا لم تكشف اشارات الرادار فذلك يعني أن الغواصة غطست في الماء عازمة على الهجوم.

وطرد آهبي خاطراً لاح لذهنه: صورة الحاملة "هيريو" التي أغرقت ذات صباح من شهر يونيو (حزيران) بعد معركة ميدواي. كانت الحاملة المتغطرسة لا حول لها مائلة على جنبها. وقد طلب العميد البحري تامون ياماغوشي، قائد كتيبة الحاملات الثانية في ميدواي، وتوميو كاكو قبطان الحاملة "هيريو"، من مدمرات القبطان آهبي أن تقصف "هيريو" بالطوربيد للحؤول دون وقوعها أسيرة في أيدي الامريكيين. وإذ حملق آهبي بحدقتين واسعتين في النافذة المظلمة على المنصة، استعاد ذكرى غرق "هيريو". انه لا يزال يرى قائد الاسطول العميد ياماغوشي والقبطان كاكو متعانقين ببسالة على منصتها. لقد أوثقا جسديهما اليها بالحبال جاهزين للموت. وهكذا سيذكرهما أبداً.

في الساعة ٢،٤٢ هرع القائد يوسا آراكي، ضابط الاتصالات، إلى آهبي قائلاً: "سيدي، لقد اكتشفنا ارسالاً لاسلكياً آخر للعدو. ويبدو من قوة الارسال أنه قريب جداً، على بعد ١٨ كيلومتراً أو ٣٦."

انهم الأمريكيون. عليهم اللعنة! ثم قال آهبي كلاماً بليغاً: "حسناً أيها السادة، لا شك في أنها رسالة من قائد سرب الغواصات إلى مركباته الأخرى، فيها بلاغ عن موقعنا وسرعتنا. ولعله أمر بالاستعداد للهجوم. لا علم لنا بموقعه. إلى أي اتجاه نستدير؟"

لا جواب حاضراً. الدقائق تتكّ فيما القبطان آهبي يتفكر ملياً ويمحّص الخيارات. ثم نطق أخيراً: "يا ملاح، ستتجه شينانو يساراً مرة ثانية إلى درجة ٢١٠. دوّن ذلك."

انحنى انساين ياسودا على الخريطة، علّم المسار وذكر الوقت: انها الساعة ٢،٥٦ من ٢٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٤. وإذ فعل ذلك شعر بهيكل "شينانو" الضخم يستدير يساراً.

وأسرّ القبطان آهبي إلى نفسه: الفجر

يمنح نقاط ترصدي الأفضلية. وعندئذ ستكون "شينانو" قريبة من مدافع الشاطىء التي تحمي مضائق البحر الداخلي.

كان واقفاً وحده في مقدم الحاملة حين ظهر القائد آراكي إلى جانبه: "سيدي، لقد انقطع ارسال رادار العدو فجأة في الساعة ٣،٠٥."

الغواصة إذاً توارت تحت سطح الماء. أعطى آهبي توجيهاته: "أيها القائد آراكي، أشر إلى المدمرات بأن شينانو في خطر محدق. الغواصة المعادية قد تباشر الهجوم في أي لحظة."

"اغطسوا! اغطسوا!"

نظرت إلى ساعة يدي. انها ٢،٥٠، ولا تحوّل في مسار حاملة الطائرات. دعوت بصمت لكي تستدير. كانت الساعة تقارب الـ٢،٥٦ عندما أشاح الحظ عن "شينانو."

ها هي تستدير بغتة في اتجاهنا ماضية صوبنا. الحاملة العملاقة والمدمرات المواكبة تتجه مباشرة إلى حيث "آرشر ـ فيش". أريد أن اثب فرحاً على المنصة.

ناديت بوبزنسكي في برج المراقبة: "لقد استدار الهدف يا بوب. انه يتجه الينا. لا أود أن نغوص إلا عند الضرورة. ولكن ينبغي أن نتوارى قبل أن يرانا العدو."

جرت "آرشر ـ فيش" غرباً بسرعة مدة خمس دقائق للتمركز في أحد المواقع على مسافة قريبة من أحد جوانب المسار المرتقب للحاملة. اردت أن أهاجم الجانب الأعرض لأحظى بأكبر هدف أسلط عليه صواريخ الطوربيد الستة الأمامية، ولأكون في مدى يراوح بين ٩٠٠ و١٨٠٠ متر. وإذ قدّرت أن "آرشر ـ فيش" بعيدة على نحو كافٍ من المسار، انعطفت يميناً في خط موازٍ للحاملة. ثم استدارت "آرشر ـ فيش" يميناً- بعد دقيقتين لتصبح في موضع مثالي لاطلاق النار.

بعد مرور ثوان على الساعة ٣،٠٤ صاح بوب: "يا كابتن، المدى الآن ١١ ألف متر."

انفتلت صوب الملازم آندروز: "حسناً يا جون، أغطس."

فجأر جون توا: "أغطسوا! أغطسوا!" وطنّت صفارة الانذار في أرجاء الغواصة.

كل الامور مضبوطة كالساعة. وبين تردد صفارة الانذار واستوائنا على عمق البريسكوب انقضت دقيقة واحدة. ضغطت رأسي على البريسكوب الرقم ٢ محدقاً من خلال عدسة الرؤية. الخطان المتصالبان مثبتان على هدفنا. هممت: "تعالي، تعالي يا حلوتي."

نحن الآن في المراحل الختامية من الاعداد للهجوم. الحاملة اليابانية الضخمة تدنو بسرعة ٥٥٠ متراً في الدقيقة. ان الخطوة التالية خطوتنا إذا لم يتعرج الهدف في مساره.

أمرت: "املأوا المواسير. وحددوا عمق صواريخ الطوربيد بثلاثة أمتار."

وأعلنت لطاقم الغواصة: "نحن قريبون من التماس مع مقدم الهدف. سنطلق النار إذ يدخل نطاق مرمانا."

منظار البريسكوب صاعد، نازل، بصمت ضمن غلافه الصقيل، متيحاً نظرات سريعة مختلسة، لم أشأ أن يطفو فوق

السطح أكثر مما تستلزم الضرورة، إذ من السهل أن تكتشفنا مراصد العدو في هذه الحال.

كنت متشوقاً إلى التعرف إلى الحاملة. فوصفت سماتها للرجال المحيطين بي. كان انساين غوردون كروسي إلى جانبي ممسكاً بدليل التعرف البحري. رسمت شكلاً تخطيطياً سريعاً للسمات البارزة في الحاملة المعادية. فنظر غوردون إلى رسمي ثم تصفح الدليل. وقال أخيراً: "لا يملك اليابانيون حاملة كالتي رسمت."

– لا يملكون؟ هراء! إني أنظر اليها!

أصبناها!

تبينت مناورة غير متوقعة من المدمرة الواقية لميمنة حاملة الطائرات. علي اللعنة إن لم تكن تبدل مسارها وتتجه مباشرة إلى بقعتنا. آن الأوان لاتخاذ قرار آخر بسرعة. أعلنت بصوت مرتفع: "هناك مدمرة معادية تتجه صوبنا. وستمر على بعد نحو ١٨٣ متراً أمامنا."

في الواقع كنت أعلم أن مسارها سيقربها أكثر، ولكن لِمَ زرع الذعر في نفوس الجميع ما دام أحد منهم لا يستطيع شيئاً؟ وكان لزاماً علي أن أعرف هل تستعمل المدمرة مسبار الصدى(٢) لتحديد موقعنا.

سألت ريتشارد سكانلان العامل على مسبارنا: "هل تستعمل المدمرة مسبارها؟" إن كانت تفعل، فهي قد تكتشفنا، وينبغي علي إذاً أن أغطس "آرشر – فيش" في الماء مجتنباً قذائف الاعماق.

أدار سكانلان جهاز مؤالفة التذبذب (٣) في المسبار على محطات الاستقبال كلها ثم قال: "لا يا سيدي، انها لا تستعمله."

أمرت بخفض المنظار وناديت ضابط الغوص: "إنزل إلى عمق ١٩ متراً." في عمق كهذا تصبح المسافة ثلاثة أمتار بين "آرشر – فيش" وصلب المدمرة.

البارجة اليابانية تدنو أكثر فأكثر، وضوضاء رفاصاتها ومراوحها تعلو إذ تمخر العباب. داخل "آرشر – فيش" لم ينطق أحد بكلمة. كان كل منا ينظر إلى الآخرين منصتاً. ولعل البعض تلا صلاة، وأنا منهم.

المدمرة تكدر المياه فوقنا تماماً. خفقان مراوحها قريب جداً يحبس الانفاس. انها ترعد فوقنا كقاطرة. الغواصة بأسرها تهتز متمايلة بفعل المويجات الصادمة. لبثنا ننتظر، هل سترسل قذائف الاعماق؟ تجمدنا منصتين. ثم جازتنا المدمرة وتلاشى صوت مراوحها سريعاً.

أومأت اشارة "إلى أعلى" بنترة من إبهامي، وحدّقت في المنظار المرفوع. كنا سنرسل صواريخ الطوربيد لو لم تكرهنا المدمرة على المراوغة.

ركزت خطي المنظار المتصالبين على هيكل الحاملة وأصدرت أمري على عجل: "أطلقوا الطوربيد الأول."

ضغط الريّس جين كارناهان زر الاطلاق، فارتدّت "آرشر – فيش" وكأن حوتاً صفعها. انطلق الطوربيد الأول في غمامة من الفقاعات. الآن يسعني أن أحدق إلى

(٢) Echo - ranging sonar

(٣) Frequency tuner

الحاملة مفصلاً. رباه، يا لضخامتها! انها تملأ عدسة المنظار.

انتظر كارناهان انقضاء ثماني ثوان ثم أطلق الطوربيد الثاني. جنحت "آرشر ـ فيش" ثانية. وتلا طوربيد ثالث ثم رابع. مكثت مراقباً الحاملة عبر المنظار. أين ضربات صواريخنا؟

انطلق الطوربيد الخامس، ورأيت من زجاج منظاري كرة نار ضخمة تنفجر قرب مقدم الحاملة. ومن دون أي انفعال أطلق القائد كارناهان الطوربيد السادس.

ترجحت "آرشر ـ فيش" مجددا. ثم تناهى إلى أسماعنا صوت الضربة الأولى، وشعرنا بتموجاتها المنبعثة من ٣٠٠ كيلوغرام من المتفجرات.

صحت: "لقد نلنا منهم!" ولكن من المبكر الاحتفاء بالنصر. فثمة قذائف أعماق ينبغي علينا تفاديها بسرعة. رأيت الانفجار الثاني يمزق هيكل الحاملة بعد ثماني ثوان، على بعد نحو ٤٥ متراً من الانفجار الأول.

حركت البريسكوب لأراقب رد فعل المدمرات. كانت احداها في سبيلها الينا منطلقة من ميمنة الحاملة. والمدمرة التي مرت متخبطة فوقنا قبل دقيقة واحدة، كانت تنهي استدارة كاملة قبل أن تعاود الابحار تجاهنا. يا للعار! الحاملة بدأت تغرق. لا شك في أن مياه المحيط شرعت تتدفق إلى أحشائها، بدت كأن عاليها سينقلب أسفلها.

سمعت صوت طوربيدات أخري تصدم الحاملة من دون أن احصيها. لشد ما رغبت في أن أبقى ناظراً اليها عبر البريسكوب وهي تغرق، لكن المدمرات كانت في هياج جامح. "آرشر ـ فيش" هي الهدف الآن.

"شينانو، بانزاي!"

في الساعة ٣،١٧ هشّم الطوربيد الأول بدن "شينانو". أعقبه دوي هائل، وتدحرجت كرة لهب حمراء وبرتقالية على ميمنة الحاملة منقذفة إلى السماء المظلمة. وفي غضون الثواني الثلاثين التالية صدمت "شينانو" ثلاثة طوربيدات في فترات فاصلة من ثماني ثوان، وشقت سبيلها إلى مقدم الحاملة.

أدرك القبطان آهبي أن الارتجاجات منبعثة من رؤوس طوربيد تخرق حاملته. حسناً، قال في سره، ليقدم العدو أحسن ما لديه. فقد كان راسخ الاعتقاد أن "شينانو" تعصى على الضرر.

أمر آهبي: "انها صواريخ طوربيد معادية أيها السادة. ليلزم كلٌ مركزه. أمدوني بتقارير فورية عن الأضرار. ايها الملاح ناكامورا، أصدر أمراً إلى مدير الدفة ليحافظ على سرعته القصوى."

نظر من خلال النافذة المواجهة للمنصة. "شينانو" تتمايل بسرعة فظيعة. أيمكن ان تتسبب أربع ضربات طوربيد في هذه الأضرار؟ سفينة في هذه الضخامة وهذه الدروع الكثيفة يصيبها ما اصابها؟ لا شك في أن ثمة خطأ ما. ألم تُجدِ النتوءات المضادة للطوبيد؟

وردت تقديرات الأضرار سراعاً. ومعظمها ذكر فجوات كبيرة والتواءات في القواطع بين حجيرات الحاملة. لقد أدت الانفجارات إلى ضرر أولي محدود، لكن سرعة "شينانو" المتعاظمة وضغط



غمر الماء مقصورات كثيرة بسبب ثقوب في القواطع والابواب. مئات من الضباط والبحارة ذوي الشهامة شكلوا فريقاً لرفع الماء بالدلاء، لكن المياه تابعت ارتفاعها. بدت العملية كأنها افراغ قارب من الماء تحت شلال منهمر. صيحات الرجال المحتجزين تُسمع في أرجاء الحاملة.

القبطان آهبي مدرك أن المقصورات لو كانت محكمة السد لأتاحت حصر الضرر والتحكم بتدفق الماء. ولكن فيما أمواه البحر تنسكب في جسد "شينانو" المحطم كانت الحال تزداد سوءاً. اذا تعذر وقف الدفق فالحاملة هالكة لا محالة.

قرابة الخامسة صباحاً ماء البحر المندفع إلى مقصورة تلو أخرى أدى إلى دمار أعمّ. وإذ تداعت القواطع زاد وزن أعلى الحاملة لا محالة.

التفت القبطان آهبي فألقى إنساين ياسودا ناظراً إليه، وعلى ملامح الضابط الشاب سيماء الكرب الشديد كأنه يحاول ابلاغ قائده تعاطفه واخلاصه. هزّ آهبي رأسه إذ رأى إنساين، وهذا ليس من خُلُقه، ثم أشاح عنه.

الشمس طوق هزيل زهري يكلل الأفق. صورة الحاملة "هيريو" الهالكة، كخيوط الفجر، تحوّم في ركن من ذاكرته. هل سيعيد التاريخ ذاته؟

بلغ مَيَلان السفينة ١٨ درجة، وتوقف مبخّر المياه الحلوة عن العمل. وفي السابعة تعطلت المحركات لنقص البخار، وعند التاسعة خارت قوى "شينانو". مقدمها الضخم يكاد لا يهز مياه البحر. "شينانو" ماتت.

أذن القبطان آهبي بنقل صورة الامبراطور إلى مكان أكثر سلامة. مدّ بحار فتي يده لرفع اللوحة حاني الرأس في خشوع. غلّف الصورة في ورق مانع للماء وقماش "كانفا" وربط الرزمة إلى وسطه، وارتدى سترة نجاة كي تبقى الصورة طافية مهما جرى له.

في أثناء ذلك دنت المدمرات من "شينانو" لانزال الجرحى وانتشال المذعورين والواثبين عن متن الحاملة. وفي الساعة ١٠،١٨ أذن القبطان آهبي لبحارته وضباطه بمغادرة الحاملة ولكن لم يكن معقولاً مطلقاً أن يصدر أمراً باخلائها. فكيف تطاوعه نفسه بالتخلي عن "شينانو"؟

أخيراً بقي وحيداً مع ضباط الاركان. ثم حان الوقت ليودعوه بسرعة. شكر لهم القبطان آهبي شهامتهم ونبلهم واخلاصهم وقال لهم: "أنا فخور بكل واحد منكم. فلتذهبوا مباركين."

صمت القبطان آهبي هنيهة ثم اضاف: "سأبقى على متن شينانو. هذا قراري أتخذه بمفردي. كنت في معركة ميدواي وشهدت قرار القائد ياماغوشي والقبطان كاكو بعدم هجر الحاملة هيريو. وقد استنتجت أن ما فعلاه هو عين الصواب لكل قائد. وداعا أيها السادة."

كان الضباط مشرّبين تقاليد الساموراي ومنها احترام رؤسائهم. فلم يحتجوا على ذلك القرار. وحده انساين ياسودا انتحى جانباً.

أمره آهبي: "أدِّ تحية الوداع وانصرف بسرعة. فالحاملة ستكون عما قريب في خبر كان."

ـ سيدي، أودّ أن أسجّل اللحظات حتى نهايتها، بعد اذنك.

تنهد القبطان آهبي. وحدقا معاً إلى العلم الجديد المرفوع بشمسه الحمراء المشعة في فراغ ابيض.

تحرك بعض بحارة "شينانو" مبتعدين وقد عاموا على قطع خشب في مياه المحيط الباردة. وما لبثوا أن سمعوا هسيساً هائلاً وصرخة ممطوطة ناجمة عن اندفاع البحر إلى المداخن الحارة. حملق البحارة بأحداق واسعة في نظرة أخيرة إلى حاملتهم.

هيكل "شينانو" الأحمر منتصب، ومقدمها يناطح السماء. بقيت للحظة فيما غمرت مياه البحر المساحة المتبقية، واطلقت دوياً موجعاً قبل أن تغور إلى قاع المحيط الهادىء. هتف البحارة بصوت واحد: "شينانو، بانزاي!"

وغرق معها القبطان آهبي وانساين ياسودا. ابتلعهما الهواء الماص الناجم عن غرق الحاملة، مع الاحياء والموتى الذين بقوا داخلها ومئات الرجال المتشبثين بيأس بهيكلها وسطوحها.

في الثانية بعد الظهر كانت مضت على "شينانو" ثلاث ساعات في قاع المحيط، وتوقفت كل عمليات الانقاذ وأمر قائد المدمرات ببث الرسالة الآتية إلى مركز قيادة البحرية اليابانية: "من بين ٢٥١٥ شخصاً على متن شينانو، المفقودون ١٤٣٥ والناجون ١٠٨٠. صورة الامبراطور في أمان على المدمرة هاماكاز. كل المستندات السرية في خزنة محكمة الاقفال وقد غرقت مع الحاملة إلى عمق أربعة آلاف متر."

لقد غرقت كبرى حاملات الطائرات في العالم آنذاك بعد ١٧ ساعة من انطلاقها في رحلتها البحرية الأولى.

"يوم الشكر"

"آرشر ـ فيش" المعَدّة لعمليات الاعماق والغوص الصامت انحدرت إلى

عمق ١٢٠ متراً منتظرة انقضاض المدمرات اليابانية. لم يستمرىء أي منا فكرة قذائف الاعماق. فقد قاسينا أهوالها في اشتباكات أخرى.

همست: "يا رب، ساعدنا."

ثمة مدمرتان فوقنا، نسمعهما بوضوح قرب المسبار. وهتف سكانلان المسؤول عن المسبار: "ها هي القذيفة الأولى آتية يا كابتن."

استجمعنا قوانا. صوت انفجار مكتوم يسمع من بعيد. التموجات لا تحرك الغواصة إلا قليلاً. وفي فترة ١٥ دقيقة احصيت ١٤ قذيفة أعماق. وعلى نحو لا يصدق لم تلامسنا أي منها.

قلت: "انهم لا يعرفون مكاننا."

ثم سمعت همهمة: "الحمد لله."

أبلغنا سكانلان: "انهم يبتعدون يا كابتن."

فعلّق أحد الضباط: "لعلهم ذهبوا لانتشال الناجين."

ـ انهم يخلون الحاملة من دون شك.

بقي سكانلان قرابة ٢٠ دقيقة راصداً ما حسبناه ضجيج تصدع الحاملة. وزاد ارتياحنا مع مضي كل دقيقة، وخلجات "شينانو" الاخيرة تحملها إلينا المياه.

مياه المحيط تمزق "شينانو" وتلوي قواطعها.

في الساعة ١٠،٦ ارتفعت "آرشر ـ فيش" إلى مستوى البريسكوب، فألقيت حولي نظرة فاحصة. الشمس صفراء لامعة. البحر أزرق قاتم يتمور بموجات متفرقة مزبدة. الرؤية ممتازة. لا أثر للحاملة ولا أي قطعة من حطامها.

أصدرت أمري: "استرخوا وابقوا على حذر." وهبطت إلى قمرتي. كنت منهكاً، فاستلقيت على مرقدي وغرقت في سبات عميق.

الخميس ٣٠ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٤ يوم عطلة. طباخونا تمونوا جيداً قبل أن ننطلق في رحلتنا. لقد قدموا الينا كل ألوان الطعام على العشاء مساء

Illustration: Victoria Vebell



العطلة. وحززت بيدي لحم الديك الرومي على المائدة.

أمور كثيرة تدعونا إلى حمد ربنا. لقد فكرت ذلك اليوم ـ واني موقن بأن كل من كان في الغواصة فكر إيضاً ـ في مئات الالوف من الجنود المنتشرين في المحيط الهادىء وهم يخوضون حرباً مروعة في المستنقعات والادغال. كلنا على متن الغواصة "آرشر ـ فيش" كنا نكره الحرب مثلهم، وأملنا أن يتوقف الموت والقتال قريباً.

عدنا في ١٥ ديسمبر (كانون الأول) إلى غوام لاعادة تأهيل "آرشر ـ فيش". رسونا مترقبين استقبالاً للابطال.

القائد جون كورباس، صديق العمر والقائد السابق للغواصة بوفين، كان أول الصاعدين الى متن "آرشر ـ فيش" وقد هنأ طاقمها على الانتصار. ثم انتحى بي جانباً وسألني أمتأكد أنا من أن الهدف الذي أصبناه حاملة طائرات. أخبرته أني متأكد من ذلك، لكني لم اعرف أي حاملة هي، إذ انها تختلف عن جميع الحاملات المدرجة في دليل التعرّف.

وجاءتني الصدمة: "آسف يا جو، لكن الاستخبارات البحرية لا تؤيد زعمك. يقولون ان ليس ثمة حاملة في خليج طوكيو، فكيف أغرقتها إذاً؟"

نظرت إليه غير مصدق كلامه. لحظة المجد والفخار تولّي الأدبار.

قال جون: "أتوافق على إبدالها بطرّاد؟ ثمة دلالة على وجود طراد معاد في البحر."

خاطبته مغتاظاً: "لا يا جون، لا، انها حاملة طائرات." وذكرت له الرسوم التقريبية التي رسمتها واضفت: "كأني أراها بعيني."

سأل مستفسراً باهتمام: "أين تلك الرسوم؟ هل هي في حوزتك؟ يمكنني أن أرفقها بتقريرك."

ـ لست أكيداً من احتفاظي بها. فهي لم تفدنا في التعرف إلى الحاملة.

هزّ جون رأسه خائباً وقال: "كانت ستساعدنا أيما مساعدة يا جو."

لاح لي خاطر فطلبت استدعاء إد مانتزي أمين اللوازم في الغواصة. لعله على علم بما جرى لتلك الرسومات.

قال مانتزي: "أجل يا سيدي، انها معي. أخذتها من القمامة حيث ألقيتها أنت. لقد علموني، عندما التحقت بسلاح البحرية، ألا أرمي شيئاً."



ليباركه الله. في بضع دقائق كان جون يتفحص الرسوم وأنا أشرح له مغزاها. قال: "هذه رائعة يا جو. سأعرضها مرفقة بتقريرك. ولنرَ ما سيحدث."

ساهمت الرسوم في تعزيز دعوانا. وعندما اطّلعت عليهما الاستخبارات البحرية نسيت فكرة الطراد. وتقرر أن هدفنا الذي أصبناه كان البارجة الحربية الثالثة المفقودة من مرتبة "ياماتو".

الكابتن جوزف ف. إنرايت

بمشاركة جايمس و. ريان ■

■ لدى استسلام اليابان في نهاية الحرب العالمية الثانية كانت "آرشر ـ فيش" في عداد ١٤ غواصة دخلت خليج طوكيو مع الاسطول الامريكي لحضور الاحتفالات بالاستسلام المقامة على متن البارجة "ميسوري" في ٢ سبتمبر (أيلول) ١٩٤٥.

وفي لحظة توقيع المستندات والوثائق حلق سرب من الطائرات الامريكية المنطلقة من حاملاتها على علو منخفض. لقد انتهت الحرب.

ومنح القائد إنرايت وسام البحرية في ٥ مارس (آذار) ١٩٤٥، لمطاردته "شينانو" وإغراقها.

وورد في التنويه أن وزن "شينانو" بلغ ٧٢ ألف طن، ما يجعلها أكبر بارجة في التاريخ أغرقتها غواصة. ومنحت "آرشر ـ فيش" تنويهاً رئاسياً. ■



ضجة في مطعم

في اثناء زيارتنا مدينة هيوستن بولاية تكساس قررنا ان نجرب مطعماً أُوصينا به. كان كل صنف من الاطعمة في القائمة مسعَّراً على حدة وغالي الثمن. فصحن السلطة المتبلة بدولارين، والبطاطا المقلية باربعة دولارات ونصف دولار، والهليون بستة دولارات وربع دولار. صُدمنا ومع ذلك تناولنا طعام العشاء.

وبعد ان خدمنا، علت ضوضاء في الغرفة المجاورة حيث كان يجري احتفال بمولد احدهم. فدقّ الخدم النفير وعلا صليل الصقاع. وسأل احد الرواد: "ما هذا الذي يجري هناك؟"

فاجاب احد مرافقينا: "لا بد ان أحدهم طلب صحن هليون!"

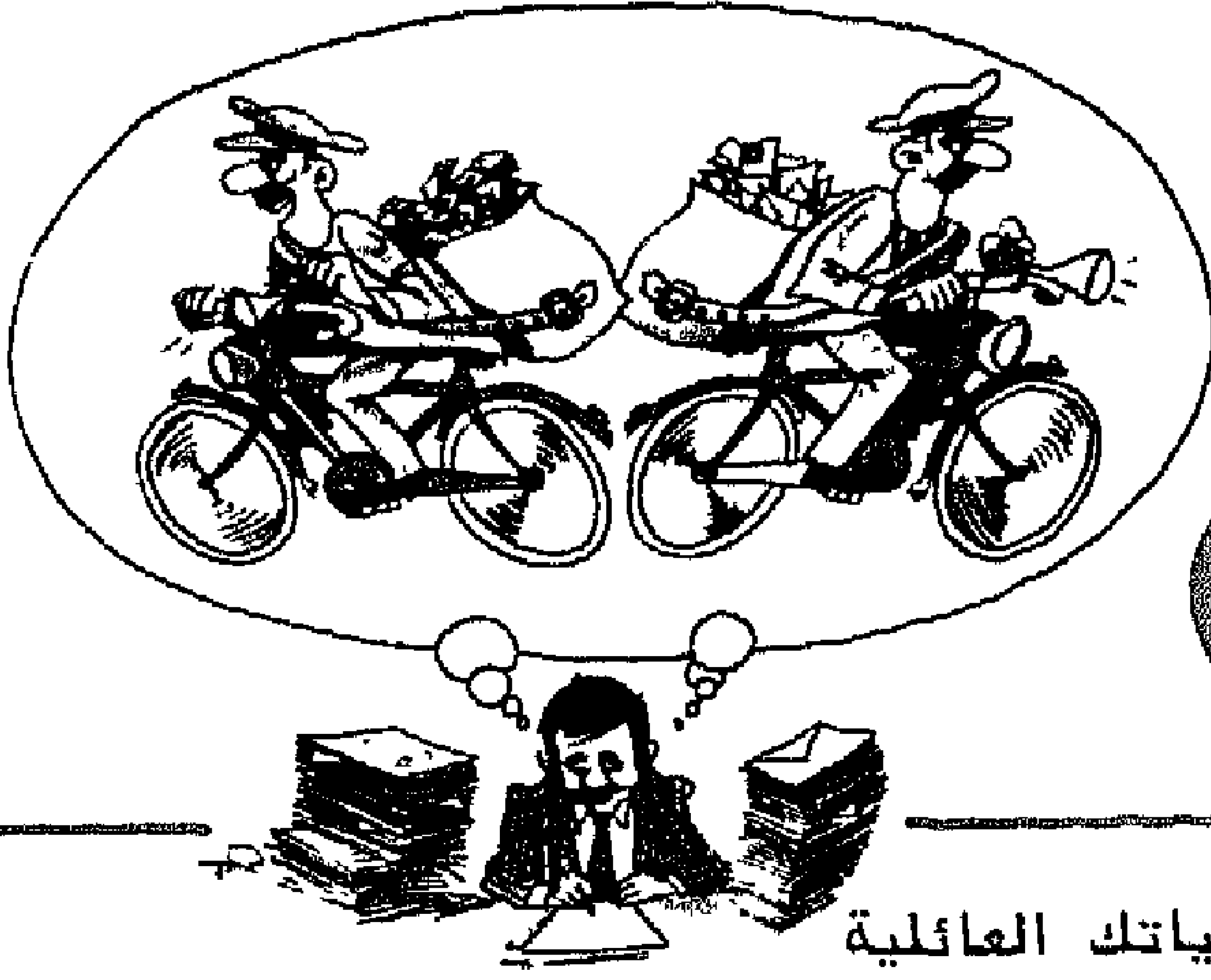
هـ.ب.أ.

عالمة آثار

كنت مع زوجتي في سياحة عبر ايطاليا. وأمضينا ذات نهار بين خرائب مومبايي المحفوظة بالرماد البركاني. وخلال لقاء لاحق في فندقنا ناقشنا ما شاهدناه. فسألتني احدى النساء: "هل أعجبتك الخرائب؟" فأشرت بالايجاب. فقالت وهي تهزّ رأسها: "لقد شاهدت خرائب بابل، فلم أجدها حسنة الصنع."

أ.ب.هـ.

اكتب واربح



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

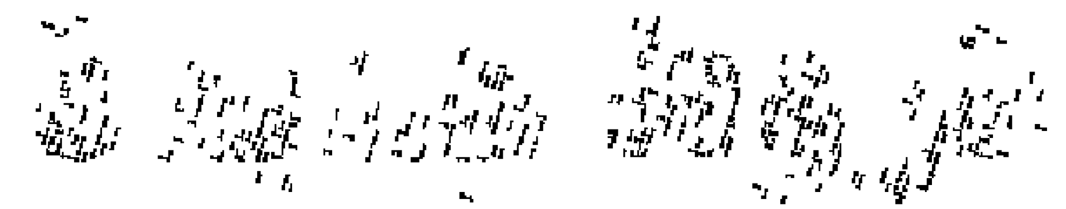
صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.



- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة
- ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر
- ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار)
- نحاشى المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية
- لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار
- لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص ب ٥٥٢٤٨، المتن الشمالي، لبنان



"عصافير الثلج" للفنان الهولندي يان فيننك